حضارة بلاد الرافدين

تأليف الدكتور

محمد علي

هاني صالح

اعداد الدكتورة

منى سعد المشكلط

مكتبة جزيرة الورد

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

علي محمد .

حضارة بلاد الرافدين | د.محمد علي.

- القاهرة. مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٦م، ٢٤٠ ص؛ ٢٥سم.

١- تاريخ بلاد الرافدين

أ- العنوان ٩٣٥

رقم الإيداع : ٢٠١٦/٤٩٨٥

الترقيم الدولى :٤-٠٧-٦٥٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى: ٢٠١٦م



القاهرة : ميدان حليم. خلف، بنك فيصل(الفرع الرئيسي) شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا

ت: 27877574/ 0100104115/ 0100004046/ 0129961635

Email:tokoboko_5@yahoo.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة يوسف: ١١١

حضارة بلاد الرافدين من أقدم الحضارات العالمية وأكثرها ثراءاً وتنوعاً وتنظيماً . ظهرت حضارة بلاد الرافدين بين دجلة والفرات شمال شرق حوض البحر المتوسط على نهري دجلة والفرات، فسميت باسم الرافدين.

شَكَّل موقع بلاد الرافدين كممر بين آسيا وأوربا وإفريقيا ، وخصوبة المنطقة عاملين ساهما في توافد هجرات متعددة وتكوين عدة دول ؛ مدن تطورت إلى دول ثم إلى إمبراطوريات .

- فأين نشأت هذه الحضارة ؟ - وما هي مراحل تطورها ؟ - وما أبرز مظاهر إنتاجها الحضاري ؟

- الإجابة على هذه الأسئلة هي الموضوع الذي ستتناوله فصول هذا الكتاب من خلال عرض بانوراما عامة مختصرة لحضارات بلاد الرافدين المتعددة مع توضيح أسباب نشأة ومظاهر كل حضارة منها . وقد راعى المُؤلف أن يكون هذا العرض مبسطاً ليتناسب مع كافة مستويات القراء .

راجياً من المولى عز وجل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون نافعاً لكل من يقرأه .

ويهدي هذا المُؤَلَّف إلى أرواح شهداء ليبيا الأبرار ، وإلى روح أبيه الطاهرة، وإلى أبناء عمومته في ليبيا ومصر .

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة هود: ٤٩

صدق الله العظيم

المُؤلف

د. محمد علي

تمهيد

العراق المهد الأول للحضارات القديمة ، ومهبط للنبوات ، والشرارة الأولى للإضاءات في الفكر البشري ، وقد كانت المنطلق لتطور الحياة البشرية في شرق الأرض ومغاربها.

كثيراً ما نسمع عن "بلاد ما النهرين"، فأين تقع هذه البلاد ؟ وأي حضارة تمثّل لنا ؟ وما هي أهم ميزات هذه البلاد ؟



بلاد النهرين بالآرامية : ܒܝܬ ܢܗܪܝܢ بين نهرين، وتعني "بلد النهرين"، بالإغريقية: Μεσοποταμία ميسوبوتاميا، بمعنى (ما بين النهرين) هي منطقة جغرافية تاريخية تقع في جنوب غرب آسيا.

بلاد ما بين النهرين أو ما تسمى "بلاد الرافدين" هي البلاد التي تقع فيما بين نهرين وهما نهر دجلة ونهر الفرات، وهي تعرف اليوم بإسم "دولة العراق". وبلاد ما بين النهرين هي تمثل منطقة جغرافية تقع في الجنوب الغربي من قارّة آسيا، وقد قامت فيها أولى وأهمّ الحضارات العالمية في هذا العالم، وهي تمثل في

ذات الوقت الحضارة السومرية، والحضارة البابلية، والحضارة الآشورية، والحضارة الكلدانية، والحضارة الواكدية، وهذه الحضارات يرجع تاريخها منذ العصر الحجري حتى سقوط الحضارة الآشورية في عام ٦١٢ قبل الميلاد، وهي التي مثلت بالكامل حضارة بلاد ما بين النهرين.

- يُقصد بالرّافدين النّهرين، ونعني ببلاد الرّافدين بلاد ما بين النّهرين.
- ينبع هذان النّهران من جبال أرمينيا في منطقة تركيا.
- يتغذّى هذان النّهران من روافد كثيرة توجد في غرب قارّة آسيا، وفي شرق البحر الأبيض المتوسّط وبالتّحديد في منطقة الهلال الخصيب الخضراء في العراق.
- تُعدّ منطقة الهلال الخصيب من أكثر المناطق النّشطة في نطاق الزّراعة بسبب موقعها المميّز الّذي ساهم في تشكّل حضارة بلاد الرّافدين العريقة. وفي سبيل الدّفاع عن الثّروة المائيّة لدى سكّان المنطقة قاموا ببناء سور لمدنهم، وقاموا بمدّ القنوات، وظهرت العديد من المناطق الخاصّة الّتي سُمّيت فيما بعد بالمستوطنات.
- تُعتبر حضارة بلاد الرّافدين من أقدم الحضارات الإنسانيّة الموجودة آنذاك؛ حيث شهدت أموراً عدّة، مثل: اختراع الكتابة، والحصول على قوانين اجتماعيّة عديدة.
- كانت من أولى المراكز الحضارية في العالم. وهي تقع حالياً في العراق، سوريا وتركيا ما بين نهري دجلة والفرات. وأشهر حضاراتها هي حضارات سومر وآكد وبابل وأشور وكلدان ، والتي نشأت من العراق.
- ومع إزدهار الحضارات في بلاد ما بين النهرين وفي أوقات متزامنة ومتعاقبة تم إحتلال الأراضي المجاورة فأحتلت شرقاً أجزاء من إيران وتحديداً حضارة عيلام (وهي تعرف حاليا بمحافظة خوزستان والمعروفة بإسم عرب ستان) وأحتلت غرباً

سوريا وصولاً إلى فلسطين حيث تم السبي البابلي في عهد نبوخذ نصر.

- وبعد موت نبوخذ نصر مرت حضارة ما بين النهرين في عهد الإنحطاط والتردي بينما نشأت وتطورت حضارة الفرس فتم احتلال بابل وما بعدها على يد قورش وأصبحت قطيسفون (حالياً معروفة باسم المدائن) جنوب شرق بغداد عاصمة لدولة الفرس المجوس حتى جاء الفتح الإسلامي لبلاد العراق والشام على يد عمر بن الخطاب.
- وبقيت العراق في ظل راية الإسلام حتى بُنيت المدينة المدورة بغداد على عهد الخليفة العباسي المنصور، ثم أصبحت بغداد عاصمة للخلافة العباسية واعتبر ذلك العهد بالعصر الذهبي للإسلام.



الفصل الأول

حضارات بلاد الرافدين

* الحضارة السومريَّة :

ظهرت في الألفية الخامسة قبل الميلاد ، وقد ظهرت هذه الحضارة في دلتا الرافدين ، لتشهد المنطقة قفزةً نوعية أدى إلى ظهور المدن (أور ، وأريدو ، والوركاء) ، ومن هنا انطلقت أولى المخططات البشرية للسيطرة على الفيضانات ، عن طريق إنشاء السدود وحفر الجداول والقنوات ، حتى تم تأسيس شبكة قنوات في السهل اعتبرت معجزةً في مجال الري .

اعتبر العلماء بأن الحضارة السومرية هي أقدم حضارة في تاريخ البشرية ، والتنقيبات الأثرية المُكتشفة تؤكد الأمر ذاته، ومن أهم إنجازات الحضارة السومرية (الكتابة) ، وكانوا يتعمَّدون نشرها ، وعملوا على إقامة أول مدرسة في التاريخ البشري على الإطلاق .

* الحضارة الأكدية :

الأكديون هم من أقدم القبائل السامية التي قامت في دلتا الرافدين ، جنباً إلى جنب مع السومريين ، واستطاعوا فرض سيطرتهم على جميع أرجاء العراق بقيادة (سرجون الأكدي) ، وامتد نفوذهم ليشمل سوريا وبلاد عيلام والأناضول ، حتى شملت الخليج العربي ، وقام بتأسيس أول إمبراطورية في التاريخ . وتقول الأساطير بأن سرجون بعد ولادته ، قامت والدته وهي من نساء المعبد بوضعه في

سفط وألقت به في مياه نهر الفرات ، حيث عثر عليه بستاني وانتشله وقام بتربيته ، وأثار هذا الطفل إهتمام الآلهة (عشتار) حيث كبر وهو محاطٌ بمحبتها وعنايتها ، حتى تمكن من توحيد المدن تحت لواء إمبراطورية واحدة ، لتشهد المدن التي شملتها الإمبراطورية إزدهاراً كبيراً في جميع المجالات.

* الحضارة البابلية :

حيث بلغت العراق فيها أوج ازدهارها وعظمتها ، وعمت فيها اللغة البابلية محادثةً وكتابة أرجاء المنطقة ، وازدهرت المعارف والعلوم المختلفة ، واتسعت التجارة وازدهرت بشكلٍ لا مثيل له ، وتم الحُكْم تحت قانون (حمورابي) .

– **حمورابي أو الملك العظيم** : حكم العراق لمدة ٤٢ عاماً ، وفي بداية تسلمه للسلطة كانت تشهد البلاد تفككاً وضعفاً ، وتشتعل الفتن والنزاعات فيها ، فقام بالسيطرة على تلك النزاعات وتوحيد البلاد ، ليشكل إمبراطوريةً عظيمة مترامية الأطراف شملت بلاد الشام والدول القريبة من البحر المتوسط وبلاد عيلام وغيرها من البلاد، كان الملك حمورابي يتميز بشخصيته القيادية العسكرية صاحب قدرةٍ عالية على الإدارة والتظيم .

* الكاشيون :

لا يعرف عنهم الكثير غير أنهم أقوامٌ جبلية زحفوا إلى العراق من منطقة لورستان .

* الآشوريون :

قدموا إلى العراق في الألفية الثالثة قبل الميلاد ، وهم قومٌ ساميون، كانوا يتحينون الفر ص للإستقلال بمدنهم الواقعة في جنوب العراق ، تحالف ملكهم مع

بابل ، وبعد هذا التحالف بدأت الفتوحات الآشورية العظيمة والتي كانت أساس أعظم إمبراطورية ضمن أقطار الشرق القديم .

* الكلدانيون :

بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية ، حمل الكلدانيون مشعل الحضارة في بلاد الرافدين ، ومن أشهر ملوكهم على الإطلاق (نبوخذ نصر) ، حيث استمر في الحكم لمدة **٤٣** عاماً قضاها في تحويل بابل إلى أعظم المدن التاريخية ، ومن أعظم إنجازاته حدائق بابل المعلقة ، وهي واحدة من عجائب العالم القديم السبعة، قام ببناءها تعبيراً عن حبه لزوجته.

أمّا إقتصاد هذه الدولة العريقة، فقد كانت "سومر" فيها أوّل من طوّر إقتصاده من هذه الدول، وهم من وضعوا أساس نظام علم الإقتصاد. أمّا الزراعة فقد كانت مثالاً للتطوّر لديهم، وقد ساعدهم في ذلك جغرافية البلاد واعتمادهم على نهري دجلة والفرات وفروعهما في الري والصرف. وقد كانت أراضيها خصبة للمحاصيل الزراعية، وهم أول من بنوا السدود والقنوات، وقد كانوا يزرعون بكثرة الشعير، والبصل، والعنب، واللفت، والتفاح.

وقد عُرفت بلاد ما بين النهرين بإنتاجاتها الأدبية والعلمية المهمّة، وقد ظهرت عدّة كتابات ولغات في بلاد الرّافدين، وكان من أبرز تلك اللغات :

- اللغة السومريّة : وهي لغة سامية وقد كانت أقدم لغة في هذه البلاد وهي لغةٌ معزولةٌ نوعاً ما ومتراصّةٌ كذلك، ومن أهمّ مميّزات اللغة السومريّة أنّها من اللغات الّتي تحتفظ بالأغراض الأدبيّة والاجتماعيّة أيضاً.
- اللغة الأكديّة : وكانت حينها هي اللغة الظّاهرة والسّائدة.

- اللغة الآراميّة : فحين انتشرت هذه اللغة توقّف استخدام اللغة الأكدية، أمّا اللغة السومريّة كانت لا تزال من أكثر اللغات المستخدمة في دور العبادة لعدّة قرون وقد كانوا سكان البلاد هم أوّل من اخترع الكتابة "المسمارية"، ونرى آثارها في الكثير من المعابد والألواح التي كتبوها عليها بالمسامير. أمّا من ناحية الأدب فقد كانوا أيضاً متفوقين في ذلك، وقد كتبوا الكثير من الملاحم والأساطير كملحمة جلجامش، وترجموا الكثير من الكتب.



أمّا الأوضاع السياسية التي سادت في هذه البلاد، فقد كانت عبارة عن دويلات صغيرة تشكّل في الكامل هذه البلاد، وقد كان يحكمها الملك وهو الوسيط بين الآلهة والبشر في اعتقادهم، وهو الذي يحكم ويضع القوانين وللجميع الطاعة.

وفيما يتعلّق بالأوضاع الإجتماعية لهذه البلاد، فقد تمّ تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات أساسيات، وهي: - طبقة الأحرار : والتي تتكوّن من أصحاب الأراضي الزراعية والتجار وأصحاب الحرف، - والطبقة المتوسطة : والتي تسمى "الموشكينو" والتي كانت أقل من طبقة الأحرار لكنهم كانوا يتمتعون ببعض الحقوق

أيضاً، وأخيراً – طبقة العبيد المتواضعين. أمّا الحكام والملوك فلم يكونوا يصنفوا ضمن هذه الطبقات الإجتماعية.

هذه نبذة مختصرة عن حضارات العراق القديمة ، ومن خلال صفحات هذا الكتاب سوف نسرد لكل حضارة باباً نتناول من خلاله بالشرح والتفصيل نشأتها وأهم مميزاتها وانجازتها .

* جغرافيا :

بلاد ما بين النهرين تشمل الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وكلاهما تقع منابعها في جبال أرمينيا في تركيا الحديثة. وكلا النهرين تغذيها روافد عديدة، ومجمل نظام مياه النهر تغذي منطقة جبلية شاسعة. والطرق البرية في بلاد ما بين النهرين عادة تتبع نهر الفرات لأن ضفاف نهر دجلة عادة ما تكون حادة وصعبة. ومناخ المنطقة شبه قاحل مع مدى صحراوي شاسع في الشمال الذي يعطي طريقه إلى منطقة ٦٠٠٠ ميل مربع من المستنقعات والبحيرات والمسطحات الطينية، وضفاف القصب في الجنوب. وفي أقصى الجنوب يتوحد نهري دجلة والفرات في شط العرب ويصبوا في الخليج العربي.

البيئة القاحلة تتراوح بين المناطق الشمالية من الزراعة المطريّة إلى الجنوب من حيث ري الزراعة. الري يتم بمساعدة من ارتفاع سطح المياه الجوفية، وذوبان الثلوج من القمم العالية من جبال زاجروس ومن المرتفعات الأرمينية؛ مصدر نهري دجلة والفرات الذين يعطيان للمنطقة اسمها. فائدة الري تعتمد على القدرة على حشد ما يكفي من العمل لبناء وصيانة القنوات، وهذا منذ قديم الأذل قد ساعد في تطوير المستوطنات الحضرية ونظم مركزية السلطة السياسية. الزراعة في جميع أنحاء المنطقة قد استكملت عن طريق طرق الرعي البدوية، حيث ينقل البدو

ساكنوا الخيام قطعان الأغنام والماعز (ولاحقاً الجمال) من مراعي النهر في أشهر الصيف الجافة، والخروج بها إلى أراضي الرعي الموسمية على حافة الصحراء في موسم الأمطار في فصل الشتاء. المنطقة عموماً تفتقر إلى حجر البناء، والمعادن الثمينة، والأخشاب، ولذلك تاريخياً تم الاعتماد على تجارة المسافات الطويلة للمنتجات الزراعية لتأمين هذه المواد من المناطق النائية. في منطقة الأهوار في جنوب البلاد وُجدت ثقافة معقدة قائمة على الصيد والمياة منذ عصور ما قبل التاريخ، وأُضيفت إلى المزيج الثقافي.



موقع بلاد ما بين النهرين الجغرافي

وقد وقعت أعطال دورية في النظام الثقافي لعدد من الأسباب. فمثلاً الطلب على اليد العاملة أدى من وقت لآخر إلى زيادة عدد السكان التي تتخطى حدود قدرة البيئة على التحمل، وترتب على ذلك فترة من عدم الاستقرار المناخي، وانهيار الحكومة المركزية، وعلى العكس فبدلاً من ذلك يمكن أن يحدث انخفاض في عدد السكان . أيضاً الضعف العسكري بسبب الغزو من قبائل التلال الهامشية أو الرعاة الرحل أدى إلى فترات انهيار في التجارة وإهمال أنظمة الري. وعلى قدر

متساوى كانت هناك نزعات جذب مركزية بين الولايات سعت إلى السلطة المركزية على المنطقة كلها. وعندما فرضت كانت سريعة الزوال، والمحلية منها جزأت القوة إلى وحدات أقليمية أصغر أو قبلية – هذه الاتجاهات لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا في العراق.

الهجرات الأولى لبلاد الرافدين :

ذكرت التوراة أن سفينة نوح رست في بابل أو قربها وأن النبي نوح عليه السلام هو أبو البشر بعد أن باد جميع البشر في الطوفان، وهذا مما يؤمن به اليهود والمسيحيين. وفي الإسلام يوجد ما يقاربها فيروى عن بعض علماء المسلمين إن سفينة نوح رست في الكوفة وهي قرب بابل . ومن هناك قام أول مجتمع بشري بعد الطوفان ثم انتشر البشر إلى باقي البلدان، وبهذا تكون بلاد الرافدين هي منشأ جميع السلالات البشرية الموجودة حالياً على سطح الأرض . ولكن الحضارات البشرية الأولى ظهرت في بلاد الرافدين وكانت بعد هذه الفترة بمدة ليست بالقصيرة وأنشأتها أقوام مهاجرة من بلاد مختلفة إلى وادي الرافدين وهذه الأقوام هي أولاً من السومريين وهم أقوام مهاجرين من مناطق جبلية يفصلها عن وادي الرافدين البحر كما ورد في الألواح الطينية (ما نقله السومريون عن أنهم تركوا موطناً في أرض جبلية يمكن الوصول إليها بحراً) . وقد اختلف كبار المؤرخين في تحديد الموطن الأصلي لهم وإن كان الأكثر على أنه من أواسط آسيا أو من جنوب آسيا .ثم أعقبهم الآراميون والعموريون وهم قبائل سامية بدوية هاجرت من الجزيرة العربية بسبب التصحر إلى بلاد وادي الرافدين الوفيرة بالماء والصالح للزراعة وليؤسسوا الحضارات الأكدية والبابلية والكلدانية والآشورية، وكانت نهاية

السومريين على يد العيلاميين القادمين من إيران والعموريين المهاجرين من الجزيرة العربية .

موجز تاريخ العراق القديم :

بدأ عصر الزراعة في بلاد الرافدين، وهو أول عهد للإنسان بتعلم الزراعة، بحدود سنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد وتطور حوالي سنة ٥٥٠٠ ق.م. في قرية (جرمو) في شمالي العراق في أواسط العصر الحجري الحديث. ومن البديهي أن تكون الزراعة عصرئذ محدودة وعلى نطاق ضيق جداً.

* عصر حجري حديث :

كانت الحاجة لحماية المدن والدفاع عنها وسقي المزارع وري المحاصيل من الدوافع التي ساعدت على تشكيل الحضارة الأولى في بلاد الرافدين على يد سكان ما بين النهرين القدماء فقاموا بتسوير مدنهم ومد القنوات بعد سنة ٦٠٠٠ ق.م. ولقد ظهرت المستوطنات التي أصبحت مدناً في الألفية الرابعة قبل الميلاد. وأقدم هذه المستوطنات البشرية هناك أوروك ، وتل حلف في سوريا حيث أقيم بها معابد من الطوب الطيني وكانت مزينة بمشغولات معدنية وأحجار واخترعت بها الكتابة المسمارية .

وكان السومريون مسئولين عن الثقافة الأولى هناك، ومن ثم انتشرت شمالاً لأعالي الفرات. وأهم المدن السومرية : كيش ، ولارسا ، وأور .

وفي سنة ٢٣٣٠ ق.م. استولى الأكاديون وهم من الشعوب السامية التي كانت تعيش وسط بلاد ما بين النهرين، وكان ملكهم سرجون الأول (٢٣٣٥-٢٢٧٩) ق.م. قد أسس مملكة أكاد ، وحلت اللغة الأكادية محل السومرية .

وظل حكم الأكاديين حتى أسقطه الجوتيون عام ٢٢١٨ق.م.؛ وهم قبائل من التلال الشرقية. وبعد فترة ظهر العهد الثالث لمدينة أور وحكم معظم بلاد ما بين النهرين.

ثم جاء العيلاميون ودمروا أور سنة ٢٠٠٠ق.م. وسيطروا على معظم المدن القديمة ولم يطوروا شيئاً حتى جاء حمورابي من بابل ووحد الدولة لسنوات قليلة في أواخر حكمه. لكن أسرة عمورية تولت السلطة في آشور بالشمال.

تمكن الحيثيون القادمون من تركيا من إسقاط دولة البابليين ليعقبهم فوراً الكوشيون لمدة أربعة قرون. بعدها استولى عليها الميتانيون – (شعب يطلق عليهم غالباً اسم حوريون أو الحوريانيون) – القادمون من القوقاز ، وظلوا ببلاد ما بين النهرين لعدة قرون. لكنهم بعد سنة ١٧٠٠ق.م . انتشروا بأعداد كبيرة عبر الشمال في كل الأناضول . وظهرت دولة آشور في شمال بلاد ما بين النهرين والممالك الشمالية الشرقية، وهزم الآشوريون الميتانيين واستولوا على مدينة بابل عام ١٢٢٥ق.م. ووصلوا البحر الأبيض عام ١١٠٠ق.م.

* فجر الحضارة في العراق :

بدأ فجر الحضارة في العراق بحدود سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد وانتهى بالحقبة الزمنية التي ابتدع فيها الإنسان العراقي الكتابة لأول مرة في تاريخ الإنسانية في الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد. إن نشوء الحضارة الناضجة في بلاد الرافدين قد سار بخطوات ثابتة وعلى مراحل وبأطوار متعاقبة. عرفت تلك الأطوار في العراق للمختصين المحدثين بأسماء المدن والقرى والمواقع التي ظهرت فيها لأول مرة، ومدن الطور الأقدم هي: (حسونة) ثم (سامراء)، و (حلف)، و (العبيد) و (الوركاء)، و أخيراً (جمدة نصر).

لقد شهد العراق خلال هذه الأطوار اتساع الزراعة وبداية الحياة الحضرية ونشوء أولى المدن. وعرف بناة الحضارة أيضاً فن التعدين وابتدعوا دولاب الخزاف وصنعوا الآجر المفخور والعربة ذات العجلة وكذلك المحراث فضلاً عن السفن الشراعية. وعُرف في أوائل تلك الأطوار أيضاً فن النحت، وظهرت كذلك المباني العامة كالمعابد حيث كثرت وازدادت أهميتها منذ طور (العبيد). وعُرف طور الوركاء ٣٥٠٠ ق.م. بالعهد الشبيه بالكتابي، ومن المعروف أن الكتابة قد أرسيت قواعدها تماماً خلال الطور الذي أعقبه وهو (جمدة نصر) في حدود سنة ٣٠٠٠ق.م.

أولاً: عصر فجر السلالات :

وجد نظام دولة المدينة city state في وسط وجنوب العراق بين (٢٩٠٠ - ٢٤٠٠) ق.م. وقد سمي بعصر فجر السلالات، فقد بدأ في العراق في حوالي سنة ٢٨٠٠ ق.م. واستمر لمدة ستة قرون ، والذي يعرف أيضاً بالعصر السومري القديم أو بعصر دويلات المدن حيث لم تتوحد البلاد بعد تحت مملكة كبيرة واحدة. حيث كان فيه البشر والماشية ملكاً للآلهة. سمى السومريون حاكم دولة المدينة Ensi أما الآكاديون فكانوا يسمونه ايشاكو ešaku.

وتُقسم هذه الحقبة الزمنية من تاريخ العراق إلى ثلاثة عصور حيث قسم علماء الآثار عصر فجر السلالات إلى ثلاثة أطوار هي على التوالي :

١- فجر السلالات الأول (٢٨٠٠ -٢٧٠٠) ق.م .

٢- فجر السلالات الثاني (٢٧٠٠ ٢٦٠٠) ق.م .

٣- فجر السلالات الثالث (٢٦٠٠ - ٢٤٠٠) ق.م .

إن لكل من هذه الأطوار الثلاثة خصائصها المميزة. ومع ذلك يمكن القول عموماً بأن فن العمارة قد قطع شأناً بعيداً في هذا العصر وبخاصة في بناء القصور والمعابد فظهرت العقود لأول مرة في البناء وكذلك القبوات كوسيلة في التسقيف. وتقدم فن التعدين وسبك المعادن، وقطع فن النحت شأناً بعيداً من التقدم .

لقد نضجت الكتابة وانتشر استعمالها في العصر السومري فدونت بها في عصر فجر السلالات السجلات الرسمية وأعمال الملوك والأمراء وعلاقتهم بغيرهم من الحكام. وكذلك شئون الناس العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير فضلاً عن الشئون الدينية والعبادات.

ثانياً : الحكم الأكدي :

الآكاديون انحدروا من الشمال وتحديداً من منطقة جبل سنجار غرب نينوى. بدأ عهد فجر السلالات بقيام سرجون الأكدي (٢٣٧١-٢٣١٦) ق.م. – مؤسس هذه الدولة – بتوحيد العراق في مملكة واحدة وقضى على نظام دولة المدينة. كان سرجون من الأكاديين وهم فرع من الأقوام التي نزحت من الوطن الأم شبه جزيرة العرب إلى العراق ربما في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل. وليس من المستبعد أن الأكديين قد عاشوا جنباً إلى جنب مع السومريين منذ أقدم العصور وعرف القسم الأوسط والجنوبي من العراق منذ ذلك الزمن باسم بلاد (سومر وأكد) .

اتبع سرجون سياسة تدمير أسوار المدن من أجل القضاء على مراكز تجمع المناوئين لسلطته. وبسط نفوذه على كل بلاد سومر حتى أنه يذكر في نص مسماري أنه "غسل سلاحه في مياه البحر السفلي" أي مياه الخليج العربي. واتخذ مدينة أكد عاصمة له والتي ما يزال موقعها غير معروف حتى الآن. وبنى في

عاصمته الجديدة معبداً للآلهة عشتار التي يدعي بأنها هي التي منحته الحكم. وتذكر النصوص المسمارية بأنه استولى في الغرب على مدينة ايتو (هيت) وماري وغابات الأرز (جبال امانوس) وجبال الفضة (جبال طوروس) ومدينة ابلا في شمال سورية. وهناك نص مسماري عثر عليه في تل العمارنة في مصر عنوانه (ملك المعركة) يذكر بأن سرجون الأكدي وصل إلى مدينة بورش خندا في أواسط آسيا الصغرى لنصرة جماعة من التجار الآشوريين الذين أصابهم الظلم على يد أحد الحكام هناك. وقد انتهى العهد الاكدي في العراق بموت (شار . كالي شرّى) ٢٢٣٠ق.م.

حكم مؤسس السلالة الأكدية سرجون خمسة وخمسين عاماً أدخل خلالها الكثير من الإصلاحات على نظام الحكم والجيش بما في ذلك تطوير أساليب الحرب والسلاح. وكذلك حصل تقدم عظيم في العمارة والفنون بشكل عام والتي تميزت في العصر الأكدي بالقوة والحيوية والحركة. ويعد (نرام . سين) أقوى ملوك السلالة الأكدية الذي حكم زهاء أربعين عاماً .

عَم الاضطراب في المملكة أواخر العهد الأكدي، فقد حكم بعد نرام – سين ملوك ضعاف مما شجع الأقوام الجبلية وهم الكوتيون، الذين عرفوا في النصوص المسمارية القديمة بأعداء الآلهة، على غزو بلاد (سومر وأكد). إن حكمهم الذي دام حوالي مائة سنة كان عهداً مظلماً كادت أن تنقطع فيه عنا أخبار العراق القديم. وقد عوض عن ذلك ازدهار الحضارة في جنوبي العراق وبخاصة في مدينة (لكش) وما يجاورها. وقد اشتهر من بين الأمراء السومريين في أواخر هذا العهد أمير أو ملك اسمه (جودية) الذي عرف بتماثيله الكثيرة التي وصلتنا والذي عمل على إحياء الآداب السومرية وتشييد العديد من المعابد الفخمة.

ثالثاً : الحكم السومري :

احتل الكوتيون وادي الرافدين مدة قرن من الزمن تقريباً (٢٢١١ – ٢١٢٠) ق.م وكانوا شعباً بربرياً قدم من جبال زاكروس ودمر كل شيء حضاري في العراق خلال فترة احتلاله له.

ثارت على الكوتيين مدينة (الوركاء) بقيادة أميرها السومري (أوتو – حيكال) الذي لقّب نفسه بملك (سومر وأكد) وأهاب بأهل البلاد لحرب الطغاة الأجانب، فالتّفت حوله المدن وتمكن من القضاء على جموع الكوتيين الكبيرة وخلص البلاد منهم .

* سلالة أور الثالثة :

انتقل الحكم السومري بعد ذلك إلى مدينة (أور) وتكونت فيها سلالة عرفت بسلالة (أور الثالثة) أسسها الملك (أور– نمو) الذي تعد أيامه من عهود العراق المجيدة دامت هي الاخرى حوالي قرن من الزمن (٢١١٣–٢٠٠٦) ق.م

لقد استطاع ملوك هذه السلالة الخمسة أن يعيدوا إنشاء إمبراطورية واسعة على غرار الإمبراطورية الأكدية شملت جزءاً كبيراً من أقاليم الشرق الأدنى. وانتشرت مع التجارة والفتوح حضارة العراق القديم تماماً كما كان عليه الحال في العصر الأكدي. لقد اشتهر ملوك هذه السلالة بأعمالهم العمرانية الفذّة وامتازت دولتهم بالتنظيم وحسن الإدارة في الداخل والخارج وأصبحت العاصمة (أور) في زمنهم قبلة الشرق القديم ليس من النواحي العمرانية والفنية والاقتصادية فحسب بل إنهم سنّوا الشرائع بحسب العرف الاجتماعي ووحّدوا الشؤون القضائية في البلاد .

وفي آخر عهد في حياة السومريين السياسية سقطت على يد العيلاميين، حيث أحرقوا مدينة أور الجميلة ودمروها واخذوا الملك (آبي . سين) أسيراً إلى عيلام. وبهذا انتهى آخر حكم سومري في البلاد وقد تردد صدى الفاجعة التي حلت بأور والبلاد كلها في عمل أدبي سومري يعرف بـ (مرثية اور) التي تصف الخراب الكبير على يد العيلاميين. وإليكم مقطعاً منها: "ايه نانا، أن تلك المدينة قد حولت إلى رميم / في أبوابها العالية، التي كانوا فيها يتنزهون، رميت جثث الموتى / وفي شوارعها المشجرة، حيث كانت تنصب الولائم، استلقوا متناثرين / وفي كل طرقاتها، التي كانوا فيها يتنزهون، سجت جثث الموتى / وفي ميادينها، حيث كانت تقام الاحتفالات / استلقى البشر بالأكوام...."

قبائل مارتو أو آمورو (الأموريين): كانوا سبباً مباشراً في سقوط سلالة أور الثالثة السومرية، لأن هجماتهم المتكررة أضعفت الدولة كثيراً واضطر ملكها (شو . سن) (٢٠٣٨ – ٢٠٣٠) ق.م إلى اقامة حصن دفاعي في مكان بين ماري واور لإتقاء شر غزواتهم. والمعروف عن هذه القبائل أنهم كانوا يتنقلون في بوادي الشام لذلك كانوا أدنى تحضراً من سكان المدن. وقد وصلنا نصّ سومري يصفهم حسب تعبيره: " كانوا سكان خيام لا يعرفون بناء البيوت وكانوا يأكلون اللحم نياً ولا يدفنون موتاهم..."

إن هذه النظرة السومرية عن البدو الأموريين لا ينبغي تفسيرها كما حاول بعض الباحثين بأنها تنم عن تعصب عنصري، وإنما هي تصور واقع الحياة لهذه القبائل البدوية التي كانت أقل تحضراً من البلاد التي جاءوا للاستيطان فيها .

رابعاً : العصر البابلي القديم :

وفي أوائل الألف الثاني قبل الميلاد قامت في العراق أسرة حاكمة جديدة عرفت بسلالة بابل الأولى (١٨٩٤ – ١٥٩٥) ق.م ، يعرف هذا العصر تأريخياً بالعصر البابلي القديم، لعدم ذكر وجود بابل بأي شكل قبل هذه الفترة (ويمكن الافتراض أن المدينة كانت عندئذٍ موقعاً غير مهم نسبياً) . لقد اختار أحد شيوخ القبائل الامورية الزاحفة إلى وسط العراق واسمه (سومو . ابوم) منطقة أو قرية بابل الواقعة على الفرات والمفتوحة على الصحراء الغربية موطناً لتلك القبائل واتخذها مقراً له أثناء الصراع الدائر بين سلالتي (آيسن) و(لارسا) ذلك في السنة الأولى من حكم ملك لارسا (سومو آيل) أي في سنة ١٨٩٤ ق.م. واسمها القديم هو Babilú ، Babila ، Babilim وتعني باب الرب. وبنفس المعنى ورد اسم مدينة كربلاء بصيغة kar-Babila.

استطاع هذا الشيخ الاستقلال في بابل وصار يحصنها ، فبنى سوراً حولها وقام ببعض الإعمار وأعمال الزراعة في محيطها. وخلفه أربعة ملوك قبل حمورابي اهتموا جميعاً بتحصين المدينة وانشاء المعابد وحفر قنوات الارواء وتوسيع نفوذهم إلى بعض المدن المجاورة. وهم (سومو لايل) و(سابيئوم) و(أبل . سين) وآخرهم (سين موباليت) والد الملك البابلي الشهير حمورابي.

وفي شمال بلاد الرافدين ظهر مركز سياسي قوي في ذلك الوقت، أي مع تسلم الملك شمشي أدد الاول (١٨١٤-١٧٨٢) ق.م السلطة في مدينة آشور. وكان لهذا الموقع (مدينة آشور) في الماضي تاريخ طويل؛ حيث لعب دوراً مهماً في الحركة التجارية لاسيما تجارة القصدير منذ الألف الثالث قبل الميلاد في العصر الأكدي. وكانت مملكة آشور في بداية الألف الثاني أيضاً تمتلك محطات

تجارية وصلت حتى الأناضول البعيدة. وحسب مدونات اللغة الآشورية القديمة المكتشفة في kultepe (قانيش القديمة). فقد حمل الآشوريون بالدرجة الأولى القصدير الضروري في انتاج النحاس المحبب إلى آسيا الصغرى، بالاضافة إلى مواد أخرى. وحصلوا مقابل ذلك على الفضة والصفر الذي كانوا ينقلونه على ظهور الحمير عبر أراض جبلية وعرة إلى آشور. ونشاهد هنا في آشور ومنذ هذا الوقت المبكر، وحسب واحدة من الاخبار بأن الملك الآشوري ايلوشوما وصل إلى منطقة بابل في حوالي (١٩٢٠) ق.م.

دولة حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠) ق.م. :

اشتهرت سلالة بابل الأولى بملكها السادس حمورابي (١٧٢٨ – ١٦٨٦) ق.م الذي جمعت في شخصه خصالاً فذة جعلت منه القائد والسياسي والمُصلح والمُشرّع فاستطاع بهذه الخصال أن يوحّد البلاد.

في السنوات الأولى من حكمه لم يكن يملك حرية الحركة كما كان يريد حيث أن مجال حكمه ونفوذه لم يتعدى دائرة محيطها ٨٠ كم حول بابل طيلة فترة الملوك الأقوياء وذوي التجربة مثل (شمشي . أدد) في آشور، (وريم . سين) في مدينة لارسا. اتبع حمورابي سياسة التأرجح واستغلال الفرص بين الأقوياء كونه دولة صغيرة طوال فترة حكمه الأولى، ويستدل من حقيقة الوثائق المنسوبة إلى السنة العاشرة من حكمه أن القسَمْ لم يكن عند حمورابي فقط وإنما تم تأديته كذلك عند (شمشي . ادد) في آشور – (مما يدل على أن حمورابي كان يخضع إلى السيادة الأعلى لملك آشور)–. كما في حملة حمورابي في السنة الثامنة من حكمه ضد أموتبال عبر مملكة لارسا والتي كان يحكمها (ريم . سين) – (لايعتقد أن حمورابي كان يستطيع القيام بهذه الحملة دون حماية ظهره على الأقل بل وحتى دون

مساعدة آشور) -. ولكن حمورابي سرعان ما فقد الحماية الآشورية بعد السنة العاشرة من حكمه أي بعد وفاة (شمشي . ادد) فصار ينتهج سياسة التعايش السلمي مع جيرانه في لارسا وآشنونا وآشور نفسها وحتى ماري.

كما وقعت حرب ضروس بينه وبين الدخلاء العيلاميين أظهر خلالها حمورابي من حسن التدبير والحزم ما مكّنه من تمزيق جموعهم شر ممزق. ومدّ فتوحه بعد ذلك إلى شمالي بلاد الرافدين وإلى جهات الهلال الخصيب الأخرى. ومن أعماله المهمة سنّ شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء المملكة عرفت بقانون حمورابي التي تعد من أولى الشرائع المتكاملة في العالم حيث تجمع بين القانونين المدني والعقوبات فضلاً عن الأحوال الشخصية. إلا أننا نشاهده بعد انتظار طويل قد دخل في حرب ضروس مع آشور في العقد الأخير من حكمه ولكن ليس من الواضح إلى أي مدى حقق الانتصار ضد آشور. وإلى أي حد تم الحاق مركز بلاد آشور بدولة حمورابي، "أما عن تسمية ونينوى على أنها من المدن الواقعة تحت سيطرة حمورابي كما ورد في العمود الرابع من المقدمة، الأسطر (٥٥-٦٣) لقوانين مسلته والمتكونة من (٢٨٢) مادة – عدا المقدمة والخاتمة – فيبقى دليلاً غير مؤكد على خضوعها" . وعندما لقب نفسه بـ "الملك العظيم، ملك بابل، ملك بلاد الآموريين كلها، ملك سومر وأكد، ملك الجهات الاربع" لم يذكر كونه ملك آشور!

وقد وصف الباحث (جورج رو) حال نهضة بابل العظيمة هذه والتحلل السريع لمملكة حمورابي كما يلي: "كانت في العراق خمس دويلات ذات ماضٍ عريق في الاستقلال . تمت عملية مركزتها مع بابل بالإكراه . وكانت جهود حورابي بجعل بابل المركز السياسي والاقتصادي والروحي للبلد، مرتبطة بالخير الذي تجلبه

العملية الى البلاد . إلا أن ناتج العملية كان تحطيم المقاطعات بشكل أو بآخر وخلق حالة تذمر متزايدة في مدن سومر وآشور المجيدة، حيث كانت ذكرى انجازات شمشي . ادد الكبيرة ما تزال حية في الاذهان . لذلك لا نستغرب أن نشاهد اندلاع الانفجارات والعصيان بسرعة مع موت حمورابي والتي أدت الى التحلل السريع للمملكة . ومن الطريف أن نذكر أن المجد والقوة التي استعادتها بابل بعد ذلك كانت من عمل أجانب آخرين هم الكاشيون".

إن أهم ما تمّيز به العصر البابلي القديم اتساع المدن وكثرتها، كما حدث تطوّر مهم في العلوم والمعارف البشرية حيث انتقلت من أطوارها العملية إلى طور التدوين والبحث بحيث يصح أن نعد بداية ظهور العلوم البشرية الحقة كانت في هذا العصر. ليس هذا فحسب بل إن الحضارة من بلاد الرافدين قد أخذت طريقها في العصر البابلي القديم إلى جميع أنحاء المشرق وإلى أطراف العالم القصية .

خامساً : العصر البابلي :

ولقد غزت العراق في أواخر العصر البابلي القديم أقوام جاءت من الشرق أو من الشمال الشرقي عرفوا بالكشيين. أسسوا سلالة حاكمة جديدة دام حكمها زهاء خمسة قرون. وقد عرف هذا العهد بالعصر البابلي الوسيط الذي يعد من العصور المظلمة في العراق. لم يخلف لنا الكاشيون وثائق أو سجلات تاريخية بلغتهم الأصلية وإنما استعملوا لغة بلاد بابل . ويبدو أنهم قد تخلّوا عن ديانتهم التي كانوا عليها ليعتنقوا الديانة البابلية. وقد أسسوا في منتصف عهدهم عاصمة جديدة قرب بغداد الحالية عرفت باسم (دور- كوريكالزو) أي مدينة الملك الكشي كوريكالزو.

الكاشيون :

أقوام سكنت جبال زاكروس قبل غزوهم لبلاد الرافدين واسمهم مشتق من اسم الههم القومي "كشو". إن فترة الخمسة قرون بين (١٦٠٠ - ١١٠٠) ق.م التي كانت بابل تحت سيطرتهم تعتبر ذات أهمية كبيرة من حيث التطورات الدولية والعلاقات السياسية في منطقة الشرق الأدنى. نتيجة لتعاصر ثلاثة قوى في المنطقة: الحثيون في آسيا الصغرى. والكاشيون في العراق وقيام مملكة الجديدة في مصر. بالإضافة إلى الآشوريين في الشمال.

لقد عرف هذا العصر بعصر العلاقات الدبلوماسية والسياسية وتبادل السفراء بين الملوك والأمراء لتلك الدول. واستفاد الكاشيون كثيراً من توازن القوى في هذه الفترة من الزمن. حيث تكشف لنا نصوص تل العمارنة المكتشفة عام ١٨٨٧ في انقاض قصر الملك اخناتون والتي يزيد عددها عن (٣٦٠) رسالة وتعود إلى زمن أمنوفس الثالث واخناتون ابنه وهي مكتوبة بالخط المسماري واللغة الأكدية. وقد أرسلت الى هذين الملكين من قبل الملوك الكاشيين والميتانيين والاشوريين وعدد من حكام المقاطعات في سوريا وفلسطين...الخ . ونقرأ في رسالة من الملك الكاشي برنابورياش الثاني (١٣٨٠- ١٣٥٠) ق.م إلى أمنوفس الرابع (نو . خفيرو . رع) ملك مصر. كيف يمتعظ فيها الكاشي من الاستقبال المصري للوفد الآشوري بصفة رسمية ويدعي تبعيتهم إليه ".... أما ما يخص الآشوريين من اتباعي، أفلَمْ أخبرك برسالتي في شأنهم، فلمَ دخلوا بلادك؟. وأنت ستعمل على احباط سعايتهم وجهودهم. وفي الختام لقد أرسلت إليك هدية ثلاثة منات من حجر اللازورد وعشرة أفراس لخمس عربات".

وقد بنى كوريكالزو الأول مدينة جديدة لتكون عاصمة له بدلاً من بابل وهي مدينة دور . كوريكالزو (عكركوف) إلى الغرب من بغداد ٢٠ كم. والتي اقتحمها الملك الآشوري توكلتي . ننورتا الأول (١٢٤٤ . ١٢٠٨) ق.م محرراً بلاد بابل من الكاشيين وضمها إلى الحكم الآشوري المباشر إذ وردنا في كتابة له: ".... وفي غمار تلك المعركة اطبقت يدي على كاشتيلياش الملك الكاشي... وجلبته وهو مكبل وعار أمام الإله آشور. واخضعت بلاد سومر وآكد حتى أبعد حدودها لسلطتي فأمتدت حدود أرضي إلى البحر الأسفل ذي الشمس المشرقة".

سادساً : الآشوريون :

صادف قيام السلالة الكاشّية نمو المملكة الآشورية في القسم الشمالي من العراق. فبدأوا ينازعون الكاشيين زعامة البلاد السياسية. والآشوريون فرع من الأقوام الجزرية التي هاجرت في الأصل من شبه جزيرة العرب. وهناك نظرية أخرى مفادها أنهم جاءوا من جنوب العراق من أرض بابل وحلّوا في شمالي بلاد الرافدين في زمن لعله في العهد الأكدي ومما يدعم ذلك أنهم يتكلمون بلهجة من اللهجات البابلية.

الأدوار التي مرت على بلاد آشور:

لقد سكن الانسان في بلاد آشور منذ أقدم العصور وحتى الآن، واتفق العلماء على تقسيم مراحل التاريخ الآشوري كما يلي:

١ . العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠ . ١٥٠٠) ق.م.

٢ . العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠ . ٩١١) ق.م.

٣ . العصر الآشوري الحديث (٩١١ . ٦١٢) ق.م.

العهد الآشوري القديم :

وتدخل فيه حقب طويلة لاسيما إذا أدمجنا فيه عصور ما قبل التاريخ. لقد بدأ الآشوريون في هذا العهد ببناء مملكة قوية موحدة مستقلة، ظهر منهم ملوك أقوياء مثل (إيلو . شوما) الذي عاصر مؤسس سلالة بابل الأولى وكذلك (شمشي أدد الأول) (١٨١٤ – ١٧٨٢) ق.م. الذي بلغت المملكة في زمنه من القوة ما مكّنها من فرض سلطانها على القسم الشمالي من بلاد بابل.

تشير النصوص الآشورية المكتشفة في موقع (كول تبة) – قانش قديماً – إلى وجود جماعات آشورية تعمل بالتجارة في هذه المنطقة منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، وأن هذه المستوطنات التجارية الآشورية كانت تتمتع بنوع من الاستقلال الإداري والقانوني ضمن اطار سيادة الحكام المحليين، وأنها ظلت تحتفظ بولائها لآشور الأم وتدين بديانتها وتتبع نظمها وتقاليدها وقوانينها وتعيش حياة آشورية بصورة عامة رغم بعدها الشاسع عن الوطن الأم. وكان يطلق لفظة كاروم (Karum) على كل مركز من تلك المراكز التجارية الآشورية والذي يعني (ميناء).

بدأت فترة النهوض القوية الأولى لآشور مع ظهور شمشي أدد الاول (١٨١٤– ١٧٨٢) ق.م وتحديداً عندما بدأ هذا الملك بتوسيع رقعة بلاده بضم بمدينة ماري على الفرات ثم امتدت علاقاته إلى يمخد (حلب)، وقرقميش (جرابلس)، وقطنا. وفي الجهة الشرقية للملكة بسط نفوذه على القبائل الكوتية والتركية واللولبية ومع الجنوب أي مع حمورابي كانت له علاقات صداقة ومجاملة.

ودأب الآشوريون على تنمية كيانهم السياسي، تعرضوا فيه إلى سلسلة من الإمتحانات والمصاعب بسبب ضغط الدول والأقوام التي كانت تجاورهم، خرجوا

من كل ذلك أشداء أقوياء إذ خلقت منهم قوة عسكرية رهيبة فرضت سلطانها على شعوب العالم القديم لعدة قرون تلت. ويعد شلمنصر الأول (١٢٦٦ - ١٢٤٣) ق.م. من أعظم ملوك هذا العهد سيما في حقل التوسع والفتوح الخارجية بعد أن توطدت شئون المملكة الداخلية في عهده .

وخلال العصر الآشوري الوسيط والذي بدأ مع حكم بوزور . آشور الثالث ١٥٢١ ق.م تقلبت أوضاع بلاد آشور في هذه الحقبة الطويلة من تاريخها والتي استمرت زهاء ستة قرون.

فقد تمكن آشور اوبالط (١٣٦٥ - ١٣٣٠) ق.م من تحرير البلاد من النفوذ الميتاني في الأجزاء الشمالية منها. واعترفت مصر بسيادة قوة الدولة الآشورية واقامت معها علاقات صداقة. أما الكاشيون فقد فشلوا في تأليب المصريين ضد الآشوريين كما فشلوا في السيطرة على بلاد آشور. لذلك اختاروا طريق السلم والصداقة وعقدوا معاهدة مع الملك الآشوري ختمت بزواج سياسي بين ابنة الملك الآشوري وابن الملك الكاشي. ولكن هذه الصداقة سرعان ما تعرضت إلى نقض من لدن البابليين فحدثت مؤامرة في البلاط الكاشي أبعد بموجبها صهر الملك الآشوري ونصّب شخصاً آخر ملكاً مكانه مما جعل آشور اوبالط أن يتدخل ويعيد تنصيب حفيده من ابنته ملكاً على بابل. غير أن الاضطرابات بين الآشوريين والبابليين سرعان ما اندلعت مرة أخرى مع موت آشور اوبالط.

اصبحت البلاد الآشورية منذ هذا التاريخ مهددة بالأخطار من جهات مختلفة. فكان على الملوك المتعاقبين أن يعملوا على تثبيت سياسة حكيمة لدرء الأخطار عن دولتهم. وقد خلقت هذه الظروف الصعبة زعماء أقوياء وحكماء في

خبرتهم الإدارية والعسكرية والدبلوماسية فأثبتوا للعالم كفائتهم في ذلك وأسسوا دولة منظمة قوية بسطت نفوذها على جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم.

من هنا صارت تواجه المختص في التاريخ الآشوري مشكلة متكررة وهي: أن الفترات التي كانت فيها دولة آشور قوية وملوكها من الشخصيات الرئيسية كانت تتناوب مع ظاهرة كون كل من الدولة والملوك قد تضاءل إلى عدم الأهمية والمقدرة في المحيط الدولي والداخلي. فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو: هل أن الملوك المقتدرين هم الذين رفعوا شأن آشور إلى القوة والرفاهية بكفاءاتهم الغريزية، أم أن تحسن الأوضاع الدولية بالنسبة إلى الدولة الآشورية دفع ملوكها نحو الهدف والقوة العسكرية والاقتصادية؟

المؤرخ الشهير هاري ساكز يرى: "أن الحقيقة تقع بين هذين الرأيين المتطرفين. فليس هناك ملك مهما كانت قابلياته يمكن أن يرفع شأن آشور بين فكيّ أوضاع دولية معادية. ولكن عندما تكون الأوضاع الدولية لصالح آشور فأن الملك المقتدر والعزوم فقط يتمكن أن يتسفيد استفادة قصوى من ذلك" . يستنتج من هذا أن معظم الملوك الآشوريين كانوا مقتدرين يتحينون الفرص. ومن بين هؤلاء القادة العظام كان:

شيلمنصر الأول (١٢٧٤ - ١٢٤٥) ق.م الذي اشتهر بفوتاحته الكبيرة وقضائه على الأقوام الجبلية شمال شرق البلاد الآشورية وبحملته على اورارطو (ارمينيا) لأول مرة. والحاقه دولة خانيكلبات بالدولة الآشورية وتأسيسه عاصمة جديدة للدولة وهي مدينة كالخو. ثم خلفه ابنه توكلتي ننورتا الأول (١٢٤٤ - ١٢٠٨) ق.م سار على نفس السياسة الخارجية الآشورية حيث قام بفتوحات عسكرية كبيرة في الغرب والشمال. واتبع سياسة التهجير السكاني. أما

بالنسبة إلى بابل فقام بهجوم كاسح عليها واخضع الملك الكاشي ودخلت بابل لأول مرة تحت الحكم الآشوري المباشر. فكان ذلك السبب الأول والمباشر في تمازج الحضارتين. وانتقال عبادة مردوخ البابلي إلى بلاد الآشوريين ودخول اسمه في تركيب كثير من الأسماء الآشورية وكان ذلك مؤشراً إلى ميل الآشوريين للتحرر من الأقليمية والانفتاح إلى بلاد بابل واقتباس بعض مقوماتها الحضارية. وفي الوقت نفسه انتقلت كثير من المظاهر الحضارية الآشورية إلى بلاد بابل. والسبب الرئيسي وراء هذه الحملة الآشورية واحتلال بابل كانت أطماع الحاكم العيلامي (اونتش . كال) الذي خاض معركة ضد البابليين وربحها وذلك قبل اضطرار الآشوريين للتحرك صوب بابل وجلب ملكها (كاشتيلياش) أسيراً إلى نينوى.

وبعد مقتل الملك الآشوري هذا وانشغال الآشوريين بالاضطرابات الداخلية انتهز العيلامي (شترُك . تاخنتي) الفرصة وزحف بجيش كثير على بابل واجتاح معظم جنوب العراق ونهبه بشكل لم يسبق له مثيل، فنقلت النصب المشهورة وأعمال النحت الفنية الرفيعة مثل مسلة حمورابي ونرام سين ونصب مانشتوسو إلى سوسة.

وفي عام ١١١٥ ق.م اعتلى العرش الآشوري الملك تجلات بليزر الأول الذي استطاع أن يعيد البلاد الآشورية إلى قوتها السابقة وأكثر. حيث قضى على الأقوام التي عرفت بالمشكو في آسيا الصغرى وفي الشمال الغربي وصل الآشوريون إلى الساحل السوري. أما في الغرب فهاجم القبائل البدوية الرحل أخلامو. أما سياسته تجاه بابل فليست واضحة تماماً غير أنه قام ببعض الغارات العسكرية التأديبية على حدود بابل.

ولقد تدهورت الأوضاع الآشورية في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد انتهت بثورة قامت بها مدينة (كالح) الآشورية على الملك (أشور. نراري الخامس)،

فقتل وتولى زمام الأمور تيجلاتبليزر الثالث (٧٤٥-٧٢٧) ق.م. الذي بدأ عهداً جديداً في تاريخ الآشوريين تكونت فيه آخر وأعظم إمبراطورية آشورية حيث صارت فيه مجدداً سيدة الشرق القديم، وكان من أعظم إنجازاتها توحيد بلاد بابل وآشور في مملكة واحدة .

العصر الآشوري الحديث :

يمتد بين (٩١١ - ٦١٢) ق.م ثلاثمائة سنة غيرت وجه الشرق الأدنى بالكامل. حيث وصل الآشوريون خلالها إلى قمة مجدهم وازدهارهم وعنفوان قوتهم العسكرية.

إن التعاظم الآشوري هذا واتساع نفوذهم لم يكن محض صدفة بل لابد من وجود أسباب وعوامل عدة وراء ذلك. ومن هذه العوامل ما هي داخلية وأخرى خارجية. ومنها ما يمكن معرفته أو استنتاجه من متابعة تطور الأحداث ومنها ما يبقى غامضاً.

لتحليل السياسة الآشورية في هذه المرحلة ذهب الباحثون منحيَين مختلفيّن تماماً. فهناك من الباحثين المحدثين من يعزي الانتصارات العسكرية الآشورية وتعاظم قوتهم العسكرية ومن ثم التجارية والإدارية والعلمية إلى الأساليب الهمجية البربرية التي اتصفت بها الحملات العسكرية وإلى تعطش وتلذذ الملوك الآشوريين العظام إلى القتل وسفك الدماء وتعذيب الأعداء ونهب خيرات الآخرين..الخ. وقد يبدو هذا التوجه صحيحاً لأول وهلة طبقاً إلى المصادر التي اعتمدها هؤلاء الباحثون.

ولكن بمجرد إجراء دراسة تحليلية وعلمية للتاريخ الآشوري السياسي والحضاري للقرون الثلاثة الأخيرة. مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف والمخاطر التي كانت تمر بها الدولة الآشورية سوف يتبين بوضوح خطأ هذا الرأي وعدم مطابقته لواقع السياسة الآشورية ومتطلبات الحالة آنذاك. فالمصدر الرئيسي لمثل هكذا باحثين هو أسفار العهد القديم (التوراة) بالاضافة إلى النصوص المسمارية التي دونها الملوك الآشوريون أنفسهم عن أخبار حملاتهم العسكرية المتلاحقة إلى الشمال والغرب والشرق من البلاد الآشورية. تلك الكتابات التي عرفت بالحوليات الملكية أو النصوص التاريخية الملكية. اضافة إلى المشاهد المنحوتة التي صورها الفنانون الآشوريون وحسب رغبات الملك على ألواح الرخام والتي كانت تزين جدران القصور الرئاسية.

أما بالنسبة للتوراة نقول بما أنه كُتب في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد أثناء السبيّ البابلي لليهود أي بعد زوال الدولة الآشورية وبعد قضاء الدولة الكلدية (البابلية الحديثة) على مملكة يهوذا وسبيّ سكانها إلى بابل فمن الطبيعي أن يكون مثل هؤلاء الكتّاب من أشد الحاقدين على الآشوريين وبابليين. وجاءت كتاباتهم تظهر هذا الكره والحقد الشديد للآشوريين بصورة خاصة وللعالم غير اليهودي بصورة عامة. هكذا فقد أظهرت التوراة الآشوريين بمظهر الطغاة والقتلة وخير صفاتهم الشراسة وسفك الدماء دون مبرر. وكأن ملوك اسرائيل ويهوذا ومصر ومن قبلهم ومن بعدهم كانوا حمامات السلام.

أما عن النصوص الملكية المكتوبة فيمكن القول أن الملوك الآشوريين كأسلافهم الملوك العراقيين الذين سبقوهم كانوا يدونون أخبارهم ومنجزاتهم العسكرية والعمرانية على ألواح خاصة لوضعها في المعابد والقصور وأمام تمثال

الإله القومي للبلد أو المدينة لتكون بمثابة تقرير ملكي رسمي مقدم إلى ذلك الإله للاطلاع على أعمال وكيله وقائد بلاده الملك المأمور والمفوض من قبل هذا الإله للقيام بحماية البلاد والعباد. ومن الطبيعي أن تكون لغة أو أسلوب المبالغة هو السائد في هذه النصوص.

ومن هنا تظهر الإنجازات والانتصارات فقط، غافلة الاخفاقات والخسائر في معظم الأحيان. ومن الطبيعي أيضاً اظهار قوة الملك وقسوته وقدرته على البطش بالإعداء وقمع الثورات. لأنها أي هذه الألواح كانت الوسيلة الوحيدة المتيسرة لبث الدعاية والإعلام للملك ودولته ومقدار سلطته. هكذا فإن ما ذهب إليه المؤرخون المحدثون لا يعطي الصورة الحقيقية والواقعية للسياسة الآشورية.

ولكن يجب ألا يُفهم من هذا أن الآشوريين لم يكونوا شجعاناً وأقوياء وأشداء على الأعداء وقساة مع المتمردين والعصاة وكل من كان يحاول النيل من أمن بلادهم. وفي هذا الصدد يُورِد (توينبي) ترجمة نص مسماري آشوري يصف روحية الجيش الآشوري والانضباط العسكري العالي فيه : " لن يتعب أي منهم أو يتعثر، ولن يتغلب النعاس على أي منهم أو ينام، كما لن يرتخي حزام خاصرة أي منهم أو ينقطع شريط حذاءه " .

إن السياسة التي انتهجها ملوك وقادة آشور كانت هي السياسة الناجحة والوحيدة آنذاك لضمان أمن وسيادة الدولة الآشورية وحماية حضارتها من الدمار. كما أن الآشوريين لم يلجأوا إلى القوة إلا كحلّ أخير ونهائي لحل المشاكل لأن سياستهم الخارجية كانت قد أتصفت بالاتزان والتعقل مقارنة مع سياسة الأقوام التي عاصرتهم وحتى تلك التي جاءت من بعدهم، وأن حروبهم رغم قساوتها لم تختلف

عن الحروب العيلامية والحيثية والمصرية وحتى الحروب الفارسية واليونانية والرومانية التي جاءت بعد الآشوريين بكثير.

كما ذكرنا وكما هو معلوم كانت ثلاثة قوى كبرى تتحكم بمصير بلدان الشرق الأدنى القديم قبيل نهاية الألف الثاني قبل الميلاد: وهي الإمبراطورية الحيثية في آسيا الصغرى وشمال سوريا. والسلالة الكاشية في بابل والإمبراطورية المصرية بالإضافة إلى دولة آشور المتجهة نحو النمو والازدهار. وقد حصلت تغيرات عظيمة مع بداية الألف الأول قبل الميلاد حيث زالت الإمبراطورية الحيثية، وانكمشت مصر نتيجة الخلافات الداخلية وانهاك قوتها في الصراع مع الحيثيين، ولكنها ظلت تحرض الدويلات السورية ومملكة يهوذا وإسرائيل وتمدها بالعون للتمرد ضد النفوذ الآشوري الذي كان ينافسها في مصالحها التجارية على ساحل المتوسط. وعندما اصطدم الآشوريون معهم أي مع المصريين نتيجة هذا الموقف، مالبثت مصر أن فتحت أبوابها أمام الجيوش الآشورية واصبحت تحت الحكم الآشوري المباشر.

أما إلى الجنوب أي في بلاد بابل فبعد زوال السلالة الكاشية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد تعاقب على حكم البلاد عدد من السلالات المحلية والغريبة الضعيفة التي لم تقوَ على مجابهة أعدائها وأعداء الآشورين، مما جعل الآشوريين في وضع صعب! عليهم الاختيار بين الزحف وضم بابل إلى الحكم الآشوري المباشر لدرء الخطر القادم من الجنوب (بلاد البحر) أو تقديم الدعم والاسناد إلى تلك السلالات البابلية الضعيفة وغير الملتزمة مع الآشوريين وسياستهم الحازمة. من هنا كانت مشكلة الآشوريين مع بابل أي إنها هي العقدة البابلية التي استمرت طوال فترة العصر الآشوري الحديث وحتى بعد سقوط آشور.

وفي هذه المرحلة المهمة من عمر الدولة الآشورية، كان على كل ملك آشوري يتقلد زمام الأمور أن يثبت سلطته وكيان دولته المترامية الأطراف ويقوم بحملات عسكرية دون توقف وإلى الجهات المختلفة لمجابهة الأخطار وبسط نفوذ الدولة على الأقاليم المجاورة. هكذا تحقق الانتصار تلو الآخر وتأسست أعظم امبراطورية في تاريخ العراق القديم. وكان السبيل الأول إلى ذلك قوة وعزم وثبات الفرد الآشوري وصلابته بالاعتماد على النظم الإدارية الكفوءة والدقيقة التي اتبعتها الحكومات المركزية في إدارة البلدان المفتوحة حديثاً والأقاليم التابعة. وعلى قدرة وكفاءة وقوة الجيش الآشوري وكفاءة عدده وحسن تنظيمه وتدريبه وقابليته للدفاع والهجوم وفي مختلف البيئات والظروف التي تميزت بها الجبهات الآشورية المختلفة. وبناء على نتائج هذا التوسع الآشوري الكبير تم ضمان سلامة الطرق التجارية وتطويرها مما سبب تدفق البضائع والأموال إلى المدن الآشورية الرئيسية. وهذا بدوره سبب في ازدهار العمران والفن والعلوم والحياة الاجتماعية بصورة عامة.

كما أن سياسة التهجير التي اتبعها معظم الملوك الآشوريين في هذه المرحلة كان لها الأثر الكبير في امتزاج الحضارات والثقافات ضمن الشرق الأدنى على الأقل. ومن ثم انتقال مظاهر الحضارة الآشورية إلى بلاد اليونان وجزر البحر المتوسط وبحر إيجة إثر اتصال الآشوريين عسكرياً بساحل البحر المتوسط وسواحل آسيا الصغرى واحتكاكهم بأقوام الحوض المتوسطي عموماً.

* **أدد . نيراري الثاني** : (٩١١ – ٨٩١) ق.م ، أول ملك من العصر الآشوري الحديث الذي قام بحملة عسكرية على بلاد بابل سالكاً الطريق الشرقي،

وعقد معاهدة معها لتثبيت الحدود بين الدولتين ولهذه المعاهدة أهمية خاصة لأنها احتوت على موجز لتاريخ المنازعات بين الطرفين.

- **توكلتي نينورتا الثاني** : (٨٩٠ - ٨٨٤) ق.م ، توجه بحملته الثالثة إلى بلاد بابل ووصل إلى دور .كاريكالزو وسبار مما يدل على ضعف السلالة البابلية المحلية. وفي طريق عودته سار مع الفرات ومنه إلى الخابور حتى وصل نصيبين وتوغل في آسيا الصغرى استظهاراً للقوة.

- **آشور ناصربال الثاني** : (٨٨٣ - ٨٥٩) ق.م ، الذي يصفه (جورج رو): "وقد جمع كل مميزات ومساويء الملوك العظام الذين سبقوه حيث كان طموحاً شجاعاً متغطرساً ومجداً وظالماً. ولا نصادف في تمثاله الذي عثر عليه في نمرود والمعروض الآن في المتحف البريطاني أي ظل لابتسامة، ولا حتى أية سمة انسانية بل نجد أنفسنا أمام تمثال صارم لعاهل متجبر ذي أنف يشبه منقار النسر ونظرة تتبدى عن نظرة مباشرة فاحصة لرئيس يتوقع من رعاياه طاعة مطلقة وفي يديه الرمح والصولجان".

وجه آشور ناصربال حملتين إلى مدينة بابل فقضت على كل تمرد فيها. وهو الذي قام بتجديد مدينة كالخو بالكامل وافتتحها ٨٧٩ ق.م في احتفال رسمي ضم حوالي سبعون ألف شخص واقيمت احتفالات بالمناسبة لمدة عشرة أيام متتالية.

وفي النص الخاص بتفاصيل هذه المادبة (الإحتفال) التي اقامها آشور ناصربال الثاني بمناسبة اكمال قصره الشمالي الغربي في كالخو. الذي ورد على مسلة حجرية كبيرة عثر عليها في كالخو وهي الآن محفوظة في متحف الموصل. وفي الكتابة المرقمة (١١٦) والتي بدايتها: "عندما قدس آشور ناصربال ملك بلاد

آشور القصر البهيج القصر المليء بالحكمة، دعا آشور الإله العظيم وآلهة البلاد كلها...". وردت أسماء وكميّات وتفاصيل المواد الغذائية والمشروبات والفاكهة المقدمة للمدعويين لهذه المناسبة السعيدة والذين بلغ عددهم (٦٩٥٧٤) وكما يلي:

١ - ٤٧٠٧٤ رجل وإمرأة المدعويين في أنحاء البلاد الآشورية.

٢ - ٥٠٠٠ من النبلاء والمبعوثين من الدول الصديقة والمجاورة.

٣ - ١٦٠٠٠ سكان كالخو.

٤ - ١٥٠٠ عمال القصر (زريقو).

ويختتم النص هكذا ".. فقدمت لهم الطعام والشراب لعشرة أيام وجعلتهم يستحمون ويدلكون بالزيت. هكذا أكرمت (ضيوفي) واعدتهم إلى بلدانهم بسلام وبهجة".

ولمعرفة عظمة هذا القصر ومدينة كالخو وعاهلها يكفي أن يفكر القاريء بكيفية التخلص من الفضلات الصلبة وفضلات المطبخ بالاضافة إلى كيفية توفير الماء اللازم لمثل هذا العدد من البشر في زمن لم يكن نظام الإسالة والصرف الصحي في المدن معروفاً .

- **شيلمنصر الثالث** : (٨٥٨ - ٨٢٤) ق. م ، لقد فاق والده في كثرة حملاته العسكرية حيث كرس ثلاثة وثلاثين سنة من عهده الذي دام خمسة وثلاثين عاماً لشن الحروب على الأعداء. وكان نصيب بابل منها عندما قام باخماد الثورة التي نشبت فيها ضد الملك البابلي الموالي للدولة الآشورية والتي قادها شقيق الملك البابلي هذه المرة بدعم من القبائل البدو (الآراميين) وبلاد البحر. وبعد طلبُ الملك العون من شيلمنصر الآشوري الذي دحر المتمردين ودخل بابل وقدم

الضحايا في معبد مردوخ ومعابد كوثا وبارسيبا وعامل سكان تلك البلاد المقدسة بكرم ورعاية، ويقول بهذا الصدد: " أعددت لشعب بابل وبارسيبا المحمي أحرار الآلة العظيمة وليمة فخمة فقدمت لهم الطعام والشراب وكسوتهم بالحلل الزاهية وقدمت لهم الهدايا ". ثم تقدم إلى الجنوب وهزم أعداء بابل الكلديين ولاحق فلولهم في كل مكان.

– **شمشي أدد الخامس** : (٨٢٤ – ٨١١) ق.م ، رغم مساعدة بابل له أبان الثورة التي اندلعت في أواخر أيام والده شيلمنصر والتي استمرت أربعة سنوات، إلا أنه اضطر بعد تسلمه الحكم إلى توجيه حملة عسكرية ضد بابل نتيجة تحالفها السريع مع عيلام وبعض قبائل بلاد البحر ضد آشور. ولكن شمشي أدد استطاع القضاء على ذلك التحالف. وقدم القرابين لإله بابل عام ٨١١ ق.م كما فعل أسلافه.

– **أدد . نيراري الثالث** : (٨١١ . ٧٨١) ق.م ، كان قاصراً فصارت أمه (سمو . رمات) شميرام وصية على العرش الآشوري في بداية توليه السلطة. إلا أنه استطاع إدارة دفة الدولة بنجاح ولفترة غير قليلة.

– **تجلات بليزر الثالث** : (٧٤٥ . ٧٢٧) ق.م ، مع بدأ عهد الامبراطورية الآشورية الثانية ومع تسلمه السلطة كانت الدولة منكمشة على ذاتها وقد استقلت معظم أقاليمها التابعة لها وتدهور الاقتصاد أيضاً. إلا أنها تمكنت في أيامه من إعادة قوتها وسيطرتها السابقة بل وامتد نفوذها إلى مناطق جديدة لم تكن واقعة تحت سيطرتها في السابق أبداً. وكانت أولى حملاته نحو نهر الكارون والتي دفعت ضغط قبائل البحر عن بابل التي حرص العرش الآشوري على استقرارها السياسي

دوماً. حيث ورد اسم الملك البابلي في كتابة عن هذه الحملة، مؤكدة بأنه في حماية الملك الآشوري.

وفي السنوات الأخيرة من حكمه اندلعت ثورة في بابل مرة أخرى والتي قادتها القبائل الكلدية القاطنة في أقصى الجنوب أي منطقة الأهوار، وازاحت الملك البابلي الموالي للآشوريين. ونَصّبَت أحد الشيوخ الكلديين بديلاً عنه. فما كان على هذا الملك القدير إلا أن جهز حملة وقادها بنفسه وسلك الطريق الشرقي إلى بابل ودخلها ونصب نفسه ملكاً عليها بعد أن خرّب منطقة القبيلة العاصية، وكان ذلك في عام ٧٢٩ ق.م وقد عرف هذا الملك في المصادر البابلية ومن ثم العبرية باسم (بولو).

– **شيلمنصر الخامس ابن تجلات بليزر** : (٧٢٦ – ٧٢٢) ق.م ، اتبع نفس السياسة مع بابل حيث نصب نفسه ملكاً عليها دون أن يمارس القسوة مع سكانها في الوقت الذي زحف على رأس قوة عسكرية كبيرة إلى بلاد سوريا وفلسطين وحاصر السامرة عاصمة إسرائيل وفتحها عنوة ونقل معظم سكانها إلى مناطق بعيدة وأحكم السيطرة عليها.

– **سرجون الثاني** : (٧٢١ – ٧٠٥) ق.م ، يعد الملك سرجون الثاني واحداً من أعظم ملوك هذه الحقبة ليس فقط بسبب إنجازاته الفنية والمعمارية العظيمة والتي كان منها تشييد عاصمة جديدة قرب نينوى أطلق عليها اسم (دور شروكين) أي مدينة سرجون والتي تعرف خرائبها بـ (خرساباد) في الوقت الحاضر. كما عرف بفتوحاته الخارجية العظيمة منها القضاء على المملكة اليهودية الشمالية (السامرة) بسنة ٧٢١ قبل الميلاد وترحيل الكثير من سكانها إلى أماكن أخرى داخل حدود الإمبراطورية الآشورية. وكذلك قضاؤه على التحالف بين الفراعنة والدويلات

الصغيرة في فلسطين وسوريا، وكان المصريون قد أرسلوا جيشاً قوياً لمساعدة قوات التحالف. فتصادم الجيشان قرب مدينة رفح تمخّضت عن اندحار قوات التحالف وفرار القائد الفرعوني.

بعد تتويج سرجون مباشرة وقعت حادثتان كان لهما أثر استراتيجي في السياسة الآشورية والشرق الأدنى لمدة مائة عام القادمة، وهما: تدخل مصر في فلسطين، وعيلام في بابل لعدم استعداد مصر وعيلام لمقارعة دولة كانت في أوج قوتها، فكانت تجربته مع بابل مطابقة لمن سبقه من الملوك الآشوريين. عندما كانت تعلن التمرد والعصيان مع وفاة الملك وتقلد ملك آخر بعده السلطة، فكانت أولى حملاته عليها عندما ثارت القبائل الكلدية كعادتها وزحفت على مدينة بابل وخلعت ملكها الموالي لـ آشور ونصبت بدلاً عنه زعيم الكلديين (مردوخ . ابلا . ادينا) وتحالفت مع بلاد عيلام لضرب الآشوريين. كانت حملة سرجون الأولى غير حاسمة لفرار مردوخ إلى بلاد البحر وإعلانه العصيان بعد حين مما أجبر سرجون إلى العودة إلى بابل ثانية بقوة وحزم أكبر ودخل المدينة البابلية دخول الفاتحين ولقي الآشوريين الترحاب من لدن شعب بابل المحليين ؛ ليس القبائل المتمردة في بلاد البحر . ونصب سرجون نفسه نائباً للإله في بابل وظلت بابل موالية للدولة الآشورية حتى نهاية عهده.

– **سنحاريب** : (٧٠٤ – ٦٨١) ق.م ، هو الآخر شغل معظم فترة حكمه بحل مشكلة بابل الدائمة بالاضافة إلى مشكلة الحوريين. أما بخصوص بابل فكما شاهدنا أنه مع كل حالة تغير ملك في آشور كانت القبائل الكلدية في الجنوب تثور ضد الملك البابلي وتقصيه عن الحكم وتنصب زعيماً من زعماء القبيلة ملكاً وذلك

بدعم ومباركة عيلام المحرك الأصلي لهؤلاء البدو والمثير الأول للمشاكل في جنوب، ومن ثم في وسط البلاد عن طريق تغيير النظام في بابل.

وهذا الذي حصل فعلاً بعد سنتين من تولي سنحاريب الحكم في نينوى، فجهز حملة عليهم وقضى على التمرد. غير أن التمرد (البابلي – الكلدي – العيلامي) عاد ثانية فقمعهم سنحاريب أيضاً. وللمرة الثالثة استمرت عيلام (شوش) في تحريض القبائل وتقديم الدعم العسكري لها. مما جعل سنحاريب أن يهاجم بلاد عيلام – مصدر العقدة البابلية – ويقضي عليها قضاءاً مبرماً. وقد استعمل السفن التي صنعها في نينوى والتي قادها البحارة الفينيقيين في الأهوار والخليج العربي خلال هذه الحملة.

بعد ذلك توجهت جيوش سنحاريب تجاه بابل فدمرتها بالكامل وسلطت مياه الفرات عليها. بعد فشل سياسة اللين والترضية مع السكان المحليين الضعفاء والمغلوبين على أمرهم أمام دسائس الكلديين وعيلام. وأعلن سنحاريب نفسه ملكاً على بلاد بابل وقضى على المشكلة إلى حين. ومن ثم زحف بقواته من بابل عبر الصحراء إلى منطقة العريش أو رفح الحالية ويعد هذا أول عبور للصحراء من العراق إلى البحر المتوسط في التاريخ. وربما كان في نيته غزو مصر لأنها كانت تلعب نفس دور عيلام ضد الآشوريين ولكن مع دويلات ساحل المتوسط بالاضافة إلى دولة يهوذا ومدينة أورشليم.

– **اسرخدون** : (٦٨١ – ٦٦٩) ق.م ، كانت سياسته تختلف عن سياسة أبيه كثيراً وخصوصاً مع مدينة بابل والتي كان حاكماً عليها في فترة ما أيام حكم ابيه، فكان حله للمشكلة البابلية بأسلوب السلم. فهو بعد أن قضى على التمرد فيها إبان اغتيال والده اتبع سياسة اللين وترضيَة السكان المحليين، وأعاد بناء المدينة

وقصورها ومعابدها بالاعتماد على علاقاته الشخصية مع بعض البابليين المتنفذين. ويبدو أن هذه السياسة لاقت ترحيباً من لدن البابليين إلى درجة أنه اتخذ بابل قاعدة لهجومه على إيران كما أن محاولات عيلام لإثارة الاضطرابات لم تلق صدى لدى البابليين في تلك الفترة.

وكانت الآلهة في سدرة غضبها أيام سنحاريب قد قررت عدم بناء المدينة الخربة لمدة سبعين سنة. إلا أنهم استطاعوا ايجاد وسيلة للتغلب على هذه العقبة. حيث قلب الإله الرحيم مردوخ كتاب القدر رأساً على عقب وأمر بتجديد المدينة في السنة الحادية عشرة من تاريخ هدمها. لأن الرقم (٧٠) في الخط المسماري يتحول إلى (١١) في حالة قلبه على عقب كما هو الحال مع الرقمين (9،6) في العربية أو اللاتينية حالياً.

- **آشوربانيبال** : (٦٦٨-٦٢٦) ق.م. ، يعدّ من أكثر ملوك هذا العهد ثقافة فقد أغرم بالأدب والمعرفة فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزنها في دار كتب وطنية خاصة شيّدها في عاصمته نينوى جمع فيها مختلف أصناف العلوم والمعارف التي بلغتها حضارة العراق والتي عَرفتنا بنواحي الحضارة العراقية القديمة المختلفة.

- **آشور بابنيبال** : (٦٦٩ . ٦٢٩) ق.م ، في أيامه تولى توأمه (شمش . شم . اوكن) العرش البابلي وحسب الترتيبات التي وضعها والدهما (أسرخدون) وسارت الأمور بهدوء في أول الأمر ولكن ما لبثت المنافسة أن ظهرت بين الأخوين، لأن العيلاميين وبواسطة الكلديين الدخلاء إلى جنوب البلاد حاولوا جاهدين إشعال نار الفتنة بينهما وقد نجحوا في ذلك وتوتر الوضع بين بابل وآشور. فجهز آشور بانيبال حملة كبيرة على عيلام واحتل عاصمتهم سوسة والمدن المهمة الأخرى ونصب أحد أفراد أسرتها الحاكمة ملكاً عليهم. وسبب ذلك المزيد من الحقد لدى

العيلاميين ضد الآشوريين، فزادت محاولاتهم في إشعال نار الحرب بين بابل وآشور. واتفق ملك عيلام علانية مع (شمش . شم . اوكن) والقبائل الكلدية وقبائل صحراوية آخرى مثل العرب وبعض حكام سوريا وعقدوا حلفاً عسكرياً ضد آشور. ولكن آشور بانيبال جهز حملة عسكرية كبيرة وأسرع بالهجوم على بابل ونشبت الحرب المدمرة بين الأخوين واستمرت ثلاث سنوات. انتهت باستسلام بابل وانتحار (شمش . شوم . اوكن) حارقاً نفسه وعائلته في قصره ببابل.

وكان آشور بانيبال قبل ذلك قد وجه تحذيراً شديداً إلى شعب بابل على أمل أن يصغوا إليه لأنه لم يكن يرغب بتدمير بابل مضطراً كما فعل جده (سنحاريب) ولكن دون جدوى وهذا نصّ التحذير الملكي لبابل: " أما تلك الكلمات الجوفاء التي أسمعكم إياها ذلك الأخ العاصي فقد بلغت مسامعي كاملة، وهي ليست إلا ريحاً ذاهبة فلا تصدقوه... لاتصغوا إلى أكاذيبه نهائياً ولا تلطخوا اسمكم المجيد الناصع أمامي وأمام كل العالم بالعار ولا تجعلوا من أنفسكم آثمين بحق الآلهة المقدسة".

أما عيلام مابرحت وعادت تتدخل في شؤون بابل فدخلها الجيش الآشوري مرة أخرى ودمرها وحمل آلهتها إلى آشور. ونصب عليها أميراً موالياً لـ آشور ، وكان من بين الغنائم أملاك وبضائع وذهب وفضة تعود إلى بلاد سومر وأكد وكل أرض بابل التي كان العيلاميون قد سلبوها .

سقوط الدولة الآشورية :

تشير الأخبار إلى وفاة آشور بانيبال حوالي ٦٢٧ ق.م في ظروف غامضة واعتلاء العرش الآشوري ابنه (آشور . اتل . ايلاني) وقد رافقت ذلك ظروف معقدة واضطرابات داخل آشور. وفي الجنوب ظهر في تلك الأثناء زعيم كلدي آخر في

بلاد البحر وهو الشيخ (نبوبلاصر)، تمكن من السيطرة على بابل وتعيين نفسه ملكاً عليها سنة ٦٢٦ ق.م. وبدأ يعد العدة للهجوم على آشور مستغلاً حالة الاضطراب والغموض في البلاط الآشوري فتحالف مع الميديين وملكهم (كَي . اخسار) وهجموا على مدينة آشور عام ٦١٥ ق.م وتم فتحها من قبل (نبوبلاصر) الكلدي والميديين عام ٦١٤ ق.م وفتحت نينوى عام ٦١٢ ق.م بعد حصار دام ثلاثة أشهر فقط. ودخلت الجيوش الغازية نينوى واضرمت النيران في قصورها ومعابدها وتعرضت المدينة إلى السلب والنهب. وقام (نبوبلاصر) بنقل رماد القصور الآشورية إلى بابل لأنه كان يتوقع أن يجد فيه منصهرات التماثيل والألواح المعدنية المقامة في القاعات والممرات الرئيسية لقصور نينوى.

سابعاً : العهد البابلي الحديث :

آخر العهود العراقية الزاهرة في العصور القديمة (٦٢٦-٥٣٩) ق.م. ويعد حكم (نبوخذ نصر الثاني) (٦٠٤-٥٦٢) ق.م. بحق من العهود المجيدة في التاريخ البشري عموماً وفترة انتعاش قوية عاشتها الحضارة البابلية، فلم تسجل الكتابات التي خلفها هذا الملك إلا أخبار البناء والتعمير في جميع مدن العراق المهمة. من أعماله العمرانية الرئيسة كان بناء الزقورة وتشييد عدد كبير من المعابد الفخمة في بابل. وكان من جملة إنجازاته في هذا الميدان أيضاً إقامة شارع رائع عرف بشارع الموكب ومدخل مهيب ضخم يدعى بباب عشتار، يقع وراء هذا الباب قصره الفخم بجنائنه المعلّقة الذي عرف في المصادر اليونانية بإحدى عجائب الدنيا السبع. وفي زمنه أعلنت دولة (يهودا) الصغيرة العصيان مع عدد من الدويلات الشامية الصغيرة الأخرى بتحريض من الفراعنة التي لم تكترث لنصائح النبي (ارميا) وتحذير ملكها (يوهوياقين) بوخامة العاقبة. فجرد (نبوخذ نصر) حملة

تأديبية لم تقو (يهودا) على مقاومتها فسقطت العاصمة (أورشليم) في عام ٥٩٦ ق.م. فرحّل قسم من سكانها ومعهم ملكهم عن فلسطين. ونصّب (نبوخذ نصر) بدلاً عنه عمه (صدقيا). وبعد بضع سنوات اشتركت (يهودا) في عصيان جديد وبتحريض من الفراعنة أيضا الذين حاولوا استرجاع مكانتهم في سوريا وفلسطين. لقد كان غضب الملك البابلي في هذه المرة عظيماً فدمّر المدينة وأحرق الهيكل ورحّل من سكانها عدداً كبيراً جداً إلى العراق واضعاً بذلك حدا لمملكة يهودا. لقد وقع ذلك الحدث بسنة ٥٩٤ ق.م .

خلف هذا الملك العظيم عدد من الملوك الضعاف وبخاصة آخرهم (نبونائيد) (٥٥٥-٥٣٩) ق.م. فتدهورت الأوضاع في البلاد خلال عهودهم وانتهت تلك الإمبراطورية العظيمة بسقوط بابل على يد (كورش) ملك الإخمينيين بسنة ٥٣٩ ق.م. وليعفى على حضارة العراق وتطمر علومه وأمجاده لقرون طويلة تلت .

الخلاصة : منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد أيام التسلط الكاشي على بابل وكما رأينا أصبح البابليون عاجزين عن مجاراة الآلة العسكرية الآشورية، ولكن الآشوريين رغم حملاتهم المتكررة على بلاد بابل وحتى احتلالهم لها عسكرياً إلا أنهم كانوا يعاملون بابل ببعض الاحترام والكياسة باعتبارها موطن المدنية المشتركة للبلدين .

ومنذ (١٢٥٠ - ٩٥٠) ق.م فترة انسياح الشعوب حسب توينبي تعقد الوضع أكثر في جنوب أرض الرافدين ومنطقة بابل تحديداً بسبب استقرار القبائل الكلدية في الجنوب الغربي ومنطقة الأهوار من البلاد. وهؤلاء المقتحِمون على أطراف بابل لا هم أخرجوا من قبل أهل البلاد كما حصل مع الكوتيين ولا هم

اندمجوا مع السكان كما حصل مع الكاشيين. بل ظلوا أجانب يحدوهم الشعور بالعصبية القبلية والروح الحربية الخاصة بهم. إذ أن البابليين وسائر سكان الوسط لم يكونوا راضين عن وجود هؤلاء الغرباء بين ظهرانيهم -(سكان بابل المستقرين الفلاحين وسكان المدن لم يكونوا يرحبون بوجود هؤلاء البدو الرعاة من بلاد العرب)- ولما كان الآشوريون شعب مستقر ومتحضر ومشترك مع شعب بابل بالمصدر الحضاري السومري والاكدي، وكانت آشور بحكم الواقع الجغرافي والديموغرافي البشري، هي الحامي الطبيعي لبابل ضد سكان جبال زاكروس، فكان المفروض أن يكون التقارب والتعاون على أعلى المستويات، إلا أن هذا الحال كان دوماً مقروناً بشرطين على بابل وآشور القبول بهما وهما:

١- وجوب كون تصرف الآشوريين نحو البابليين بارعاً لبقاً وأن لا يسمح للقبائل المقيمة في الجنوب أن تخرج عن الطوق. وفي حالة سيطرة هذه القبائل على بابل يصبح الآشوريين في مأزق ليس أمامهم غير الاحتمالين التاليين: إما أن يقبلوا بخسارة سيطرتهم على بابل وهذا يترتب عليه الكثير من الضرر على الأمن القومي الآشوري، لأن حضارة كحضارة العراق المرتكزة على الزراعة والأشغال المعدنية (تجارة) تحتاج إلى التعاون الوثيق بين المجاميع الرسمية والسياسية في الداخل والموقف المحايد على الأقل من قبل المناطق المجاورة. أو أن يسترجعوا سيطرتهم على بابل بالقوة. وهذا يترتب عليه الكثير من النكث بالالتزام الأخلاقي والديموغرافي! تجاه بابل وأهلها.

٢- في حالة اتباع أسلوب القوة مع القبائل المتغلغلة في بابل كان ذلك يلحق الإساءة والخسارة المادية بالبابليين ويتم جرح كبريائهم. وهذا بدوره يسبب في احتمالية اتفاق البابليين الطوعي مع القبائل المجتمعة ضد الآشوريين.

وقد مرت العقدة البابلية بهذه الحالة المستعصية أيام (تجلات بليزر الثالث) في حملته العسكرية الأولى ٧٤٥ ق.م حين قام بتأديب القبائل المشاغبة بموافقة المؤسسة البابلية وكما مرّ ذكره، ولكن في عام ٧٣٤ ق.م خرج الأمر عن سيطرة المؤسسة البابلية؛ إذ استولى زعيم قبيلة (بيت . اموكاني) على العرش في بابل. مما اضطر (تجلات بيلزر) القضاء عليه ولكن لم يملأ الفراغ السياسي إلا عندما قبض على يد (مردوخ) وأعلن نفسه ملكاً على بابل والجهات الأربعة. وقد تكررت مثل هذه الأحداث عشرات المرات، رغم كون البابليون أصدقاء للآشوريين وخصوماً للقبائل الكلدية المشاغبة في بلاد البحر.

هكذا نرى أن تنظيم العلاقة بين بابل وآشور – العقدة البابلية – لم يكن من الأمور اليسيرة لدى الطرفين فليس لبابل استقرار واستقلال دون آشور، ولا آشور قوية راسخة طليقة القرار والحركة ضد الأعداء دون الاستقرار في بابل. ومن هنا نرى وحسب هذا البحث المقتضب أن:

١ . تسعة عشر ملكاً آشورياً كانت له نزاعات حدود أو حروب أو اجتياح وتدمير لمدينة بابل أو الدفاع عن مدنهم ضد قوات بابل. ابتداءاً من (ايلوشوما) ١٩٢٠ق.م وانتهاءاً (بسن . شار . ايشكوم) وسقوط (نينوى) ٦١٢ ق.م و(آشور اوبالط الثاني) مع سقوط (حاران) آخر عاصمة آشورية. حسب ما أورده لنا التاريخ وحسب أهميته أو طبقاً لما تم اكتشافه من الكتابات المسمارية بهذا الخصوص وقرائتها، ولكن حقيقة الأحداث هي أكبر من ذلك بكثير، لأن المكتشف والمقروء من الكتابات التي تخص دول العراق القديمة ليس إلا القليل طبقاً لدراسات وتوقعات علماء الأسريولوجي.

ب . إن القبائل الكلدية البدوية (حسب توينبي) والعنصر العيلامي المقلق لاستقرار العراق طوال تاريخه لم يستقر لها قرار إلا بانهاء الحكم الوطني في العراق (سقوط آشور).

ج . مدينة بابل وحضارتها وشعبها الذين صاروا جسراً لنقل الأعداء إلى قلب العواصم الآشورية. لم يستطيعوا العيش والبقاء دون آشور. إذ نلاحظ أن هؤلاء الكلديين بعد بسط سيطرتهم على وسط وجنوب العراق لم تدم دولتهم في بابل أكثر من (٧٣) سنة، والتي حكم العشرين سنة الأخيرة منها الملك (نبونائيد) الآشوري من مدينة حاران والذي يرجع أصله إلى (السلالة الملكية الآشورية). وقد قام البابليون واليهود ذوي الهوى الفارسي بتشويه سمعة ملكهم (نبونائيد) ارضاءاً لأسيادهم الفرس الذين دخلوا بابل دون مقاومة في **٥٣٩/١٠/١٢** بقيادة (كورش بن قمبيز).

د . ومما يتوجب ذكره هنا أن (كوبارو هِنبِرا) حاكم القطر الآشوري انذاك والذي كان عليه حماية الزاوية اليسرى (الشمالة) لجيش (بيليشاصر بن نبونائيد) قد انحاز إلى أعداء بابل مما عجّل في سقوطها. وربما كان ذلك الموقف ناجماً عن رغبة في الانتقام لمدينة أجداده نينوى، التي كان قد زحف عليها الميديين بدعم واسناد الكلديين في بابل.

هـ . وأخيراً مهما كان في الأمر من غموض ومجال للاجتهاد، فإن بابل في التاريخ القديم لم تعمّر أكثر من نصف قرن دون آشور فهي عقدتها وهي العقدة في التاريخ الآشوري والمسيرة الآشورية المعاصرة.

ثامناً : إنجازات العراق القديمة :

إذا انتقلنا إلى نشوء أولى الحضارات في العراق القديم يمكن القول إنها كانت بجهود العراقيين الأوائل في تفاعلهم مع البيئة الطبيعية في وسط وجنوبي العراق. فمن المعروف أن الزراعة تعتمد في هذا الإقليم دوماً على الإرواء الصناعي الذي كان لا يتم إلا بالسيطرة على الأنهار وإقامة السدود وتجفيف الأهوار. إن الري – كما هو معروف – كان الدعامة الأساس في الحياة الاقتصادية لهذا الإقليم وعلى ذلك فقد تجلّت عبقرية الإنسان هنا بأجلى مظاهرها في الإرواء الصناعي وإن نشوء أول حضارة في بلاد الرافدين قد تحقق بلا أدنى ريب بعد أن سيطر سكان هذا الإقليم على الأنهار فيها وذلك عن طريق إقامة السدود وحفر الأنهار والجداول وتجفيف الأهوار، فذلّلوا البيئة الطبيعية واستغلوا إمكاناتها العظمى. ليس هذا فقط بل استغل العراقيون الأقدمون ارتفاع مناسيب نهر الفرات قياساً إلى دجلة فشقوا أنهاراً عظيمة من الفرات إلى دجلة لتروي أراضي واسعة كانت بأحوج ما تكون إلى الماء. لقد طغت أخبار شق الأنهار والجداول على غيرها من أخبار الملوك وأعمالهم. إن حفر أو شق نهر جديد كان يعد بحد ذاته حدثاً هاماً يؤرخ به الكتبة الرسميون للدولة الأحداث الجسام . نتيجة لكل هذا نلاحظ أن أول شيء يلفت النظر في العراق شهرة البلاد الزراعية إلى الأزمان المتأخرة، حتى أن الكُتاب اليونان – مثل هيرودوت – قد تحدثوا عن وفرة المحاصيل الزراعية في هذا الإقليم، وهو ما يذكرنا بتسمية المؤرخين والبلدانيين العرب لأرض العراق بـ (السواد) لكثرة زرعها وخضرتها. ومن الأمور المتفق عليها إن فن زراعة البساتين نشأ في العراق مما ساعد الإنسان كثيراً على الاستقرار ومن ثمّ نشوء الحضارات المتقدمة وتطوّرها. والنخلة – على ما يرجح – كانت أقدم وأهم شجرة في تاريخ

العراق الزراعي القديم حيث اختص العراق بزراعة النخيل منذ فجر التاريخ. وكانت العادة أن تزرع الفراغات بين النخيل بالأشجار المثمرة الأخرى مثل التين والرمان والتفاح والكروم وغير ذلك. ومايزال يعد أعظم وأوسع مركز لزراعة النخيل في العالم لاسيما المنطقتين الوسطى والجنوبية منه .

وفي سبيل تحقيق الاستقرار والأمن في البلاد، وللحفاظ على هذه المنجزات والمكاسب العظيمة كان من الضروري وجود حكومات قوية مستقرة. وكان الملك في العراق القديم على رأس السلطة حيث عُدَّت سلطته التنفيذية والتشريعية مستمدة بشكل مباشر من الآلهة لحكم البلاد، فهو الذي كان يتولى قيادة الجيش وقت الحرب حيث أن من أولى واجباته المحافظة على حدود الوطن، وكذلك توفير الوسائل الكفيلة التي تساعد البلاد على الرخاء الاقتصادي عن طريق تنفيذ المشاريع الحيوية العامة مثل حفر القنوات والأنهار وبناء المعابد تقرّباً إلى الآلهة. لقد خلّف الكثير من الملوك العراقيين القدماء مآثر كتابية أكدوا فيها ما ذكرناه حتى أن بعضهم قد صوّر نفسه وهو يحمل سلال التراب والآجر رمز قيامه بتنفيذ المشاريع العمرانية الكبرى وبخاصة بناء المعابد تقرباً للآلهة، والكثير منهم قنّنوا الشرائع والقوانين في سبيل تنظيم الحياة العامة ونشر العدل بين الرعية . وكان من تمسُّك سكان العراق الأقدمين باحترام القانون والنظام أن تصوروا الكون كله على هيئة مملكة تحكمها الآلهة يتجلى فيها مبدأ الطاعة وبخاصة طاعة القوانين والسير بموجب أنظمة المجتمع وأعرافه الشفهية والمدونة. وبلغ من تقديرهم لفضيلة الطاعة أنهم تخيّلوا ظهور عهد ذهبي بين البشر في يوم ما تسود فيه الطاعة والنظام وسيادة القانون . ومن ثمرات الحضارة الناضجة نشوء الصناعات الأولى وكذلك التجارة وبخاصة التجارة الخارجية لجلب المواد الخام التي اعتمدت عليها

تلك الصناعات. ومن البديهي أن يصاحب كل ذلك تقدم العلوم والآداب والفلسفة .

وفي العراق القديم بدأت أولى المحاولات الفلسفية الجريئة الخاصة بأصل الكون والوجود والأساس في مكونات المادة. ومن المؤكد أن السومريين قد سبقوا الفلاسفة الإغريق بقولهم بمبدأ العناصر الأربعة الأولية التي عُدَّت أصل جميع الأشياء. ومن البديهي أن يولي العراقيون القدماء أيضاً الأدب الكثير من اهتمامهم. لقد كان شأنه شأن الآداب العالمية القديمة الأخرى يشرك الآلهة في الملاحم والقصص أو الأساطير. أما الشعر السومري والبابلي فقد كان يخضع لفن خاص من النظم والتأليف فهو موزون ولكنه غير مقفى. إنه من النوع المعروف في الوقت الحاضر بالشعر المرسل. وما خلفه لنا العراقيون القدماء من الروائع الأدبية أكثر من أن تحصى، ربما أهمها (ملحمة جلجامش) و (قصة الخليقة) و (قصة الطوفان) وعدد كبير جداً من الأساطير.

وفي باب العلوم الصرفة كالرياضيات مثلاً عرف البابليون أسساً مهمة في خواص الأعداد وكذلك في العمليات والطرق والمعادلات الجبرية الأساسية. من ذلك مثلاً معادلات الدرجة الأولى بأنواعها المختلفة فضلاً عن معادلات الدرجة الثانية والثالثة. لقد اتبعوا في طرق حلها عمليات مدهشة لا تكاد تصدق لتطابقها مع الطرق العلمية الحديثة. ومما يقال اليوم بوجه عام إن الفضل في تقدم الجبر الحديث يعود إلى البابليين والعرب أكثر مما يعود إلى اليونان.

ومن الأمور المتفق عليها أيضاً في تاريخ المعارف البشرية أن البابليين هم الذين أسسوا علم الفلك الرياضي، وبدأوا يدونون ملاحظاتهم وإرصاداتهم أو حساباتهم الفلكية منذ العهد الأكدي، وتقدم هذا العلم إلى درجة كبيرة مذهلة في

العهد البابلي القديم. أما معرفتهم بالعلوم الطبيعية مثل علم الكيمياء، على سبيل المثال وبخاصة ما يتعلق منها بخواص المواد وتأثير الحرارة فيها أو العوامل الطبيعية الأخرى فقد بدأت عندهم في وقت مبكر جداً والتي لا سبيل في هذا الملخص من الدخول في تفاصيلها الدقيقة.

مظاهر الحضارة فى العراق :

حضارة العراق أصيلة كحضارة مصر القديمة ولقد أثرت كل منهما فى الأخرى منذ أقدم العصور.

* العمـــران :

١- عند السومريين :

بإقامة المدن الكبيرة وبنوا فيها القصور الفخمة والمعابد الكبيرة تحيط بها المنازل الصغيرة ومن أهمها مدينة بابل التى تميزت بأسوارها الجميلة ومعابدها الرائعة ذات الأبراج.

٢- عند البابليون :

- بذل البابليون جهوداً كبيرة فى تجميل المدن وتعميرها لقدرتهم الفائقة فى العمارة والنحت .

- برع البابليون فى زراعة الأشجار على مدرجات الجبال .

- انشأوا الحدائق الجميلة التى عرفت (بحدائق بابل المعلقة) التى تعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة .

– تميزت بابل بطريقها المقدس الفخم الذى كانت تمر منة مواكب الآلهة فى الأعياد الدينية وأقيمت فى نهاية أحد طرفية بوابة عالية ذات أبراج عرفت باسم (بوابة عشتار).

٣– عند الآشوريون :

قامت فى العهد الآشورى المدن الضخمة التى انتشرت فيها المعابد والقصور ومنها مدينتي (آشور و نينوى) .

اهتم الملك الآشورى (سنحاريب):

– بتعمير مدينة (نينوى) عاصمة الآشوريين وصمم على جعلها أجمل من مدينة بابل التى دمرها.

– بني بها المعابد والقصور ودور الحكومة وأحاطها بالأسوار .

– حفر قناة لجلب المياة من بعض الأنهار الجبلية القريبة ذات المياة العذبة الصافية بدلاً من استخدام مياة نهر دجلة المليئة بالرواسب .

– عثر بين بقايا هذه المدينة على عدد كبير من التماثيل الفخمة والنقوش الرائعة والتى تزين الآن متاحف العالم.

* اللغة والكتابة :

أقدم لغة مكتوبة معروفة في بلاد ما بين النهرين كانت السومرية، وهي لغة معزولة متراصة. وكانوا يتحدثون باللهجات السامية في بلاد ما بين النهرين في وقت مبكر مع السومرية. وفي وقت لاحق جاءت لغة سامية أخرى هي الأكدية لتكون اللغة السائدة ، على الرغم من أن اللغة السومرية كان يُحتفظ بها للأغراض الإدارية، والدينية، والأدبية، والعلمية. أصناف مختلفة من الأكدية

استخدمت حتى نهاية الفترة البابلية الثانية، ثم أصبحت الآرامية التي كانت قد أصبحت شائعة في بلاد ما بين النهرين هي لغة الإدارة الإقليمية الرسمية للإمبراطورية الفارسية الأخمينية وتوقف استخدام الأكدية، ولكن كلا من السومرية والأكديه كانت لا تزال تستخدم في المعابد لبضع قرون.

في وقت مبكر من بلاد ما بين النهرين (حوالي منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد) اخترعت الكتابة المسمارية. ,المسمارية تعني حرفياً "على شكل وتد"، وذلك بسبب الطرف المثلث للقلم المستخدم لضغط العلامات على الطين الرطب. النموذج الموحد لكل علامة مسمارية يبدو أنه تطور من الصور التوضيحية . النصوص الأولى (٧ ألواح قديمة) تأتي من (أي – آنا) فناء شديد القدسية مكرسة للإلهة إينانا في اوروك، المستوى الثالث من مبنى وصف بأنه المعبد (ج) من حفاريه. النظام الرمزي المبكر من المسمارية استغرق سنوات عديدة للإتقان. لذلك فقط عدد محدود من الأفراد تم تعيينهم كتبة ليتم تدريبهم على القراءة والكتابة. ولم يكن حتى اعتماد الاستخدام على نطاق واسع للنص المقطعي في ظل حكم سرجون. لكن هناك محفوظات ضخمة من النصوص استعيدت من السياقات الأثرية للمدارس البابلية الطباعية القديمة، عرفنا من خلالها أن محو الأمية نشرت، وأن أجزاء كبيرة من سكان بلاد ما بين النهرين أصبحوا غير أميين.

١- اخترع السومريون الكتابة المسمارية ودونوا بها سجلاتهم ووثائقهم على ألواح من الطين اللبن واستخدموا فى ذلك أقلاماً مسننة من الغاب أو الخيزران أو الخشب .

٢- استخدم الآشوريون ومن قبلهم البابليون الكتابة المسمارية ولكنهم بسطوا إشاراتها وغيروها بعض التغيير.

طائفـة الكتــاب :

١- هم الرجال الذين يستطيعون قراءة النصوص المسمارية وكتابتها.

٢- كان لهم شأن عظيم لأن واجبهم كان كتابة كافة السجلات ومباشرة المعاملات الخاصة .

٣- كان تعلم الكتابة المسمارية أمراً صعباً يقتضى دراسة عدة سنوات.

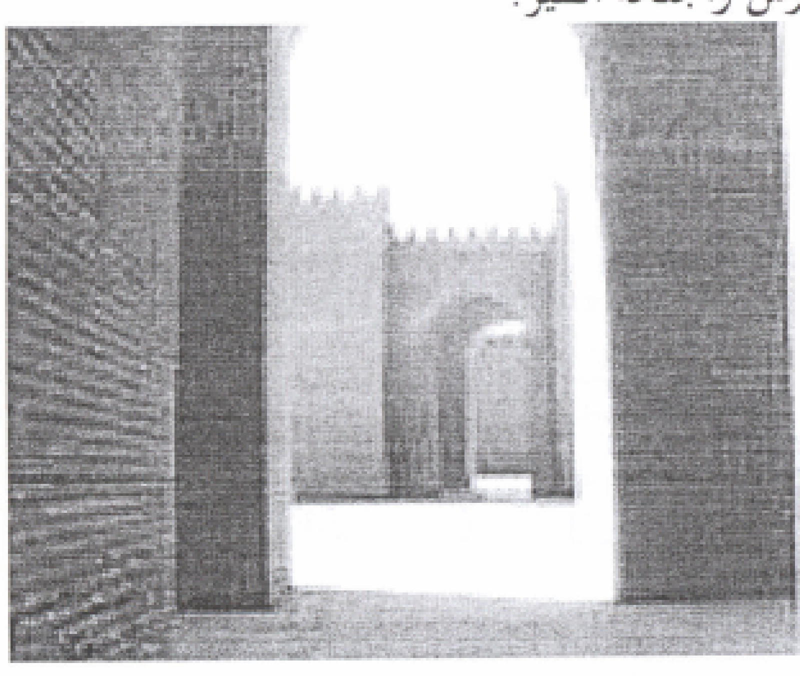
* الفنــون :

ترك أهل العراق القدماء آثاراً فنية رائعة تنتشر الآن فى متاحف العالم :

١- استخدم السومريون والبابليون المعادن - خاصة النحاس - إلى جانب الأحجار فى صنع التماثيل التى تصور الآلهة والرجال والحيوانات .

٢- استخدم البابليون المتأخرون طوباً خزفياً لتزيين المباني العامة .

٣- نحت الآشوريون أجسام الحيوانات ببراعة نادرة والسبب فى ذلك مهارتهم فى الصيد وركوب الخيل ومن الأشكال التى برعوا فى نحتها الثيران المجنحة التى كان لها أجسام ثيران ورؤوس وأجنحة الطير.



* الأدب والأساطير :

تنوع الأدب البابلي والآشورى فقد اشتمل على النقوش التاريخية والنصوص الدينية والقصص والأساطير والأبحاث العلمية والنصوص القانونية وعقود معاملات ووثائق زواج ومراسلات وقوائم جغرافية وجداول حسابية وفلكية وشئونا طبية.

في زمن الدولة البابلية كانت هناك مكتبات في معظم المدن والمعابد ؛ وهناك مثل سومري قديم يقول : "الذي من شأنه التفوق في مدرسة الكتبة يجب أن يستيقظ مع الفجر". وكانت النساء مثل الرجال يتعلمن القراءة والكتابة، وكانت مناهج تعليم البابليين الساميين تتضمن معرفتهم باللغة السومرية المنقرضة، وتعلم مقاطع معقدة ومكثفة منها. وهناك قدر كبير من الأدب البابلي قد ترجم من أصول سومرية، ولأنها لغة الدين والقانون فقد استمرت طويلاً حيث أنها اللغة القديمة المتراصة لسومر. وقد جهزت مفردات وقواعد النحو، وترجمة ما بين السطور وغيرها لاستخدام الطلبة، وكذلك التعليقات على النصوص القديمة وتفسيرات الكلمات والعبارات الغامضة. وكلمات اللغة المقطعية كانت كلها مرتبة ومسماة، وتوجد قوائم مفصلة منهم تم رسمها.

هناك العديد من الأعمال الأدبية البابلية التي عنوانيها معروفة لنا. واحدة من أشهر هذه الأعمال ملحمة جلجامش والتي كتبت في اثني عشر كتاباً مترجمة عن الأصل السومري من قبل (سين – ليق – اونينني)، ورتبت على أساس فلكي. وكل قسم يحتوي على قصة مغامرة واحدة في وظيفة جلجامش، القصة كلها هي نتاج مركب، ومن المحتمل أن بعض القصص مضافة صناعياً على الشكل المركزي.

* فلسفة :

يمكن أن ترجع أصول الفلسفة إلى حكمة بلاد ما بين النهرين القديمة، والتي جسدت فلسفات معينة في الحياة، ولا سيما الأخلاق، في أشكال جدل، حوار، شعر ملحمي، فولكلور، نشيد، كلمات أغاني ، نثر، وأمثال .

المنطق البابلي والعقلانية المتطورة تجاوزت الملاحظة التجريبية. حيث أن أقدم شكل للمنطق وضع من قبل البابليين، ولا سيما في الطبيعة الصارمة لنظامهم الاجتماعي . المنطق كان يستعمل إلى حد ما في علم الفلك البابلي والطب .

الفكر البابلي كان بديهي وقابل للمقارنة "للمنطق العادي" ، كما أن الفكر البابلي كان مبني أيضاً على أساس علم وجود النظم المفتوحة وهو متوافق مع البديهيات الأرجوديكيه. الفكر البابلي كان له تأثير كبير على الفلسفة اليونانية المبكره والفلسفة الهيلينية على وجه الخصوص. النص البابلي حوار من التشاؤم يحتوي على أوجه التشابه مع الفكر المناهض للسفسطائيين، والمذهب الهرقليطي للتناقضات ، والجدل والحوارات لأفلاطون، وكذلك المقدمة المايوتية طريقة سقراط لسقراط .

ملحوظة : الفيلسوف الفينيقي طاليس قد درس أيضاً في بابل.

* العلوم والتقنية :

- علم الفلك :

علماء الفلك البابليين كانوا مهتمين جداً بدراسة النجوم والسماء، ومعظمهم يمكنهم التنبؤ مسبقاً بانقلاب الشمسي والخسوف. اعتقد الناس أن كل شيء كان له غرض في علم الفلك. معظم تلك الدراسات متعلقة بالدين والطوالع.

علماء الفلك في بلاد ما بين النهرين قد وضعوا جدول زمني مدته ١٢ شهراً على أساس دورات القمر. قسموا السنة إلى موسمين : الصيف والشتاء. نشأة علم الفلك، وكذلك علم التنجيم يؤرخ من هذا الوقت. وخلال القرن الثامن والسابع قبل الميلاد وضع علماء الفلك البابلي نهجاً جديداً لعلم الفلك، بدأوا يدرسون الفلسفة التي تتعامل مع الطبيعة المثالية للكون المبكر، وبدأوا يعملوا على منطق داخلي ضمن الأنظمة الكوكبية التنبؤية لهم. هذه كانت مساهمة مهمة في علم الفلك وفلسفة العلم، وبعض العلماء بالتالي أشاروا إلي هذا النهج الجديد بالثورة العلمية الأولى .هذا النهج الجديد في علم الفلك تم اعتماده وتطويره بشكل أبعد في علم الفلك اليوناني والهلنستي.

في الزمن السلوقي والبارثي، التقارير الفلكية كانت ذات طابع علمي دقيق غير مؤكد كما أن معارفهم وأساليبهم المتقدمة تم تطويرها سابقاً. التطوير البابلي لأساليب التنبؤ بحركات الكواكب يعتبر حلقة رئيسية في تاريخ علم الفلك.

الفلكي البابلي الوحيد المعروف أنه دعم النموذج (الشمس – مركزي) لحركة الكواكب كان (سلوقس) من سلوقية ١٩٠قبل الميلاد – سلوقس معروف من كتابات (بلوتارخ) – فهو الذي أيد نظرية مركزية الشمس حيث أن الأرض تدور حول محورها والتي بدورها تدور حول الشمس . وفقاً لبلوتارخ؛ سلوقس أثبت النظام (الشمس–مركزي)، ولكن ليس من المعروف ما هي الحجج التي استخدمها.

علم الفلك البابلي هو الأساس لمعظم ما تم القيام به في علم الفلك اليوناني والهلنستي، وعلم الفلك الهندي الكلاسيكي، وفي علم الفلك الساساني، وكذلك البيزنطي والسوري ، وفي علم الفلك الإسلامي في العصور الوسطى ، وفي علم الفلك في آسيا الوسطى وأوروبا الغربية .

-رياضيات :

استخدم شعب بلاد ما بين النهرين نظام عد عشري ستيني (قاعدته ٦٠). هذا هو المصدر للساعة الحالية المكونة من ٦٠ دقيقه و ٢٤ ساعة في اليوم، فضلاً عن الدائرة ذات الـ ٣٦٠ درجة . التقويم السومري أيضاً يقيس أسابيع من سبعة أيام لكل أسبوع. هذه المعرفة الرياضية كانت تستخدم في صنع الخرائط.

البابليون قد يكونوا عرفوا القواعد العامة لقياس المساحات. وقاسوا محيط دائرة كثلاث أضعاف القطر والمساحة كواحد على اثني عشر مربع المحيط، البابليون معروفون أيضاً بالميل البابلي وقياس مسافة تساوي حوالي سبعة أميال (١١ كم) اليوم. هذا القياس للمسافات في نهاية المطاف تم تحويله إلى ميل – وقتي مستخدم لقياس سفر الشمس، وبالتالي يمثل الوقت.

-الطب :

أقدم النصوص البابلية في الطب تعود إلى فترة بابل القديمة في النصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد. وكانت معظم الكتابات البابلية الطبية واسعة النطاق مثل الدليل التشخيصي الذي كتبه الطبيب (ايساجيل . كين . ابلي) من بورسيبا خلال عهد الملك البابلي (أداد . ابلا . ادينا) (١٠٦٩–١٠٤٦)ق.م. وجنباً إلى جنب مع طب مصر القديمة المعاصر؛ البابليين أدخلوا مفاهيم التشخيص، والتوقعات الطبية ، والفحص البدني، والوصفة الطبية. بالإضافة إلى ذلك، قدم الدليل التشخيصي طرق العلاج والعلاج والمسببات المرضية واستخدام المنهج التجريبي، والمنطق والعقلانية في التشخيص، والتوقعات والعلاج. النص يحتوي على قائمة من الأعراض الطبية وغالباً ما تكون هناك ملاحظات تجريبية مفصلة جنباً إلى جنب مع قواعد منطقية مستخدمة في

الجمع بين الأعراض الملوحظة على جسم المريض مع التشخيص والتكهن . الأعــراض والأمــراض للمــريض عولجــت مــن خــلال وســائل علاجيــة مثل الضمادات، الكريمات والحبوب . وإذا كان المريض لا يمكن شفاءه جسدياً، فإن الأطباء البابليين غالباً كانوا يعتمدون على طرد الأرواح الشريرة لتطهير المريض من أي لعنة. كان دليل التشخيص (لايساجيل . كين . ابلي) يستند إلى مجموعة من البديهيات المنطقية والافتراضات، بما في ذلك الرأي الحديث عن طريق الفحص والتفتيش من أعراض المريض، فمن الممكن تحديد مرض المريض، أسبابه ،تطوراته المستقبلية ، وفرص شفاء المريض. اكتشف (ايساجيل . كين . ابلي) مجموعة متنوعة من العلل والأمراض، ووصف أعراضها في دليل التشخيص .وتشمل هذه الأعراض لأصناف عديدة من الصرع وعلل ذات الصلة بالإضافة إلى التشخيص والتكهن لهم.

- التقنية :

شعب بلاد ما بين النهرين اخترع العديد من التقنيات بما في ذلك المعادن والأعمال النحاسيه، الزجاج وصنع المصابيح، النسيج، التحكم في الفيضانات، تخزين المياه، والري.

كانوا أيضاً من أول شعوب العصر البرونزي في العالم. في وقت مبكر استخدموا النحاس، البرونز، والذهب، ولاحقاً استخدموا الحديد. القصور تم تزيينها بمئات الكيلوجرامات من هذه المعادن المكلفة للغاية. كذلك تم استخدام النحاس، البرونز، والحديد للدروع وكذلك في أسلحة مختلفة مثل السيوف، الخناجر، الرماح، والصولجانات الحربية.

أقدم نوع من المضخات هو المسمار أرخميدس (الطنبور)، وكان أول من استخدمه هو الملك سنحاريب ملك آشور، لأنظمة المياه في حدائق بابل المعلقة ونينوى في القرن السابع عشر قبل الميلاد، ووصف لاحقاً بتفصيل أكبر من قبل أرشميدس في القرن الثالث قبل الميلاد. وفي وقت لاحق خلال فترات بارثيا أو الإمبراطورية الساسانية ،تم صنع بطارية بغداد والتي قد تكون أول البطاريات في بلاد ما بين النهرين.

* الدين :

الدين في بلاد ما بين النهرين هو أول ما تم تسجيله. أهل بلاد ما بين النهرين اعتقدوا أن العالم كان عبارة عن قرص مسطح ويحيط به فضاء ضخم ومثقوب، وفوق كل ذلك تقع الجنة. كما اعتقدوا أن الماء كان في كل مكان، أعلى، أسفل، على الجانبين، وأن الكون ولد من هذا البحر الهائل. بالإضافة إلى ذلك كانت ديانة بلاد ما بين النهرين ذات تعدد للآلهة.

على الرغم من أن الاعتقاد الموصوف أعلاه قد كان متداولاً بين أهل بلاد ما بين النهرين كانت هناك أيضاً اختلافات إقليمية. الكلمة السومرية للكون هي (آن – كي)؛ والتي تشير إلى الإله (آن) والإلهة (كي). ابنهما كان (إنليل)، إله الهواء. كانوا يعتقدون أن الإله (انليل) الإله الأقوى. كان الإله الرئيسي لمجموعة الآلهة أو البانثيون، مثلما كان للإغريق (زيوس) وكان للرومان (جوبيتر). السومريين أيضاً طرحوا أسئلة فلسفية مثل : من نحن؟، أين نحن ؟، كيف وصلنا إلى هنا؟ وربطوا الأجوبة على هذه الأسئلة إلى التفسيرات التي قدمها آلهتهم.

كان للدين فى العراق القديم المكانة الأولى فى حياة السكان فقد شمل نواحي الحياة وأثر فى جميع مظاهرها . اهتم العراقيون بالمعابد اهتماماً شديداً

وكان المعبد أعظم بناء فى المدينة وفيه يتوج الملوك وتقام الشعائر الدينية وتودع به السجلات والعقود . برع البابليون فى بناء المعابد ذات الأبراج الرائعة التى تتكون من مصاطب مدرجة تشبه هرم سقارة المدرج والتى تدل على مدى تقدم فن الهندسة والبناء.

-الآلهة والمعبودات :

١ – تعددت الآلهة والمعبودات فى الديانة العراقية فقد كان لمظاهر الطبيعة آلهة مثل (الشمس والقمر) كما كان هناك آلهة للحرب ولغيرها من الاهتمامات البشرية .

٢ – ظهرت عبادة التوحيد (توحيد العبادات والآلهة) فى العراق كما حدث فى مصر فى عهد اخناتون.

-الآلهة والإلهات الأساسية :

- **الإله (أنو)** : هو إله السماء السومري حيث يمثل السماء وقد قدس فى جميع أنحاء العراق ويلقب بأبي الآلهة. كان متزوجاً من كي، ولكن في بعض أديان بلاد ما بين النهرين الأخرى كان له زوجة تسمى أوراس. على الرغم من أنه كان يعتبر الإله الأكثر أهمية في البانثيون (مجمع الألهه)؛ تولى دوراً في معظمه سلبي في الملاحم سامحاً لـ (إنليل) بالمطالبة بالمنصب بصفته الإله الأقوى.
- **الإله (شمس)** : اعتبروه القاضي الأعظم ومصدر القوانين وهو الذى أملى على (حمورابى) قوانينه وتُشاهَد صورته فى أعلي لوح حمورابى وأمامه حمورابى يتسلم منه القوانين المقدسة .
- **المعبودة (عشتار)** : وهي إلهة الحب والحرب وتمثلها زهرة .

- **الإله** (**إنليل**) : في البداية كان الإله الأقوى في ديانة ما بين النهرين. وكانت زوجته نينليل موقعها في صدارة مجمع الآلهه وقد اغتصب في وقت لاحق من قبل (مردوخ) ومن ثم من قبل (آشور).
- **الإله** (**إنكي ايا**) : إله اريدو. كان إله المطر.
- **الإله** (**مردوخ**) : هو الإله الرئيسي لبابل. عندما صعدت بابل إلى السلطة، صعَّدت الأساطير (مردوخ) من موقعه الأصلي باعتباره إله الزراعة إلى الإله الرئيسي في البانثيون (مجمع الألهه).
- **الإله** (**آشور**) : كان إله الإمبراطورية الآشورية، وبالمثل فعندما صعد الآشوريين إلى السلطة ، صعَّدت أساطيرهم آشور إلى موقف ذو أهمية.
- **الإله** (**غولا أو اوتو**) : في السومرية (شماش) وفي الأكادية هو إله الشمس وإله العدالة.
- **المعبودة** (**ايرشكيجال**) : كانت إلهة العالم السفلي.
- **الإله** (**نابو**) : هو إله بلاد ما بين النهرين للكتابة. كان حكيماً جداً، وأُثنيَ عليه لقدرته الكتابيه. في بعض الأماكن كان يعتقد أن له السيطرة على السماء والأرض. وأهميته زادت بحد كبير في فترات لاحقة.
- **الإله** (**نينورتا**) : كان الإله السومري للحرب. كما أنه كان إله الأبطال.
- **الإله** (**ايشكور**) **أو** (**أداد**) : هو إله العواصف.
- **الإله** (**ايرا**) : غالباً كان إله الجفاف. هو غالباً ما يذكر بالارتباط مع (أداد)و(نرجال) في وضع المخلفات على الأرض.

• **الإله (نرجال)** : غالباً كان إله الطاعون. كما أنه كان زوج (ايرشكيجال).

• **الإله (بوزوزو)** : المعروف أيضاً باسم (زو)، كان إله شرير، الذي سرق ألواح قدر (إنليل)، وقُتل بسبب هذا. كما أنه جلب الأمراض التي ليس لها علاج معروف.

-الاعتقاد فى الحياة الأخرى :

١ – اعتقد العراقيون القدماء أن جميع الموتى يعيشون فى مكان تحت الأرض وهو عالم الأموات يتساوى فيه جميع الناس الخيّر منهم والشرير.

٢ – كما اعتقدوا أن الميت سوف يحتاج فى حياته الثانية ما كان يحتاجه فى حياته الأولى.

٣ – زودوا مقابرهم بكل ما يحتاجونه فى الحياة الثاني ولذلك وجدت فى جبانة الأمراء فى مدينة (أور) جثث الحرس والخدم وكذلك الثيران مشدودة إلى العجلات .

٤ – اعتقد العراقيون فى الحياة الأخرى مثل المصريين القدماء وعمدوا إلى تزويد المتوفى بكل مايعينه على الحياة فى العالم الآخر.

-الأساطير الدينية :

من أشهر الأساطير الدينية التى ظهرت فى عصر السومريين وذاع صيتها فى كل العصور (قصة الطوفان) ويقال عنها:

فى يوم ما غضبت الآلهة على البشر لكثرة ما يرتكبون من ذنوب فقررت القضاء عليهم بتسليط (طوفان عظيم) غير أن أحد الآلهة وهو (آيا) إله الحكمة المشهور بحبه للبشر أسَّر إلى أحد الرجال الصالحين بما عزمت عليه الآلهة

ونصحه بأن يصنع سفينة يحمل فيها نماذج من الأحياء ، وما كاد يفعل ذلك حتى غمر الماء اليابس واستمر الحال ستة أيام وفى السابع تقهقر الطوفان واستقرت السفينة على الجبل وخرج ذلك الرجل الصالح هو وأسرته من السفينة وقدم القرابين إلى الآلهة فسُرَّت منه ومنحته الخلود وصار إله مثلها (تشبه قصة سيدنا نوح).

.الــــدين عنـد الآشــوريين :

– سيطرت الأصول الدينية البابلية على الآشوريين إلا فى بعض النواحي .

– كان (آشور) هو الإله الرئيسي للآشوريين وملك الآلهة جميعا وكان إلهاً محارباً كما كانت زوجته (عشتار) محاربة كذلك ، وكان لها مكانة عظيمة بعد زوجها (آشور) .

– بُنيت المعابد الآشورية على طراز المعابد السومرية والبابلية مع اختلاف قليل فى الطراز المعماري السائد فى كل العصور .

-العطلات والأعياد والمهرجانات :

أهل بلاد ما بين النهرين القدام كانت لديهم احتفالات في كل شهر. وكان موضوع الطقوس والمهرجانات لكل شهر يتحدد بستة عوامل هامة :

١. وجه القمر (القمر الأحدب التزايدي – الوفرة والنمو – ، القمر الأحدب التناقصي – الانخفاض والحفظ – ، ومهرجانات العالم السفلى).

٢. مرحلة الدورة الزراعية السنوية.

٣. الاعتدالات وانقلاب الشمس من السنة الشمسية .

٤. أساطير للمدينة ورعاته الإلهي .

٥. نجاح الملك المتوّج .

٦. إحياء ذكرى أحداث تاريخية محددة (تأسيس، انتصارات عسكرية، عطلات المعبد ..... إلخ).

-الدفن :

المئات من المقابر قد تم حفرها في أجزاء من بلاد ما بين النهرين، كاشفة عن معلومات حول عادات الدفن في بلاد ما بين النهرين. مثلاً في مدينة أور معظم الناس دفنوا في مقابر الأسرة تحت منازلهم -(كما هو الحال في كاتالهويوك)-، جنباً إلى جنب مع بعض ممتلكاتهم. وهناك عدد قليل تم العثور عليهم ملفوفين في حصير وسجاد. الأطفال المتوفين وضعوا في جرار كبيرة والتي تم وضعها في كنيسة العائلة. بقايا أخرى تم العثور عليها مدفونة في مقبرة عامة للمدينة. وهناك ١٧ قبر تم العثور عليه مع قطع ثمينة جداً في داخلهم ؛ يفترض أن هذه كانت مقابر ملكية.

* الثقافة :

-الموسيقى، الأغاني والآلات :

كانت بعض الأغاني مكتوبه للآلهة ولكن كان كثير منها مكتوبة لوصف الأحداث الهامة. على الرغم من أن الموسيقى والأغاني كانت تسلية الملوك، كان أيضاً يتمتع بها الناس العاديون الذين يحبون الغناء والرقص في منازلهم أو في السوق. الأغاني كانت تغنى للأطفال الذين كانوا يمررونها إلى أطفالهم لاحقاً. هكذا كانت الأغاني تنتقل خلال أجيال عديده إلى أن يكتبها شخص ما. هذه

الأغاني وفرت خلال قرون كوسيلة لتمرير معلومات هامة جداً حول الأحداث التاريخية التي في نهاية المطاف وصلت إلى المؤرخين المعاصرين.

العود هو آله موسيقية صغيرة، ذات أوتار. أقدم سجل مصورة للعود يعود إلى فترة أوروك في جنوب بلاد ما بين النهرين منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة مضت. هو على ختم أسطواني موجود حالياً في المتحف البريطاني والذي حصل عليه الدكتور (دومينيك كولون) . حيث تصور الصورة أنثى تنحني مع آلتها على قارب، وتلعب باليد اليمنى. هذه الآلة تظهر مئات المرات على مر تاريخ بلاد ما بين النهرين ومن جديد في مصر القديمة من بعد الأسرة الثامنة عشر في اختلافات وأصناف طويلة وقصيرة الرقبة. العود يعتبر سلف لآلة اللوت الأوروبية اسمه مشتق من الكلمة العربية العود (الخشب) ، التي هي على الأرجح اسم الشجرة التي تم صناعة العود منها. والاسم باللغة العربية مع أداة التعريف هو مصدر كلمة (لوت).

* الألعاب :

الصيد كان يحظى بشعبية كبيرة بين الملوك الآشوريين . وتظهر الملاكمة والمصارعة في الرسوم في كثير من الأحيان، وشكلاً من أشكال البولو ربما كان شعبي مع رجال جالسين على أكتاف رجال آخرين بدلاً من على الخيول . كما أنهم لعبوا (ماجور)؛ لعبة تشبه رياضة الرجبي، لكنها تلعب بكرة مصنوعة من الخشب. كما أنهم لعبوا لعبة مماثلة للعبة السينيت الطاولة، التي تعرف الآن باسم (اللعبة الملكية لما-اسيسبلو) .

* الحياة الأسرية :

بلاد ما بين النهرين عبر تاريخها أصبحت أكثر وأكثر مجتمع أبوي، الذي كان فيه الرجال أقوى بكثير من النساء. (ثوركليد جاكوبسن) وأخرين اقترحوا أن مجتمع بلاد ما بين النهرين المبكر كان يحكمه (مجلس حكماء) الذي كان الرجال والنساء فيه ممثلين بالتساوي، ولكن مع مرور الوقت؛ مركز المرأة هوى، وزاد مركز الرجل. لكن كان هناك شيء غير عادي في هذا الوقت من التاريخ أن المرأة في بلاد ما بين النهرين كان لها حقوق منها حق امتلاك ممتلكات والحصول على الطلاق إذا كان لديها سبب وجيه.

أما بالنسبة للتعليم؛ فقد ذهب إلى المدرسة فقط الذرية الملكية وأبناء الأغنياء والمهنيين مثل: (الكتبة، الأطباء، إداريي المعبد .. إلخ). معظم الفتيان كانوا يدرسون مهنة والدهم أو كانوا يبتدأوا في تعلم مهنة أخرى. كان على الفتيات البقاء في المنزل مع أمهاتهم لتعلم التدبير المنزلي والطبخ، ولرعاية الأطفال الأصغر سناً. بعض الأطفال كانوا يساعدون في سحق الحبوب أو تنظيف الطيور.



سوق الزواج البابلي، في كلية رويال هولواي.

* الاقتصاد :

سومر طورت أول اقتصاد، في حين أن البابليون وضعوا أقدم نظام لعلم الاقتصاد، والذي كان يضاهي اقتصاد ما بعد كينيز الحديث، ولكن مع نهج أكثر من "كل شيء مباح".

- أولاً الزراعة :

جغرافية بلاد ما بين النهرين هي أن الزراعة لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق الري والصرف الجيد، الأمر الذي كان له أثر عميق على تطور حضارة ما بين النهرين. الحاجة إلى الري قادت السومريين وفي وقت لاحق الاكاديين لبناء المدن على طول نهري دجلة والفرات وفروع هذه الأنهار. بعض المدن الكبرى مثل أور وأوروك، تجذرت على روافد نهر الفرات، في حين أن آخرين لا سيما لجاش، بُنيت على فروع نهر دجلة. الأنهار وفرت المزيد من منافع : - الأسماك (تستخدم على حد سواء من أجل الغذاء والتخصيب)، - القصب والطين (لمواد البناء).

مع الري الإمدادات الغذائية في بلاد ما بين النهرين كانت غنية جداً مع وديان نهري دجلة والفرات التي تشكل الجزء الشمالي الشرقي من الهلال الخصيب، الذي تضمن أيضاً نهر الأردن ونهر النيل .على الرغم من أن الأرض الأقرب إلى الأنهار كانت خصبة وجيدة للمحاصيل، أجزاء من الأرض بعيداً عن المياة كانت جافة وإلى حد كبير غير صالحة للسكن. هذا هو السبب في أن تطوير الري كان مهم جداً بالنسبة للمستوطنين من بلاد ما بين النهرين. وهناك ابتكارات آخرى لبلاد ما بين النهرين تشمل التحكم في المياة من خلال السدود واستخدام القنوات . أوائل المستوطنين للأراضي الخصبة في بلاد ما بين النهرين استخدموا محراث خشبى لتليين التربة قبل زراعة المحاصيل

مثل الشعير، البصل، العنب، اللفت والتفاح . المستوطنين في بلاد ما بين النهرين كانوا من أوائل الناس الذين صنعوا البيرة والنبيذ. على الرغم من أن الأنهار ضمنت استمرارية الحياة هي أيضاً دمرتها من جراء الفيضانات المتكررة التي اجتاحت مدناً بأكملها. تقلبات الطقس الذي لا يمكن التنبؤ بها في كثير من الأحيان في بلاد ما بين النهرين كان صعباً على المزارعين ؛ دمرت المحاصيل في كثير من الأحيان ولذلك احتفظوا بمصادر احتياطية من المواد الغذائية مثل الأبقار والأغنام. نتيجة للمهارة في مجال الزراعة في بلاد ما بين النهرين لم يعتمد المزارعون على العبودية لاستكمال الأعمال في المزارع المخصصة لهم؛ مع بعض الاستثناءات، وكان هناك العديد من المخاطر تنطوي عليها العبودية كـ (هروب وتمرد العبيد). وقد اشتهرت أرض العراق منذ القدم بخصوبتها ووفرة مياهها (نهرى دجلة والفرات) ، وقد قام العراقيون القدماء بتنظيم الري وإقامة السدود . كانت الزراعة وتربية الماشية تمثل الجزء الأكبر من ثروة العراق . كانت ملكية الأرض فى العراق قديماً للأفراد بخلاف مصر حيث كانت الأرض ملكاً لفرعون . وقد كانت للمعابد وقصور الأمراء حقولها الخاصة.

أهم أعمال السومريين التى سجلها التاريخ :

- قام السومريون بتجفيف المستنقعات وإقامة الجسور لتجنب خطر الفيضانات .
- اخترعوا الآلات الزراعية كالمحراث والشادوف وآلات بذر الحبوب.

أهم غلات العراق : الحبوب القمح والفاكهة (خاصة التمر والخضروات.

أهم الحيوانات : الماشية والضان والماعز وكانت إحدى آلهتهم على شكل بقرة واعتقدوا أنها تحمى قطعان الماشية.

- ثانياً الصناعة :

برع العراقيون القدماء فى كثير من الصناعات خاصة المعدنية حيث :

- طرقوا النحاس وصنعوا منه الأسلحة وأدوات الزينة والتماثيل .
- استخدموا الذهب والفضة فى صناعة الحلي الجميلة من أقراط وعقود .
- برعوا فى صناعة المنسوجات الصوفية من صوف الأغنام.

- ثالثاً التجـــارة :

- نشطت شعوب العراق القديمة فى ميدان التجارة وبرعوا فيها كما برعوا فى الزراعة.

- استخدم العراقيون القدماء المعادن كواسطة للتعامل فى البيع والشراء مثل النحاس والفضة والذهب على هيئة صفائح صغيرة أو حلقات أو أقراص مثقوبة وكانت ذات أوزان معلومة (مثل القدماء المصريين).

- اتسعت تجارة العراق فشملت معظم بلاد الشرق القديم وكان من صادراتهم الحبوب والتمر والمصنوعات المعدنية والمنسوجات الصوفية واستوردوا الأخشاب الثمينة والأحجار الكريمة.

وقد كان البابليون أكثر اهتماماً بالتجارة من الآشوريين.

* الحكومة :

جغرافية بلاد ما بين النهرين كان لها تأثير عميق على التنمية السياسية في المنطقة. من بين الأنهار والجداول؛ الشعب السومري بني المدن الأولى جنباً إلى جنب مع قنوات الري التي كانت مفصولة بمساحات شاسعة من الصحراء المفتوحة أو المستنقعات حيث تجوب القبائل الرحل. الاتصال بين المدن المعزولة كان من

الصعب وفي بعض الأحيان خطر. وبالتالي كل مدينة سومرية أصبحت دولة – مدينة، مستقلة عن الآخرين، وحامية لاستقلالها. في بعض الأحيان مدينة واحدة قد تحاول غزو وتوحيد المنطقة، ولكن هذه الجهود قد تم مقاومتها وفشلت لعدة قرون. لكن في نهاية المطاف سومر تم توحيدها من قبل اياناتام Eannatum ، ولكن التوحيد كان ضعيفاً وفشل في البقاء حيث غزا الاكاديين بلاد سومر في ٢٣٣١ ق.م بعد جيل واحد فقط لاحقاً.

أما الامبراطورية الاكدية فقد كانت أول امبراطورية ناجحة تبقى أكثر من جيل وترى التعاقب السلمي للملوك. الامبراطورية كانت قصيرة نسبياً، حيث غزاهم البابليون في غضون بضعة أجيال. ويلاحظ أن العراقيين القدماء لم يكونوا يعبدون ملوكهم أبداً وإنما كان السائد بينهم هو أن الملك ممثل للإله ونائب عنه وليس هو الإله على خلاف ما كان سائداً لدى الفراعنة حيث أن الفرعون هو الإله نفسه وكان ملوك العراق يستمدون الشرعية من كونهم ممثلين للإله لكي يتمكنوا من حكم الجماهير.

* القوانين :

الملك حمورابي – كما ذُكر سلفاً – كان مشهور بمجموعته من القوانين المعروفة بـ "شريعة حمورابي" – (تم إنشاؤها ١٧٨٠ قبل الميلاد)–، التي هي من أقدم مجموعات القوانين ووجدت كواحدة من أفضل الأمثلة المحفوظة من هذا النوع من الوثائق في بلاد ما بين النهرين القديمة. حيث وضع أكثر من ٢٠٠ من القوانين لبلاد ما بين النهرين.

* ملوك :

يعتقد أهل بلاد ما بين النهرين أن الملوك والملكات ينحدرون من مدينة الآلهة، ولكن خلافاً لقدماء المصريين لم يعتقدوا أن ملوكهم آلهة حقيقية . معظم الملوك سموا أنفسهم (ملك الكون) أو (الملك العظيم). اسم آخر عام كان (الراعي) لأنه كان على الملوك رعاية شعوبها.

أبرز ملوك بلاد ما بين النهرين يشمل :

- اينانتام Eannatum من لجش الذي أسس أول امبراطورية (قصيرة الأجل).
- سرجون من أكد الذي غزا كل بلاد ما بين النهرين، وأنشأ الإمبراطورية الأولى التي عاشت أكثر من مؤسسها.
- حمورابي أسس أول امبراطورية بابلية وأول من وضع القانون بشكل مقنن وهي مسلة حمورابي والمكونة من ٢٨٢ مادة قانونية.
- تغلات بلاصر الثالث أسس الإمبراطورية الآشورية الجديدة.
- نبوخذ نصر كان الملك الأقوى في الإمبراطورية البابلية الجديدة. كان يعتقد أنه ابن الإله (نابو) قد تزوج ابنة (سياكسيريس)، ولذلك فإن السلالات الميديانية والبابلية لها صلة عائلية. اسم نبوخذ نصر يعني : "نابو، احمي التاج".
- كان آخر ملوك بابل بلشاصر Belshedezzar ابن نابونيدوس Nabonidus الذي كانت نيكتوريس Nictoris زوجته ، ابنة نبوخذ نصر.

* الحرب :

مع نمو دول المدن تراكبت مناطق النفوذ لهم، مما خلق نزاعات بين دول المدن وخاصة على الأراضي والقنوات. هذه النزاعات سجلت في ألواح منذ عدة

مئات من السنين قبل أي حرب كبرى وأول تسجيل لحرب وقعت في ٣٢٠٠ ق.م ولكنها لم تكن منتشرة حتى عام ٢٥٠٠ ق.م. عند هذه النقطة أدرجت الحرب في النظام السياسي لبلاد ما بين النهرين، حيث يمكن أن تعمل مدينة محايدة كمحكم للمدن المتنافسة. هذا ساعد في تشكيل اتحادات بين المدن، مما أدى إلى دول منطقة . وعندما تم إنشاء الامبراطوريات ذهبوا إلى الحرب أكثر مع الدول الأجنبية. الملك سرجون؛ على سبيل المثال غزا جميع مدن سومر، وبعض المدن في ماري، ثم ذهب إلى الحرب مع سوريا . فكثير من جدران القصور البابلية زينت بصور للمعارك الناجحة والعدو، سواء يهرب بيأس أو يختبئ بين القصب. أما ملك سومر جلجامش فقد كان يُعتقد أنه ثلثا إله وثلث واحد فقط بشري -هناك قصائد والقصص أسطورية عنه والتي مررت لأجيال عديدة- ذلك لأنه كان لديه الكثير من المغامرات التي كان يعتقد أنها مهمه جداً، وفاز في الكثير من الحروب والمعارك.



جنود آشوريين، من لوحة في تاريخ الملابس من براون - شنايدر ١٨٦٠

* القوة :

عندما نمت آشور إلى امبراطورية ، تم تقسيمها إلى أجزاء صغيرة تسمى أقاليم . كل من هذه الأقاليم سميت على اسم مدنها الرئيسية ، مثل نينوى، السامرة، دمشق وأرباد. وكان لهم حاكم خاص الذي كان عليه التأكد من أن الجميع دفع الضرائب المستحقة عليه ؛ أيضاً كان عليه استدعاء الجنود للحرب، وتوريد عاملين عند بناء معبد .كما أنه كان مسؤولاً عن القوانين التي يجري تطبيقها. بهذه الطريقة كان من الأسهل الاحتفاظ بالسيطرة على امبراطورية مثل آشور.

على الرغم من أن بابل كانت دولة صغيرة في العصر السومري، فقد نمت بشكل كبير طوال وقت حكم حمورابي الذي كان يعرف باسم "صانع القانون". وسرعان ما أصبحت بابل واحدة من المدن الرئيسية في بلاد ما بين النهرين. كما أنها في وقت لاحق دُعت (بابلونيا)، وهو ما يعني "بوابة للآلهة". كما أنها أصبحت واحدة من أكبر المراكز في التاريخ للتعلم.

وعموماً فقد عُرفت الحضارات العراقية بالقوة المفرطة والنظام العالي الجودة.

الفصل الثاني

الحضارة السومرية

هي حضارة لمجموعات بشرية في جنوب شرق الهلال الخصيب (بلاد سومر) في العراق اليوم، (الأرض التي تقع في الدلتا الجنوبية من أرض الرافدين ما بين النهرين). وقد عُرف تاريخها من شظايا الألواح الطينية المدونة بالكتابة المسمارية . ظهر اسم سومر في بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد في فترة ظهور الحيثيين حيث تعتبر الحضارة السومرية في العراق من الحضارات الإنسانية المبكرة التى خلفت تراثاً عريقاً. لكن بداية السومريين كانت في الألفية السادسة قبل الميلاد حيث استقر شعب العبيديين بجنوب العراق وكوّنوا المدن السومرية الرئيسية : كأور، ونيبور، ولارسا، ولجاش، وكولاب، وكيش، وإيزين، وإريدو، وأداب (مدينة). وقد اختلط العبيديون بأهل الشام والجزيرة العربية عن طريق الهجرة أو شن غارات عليهم.

سمى السومريون بلادهم (كن – جير ken-gi) ولغتهم (إم – جير eme-gir)، الاسم مشتق من سومر، شومر أو شنعر، وفي التوراة اليهودية دعيت شنعار، وميسوبوتاميا باليونانية، والتسمية شومر (سومر) هي تسمية أكادية لمنطقة جنوب العراق وسكانها والتي تكرس استخدامها من قبل الباحثين مع إعادة اكتشاف الكتابة واللغة والثقافة السومرية في القرن التاسع عشر الميلادي.

* التسمية :

تطلق سومر على الأراضي التي أطلق عليها بعد ٢٠٠٠ ق.م. اسم بلاد بابل. وسهل بلاد شنعار هو أراضي ما بين النهرين التوأمين دجلة والفرات. وقد أطلق الإغريق على هذه الأرض اسم (ميزوبوتاميا)؛ وهي كلمة تعني بلاد ما بين النهرين. ويشكل أغلبها اليوم جزءاً من دولة العراق الحديثة برغم أن الفرات يرتفع من سوريا، ودجلة في تركيا فيما بين الحدود التركية وجبال أرمينيا في الشمال حتى الخليج العربي في الجنوب، ويمتد ما يقرب من ستمائة ميل هي المساحة التي تمتد من أبردين إلى دوفر، وفيها بين الصحراء السورية في الغرب وجبال فارس – (جبال زاجروس) – في الشرق ما يقرب من مائة إلى مائة وخمسين ميلاً. في هذه المنطقة وبالذات في الجنوب منها تحققت الحضارة السومرية في الوجود في النصف الثاني من الألفية الرابعة قبل الميلاد.

* أصلهم :

لا نعرف الكثير عن أصول السومريين ولا زال أصلهم مجهولاً حتى اليوم، ولكن لغتهم تؤكد اختلافهم في النشأة عن جيرانهم الساميين والعيلاميين، فهناك فرضيات حول منشأهم في بلاد الرافدين وتطورهم فيها، إلا أنه لا دلائل أثرية على ذلك، وفرضيات أخرى حول نشأتهم في آسيا الوسطى، وهجرتهم نحو بلاد الرافدين، لكن كذلك البحث الأثري لا يثبت ذلك، معظم الفرضيات تستخدم البحوث اللغوية في ذلك، ولكنها مع ذلك لم توفق حتى الآن في تحديد منطقة نشوء سومريو اللغة. وقد افترض العلماء الكثير من الفرضيات في شأنهم. بعض الباحثين العراقيين يعدونهم من الأقوام الذين هاجروا من شمال العراق إلى جنوبه، معترفين بأصولهم الجبلية. ولكن هذا الرأي يتنافى مع ماذكره السومريون أنفسهم

عن أصلهم كما ورد في أحد الألواح الطينية السومرية ونقله الباحث العراقي أحمد سوسة: ''ما نقله السومريون عن أنهم تركوا موطناً في أرض جبلية يمكن الوصول إليها بحراً '' ، حيث إن شمال العراق أرض جبلية ولكن لا يفصلها عن جنوب العراق أي بحر. وبعد هجرتهم حلوا في الجنوب عند مصبي دجلة والفرات حوالي العام ٣٢٠٠ ق.م ، وهناك أسسوا مدناً هي ممالك مستقلة أشهرها: أور، أوروك، أوما وغيرها. وتفصل المستنقعات بين هذه المدن ولكنها تتصل بأقنية ممهّدة.

ويرى آخرون أن السومريين من الأقوام التي هاجرت من جنوب العراق (الجزيرة العربية) لتؤسّس موطناً بديلاً لها في انحسار العصر الجليدي الأخير الذي بدأ فيه تصحّر الجزيرة العربية بينما كانت مستنقعات الرافدين تجفّ لتتحول إلى أرض صالحة للاستيطان والاستزراع، ويذهب أحد أهم المدافعين عن هذا الرأي وهو عبدالمنعم المحجوب في كتابه " ما قبل اللغة " إلى أن الأقوام التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى الرافدين تزامن ترحالها مع الأقوام التي هاجرت من الصحراء الكبرى إلى وادي النيل، وأن هذه الأقوام تُشكّل الطرف الشرقي والغربي للحوض الأفروآسيوي الذي كان يتحدّث لغة واحدة هي السومرية بلهجات متعدّدة . وهذا الرأي – إن صح– فهو يعني أن السومريين أقوام سامية تُعتبر من أسلاف العرب الحاليين.

خلال القرون التي تلت الهجرة السومرية نمت الدولة وتطورت في الفنون والعمارة والعلوم. ويعتبر الحاكم السومري الملك (إيتانا Etana) ملك مدينة كش أول من وحد بلاد سومر منذ عام ١٨٠٠ق.م. وبعده ظهر (ميسكياجاشر) ملك مدينة أوروك (وركاء) جنوب مدينة كش، وقام بالسيطرة علي منطقة تمتد من البحر الأبيض المتوسط حتي جبال زاجروس. وخلفه ابنه إنمركار عام ٢٧٥٠ ق.م.

واستولى على مدينة أراتا بشمال شرق بلاد الرافدين. وفي عام ٢٧٠٠ ق.م. قام (إنمبارجاسي Enmebaragesi) ملك دولة إتانا بكش، بالسيطرة علي بلاد سومر. وانتصر علي دولة عيلام Elam . وأقام معبداً للإله إنليل بمدينة نيبور التي أصبحت المركز الديني والحضاري لسومر. وفي سنة ٢٦٧٠ ق.م. إنتهى حكم إتانا بكش بعد سقوطه علي يد ميزنباد ملك مدينة أور التي جعلها عاصمة بلاد سومر. لكن بعد موته بسطت مدينة أرك نفوذها السياسي عليها بواسطة جلجاماش (٢٧٠٠–٢٦٥٠) ق.م. الذي دارت حوله الملحمة الشهيرة ملحمة جلجامش.

تتحدث النصوص السومرية عن المدن التي حكمت في الجنوب وأن المصدر المهم لدراسة الحقبة السومرية هو قائمة من الملوك السومريين. وتتحدث القائمة عن الدويلات السومرية وكأنها متعاقبة زمنياً لكن الواقع التاريخي يشير إلى أنها تعاقبت جزئياً أو كلياً، فعلى سبيل المثال نعرف أن حاكم أوروك " جلجامش " كان معاصر لحاكم كيش المدعو (اججا Agga) .

أول سلالة سومرية حاكمة كما يقول الإثبات السومري هي مدينة كيش التي يورد لها ٢٣ ملكاً نِصفهم اسماءهم سامية (جزرية)، وأبرز حكامهم هو (إيتانا)، والذي نمتلك عنه أسطورة تتحدث عن صعوده على ظهر نسر إلى السماء. أعقبتها سلالة اوروك بدلالة الإثبات رغم أن آخر ملوك كيش المدعو (اججا) كان معاصر لخامس حكام أوروك " جلجامش ". وترتبط بالأخير عدد من الملاحم السومرية التي تمكن العلماء من التعرف على ستة منها، وفي العصر البابلي القديم تم صهر هذه الملاحم مع اضافات اكدية لتظهر ملحمة جلجامش الشهيرة.

وقبل القرن ٢٥ ق.م. قامت الإمبراطورية السومرية بقيادة (لوجالالمند) بمدينة أداب (٢٥٢٥-٢٥٠٠) ق.م. وكانت تمتد من جبال طوروس حتي جبال زاجروس ومن الخليج العربي وحتى البحر الأبيض المتوسط .

* الأكديون :

عاشت سومر فترة اضطرابات داخلية حتى القرن ٢٣ ق.م. وحتى إجتاحها الملك السامي (سرجون الأول Sargon) وهو في الاكدية Sharru-kinum (٢٣٣٥ - ٢٢٧٩) ق.م. ومعنى اسمه الملك الثابت أو الصادق وأسس عاصمة جديدة سماها آجادة Agade بأقصى شمال بلاد سومر. وكانت في أيامه أقوى وأغنى مدينة في العالم في ذاك الوقت. واندمج الغزاة وأهل شمال بلاد سومر وانصهروا مكونين شعب آكديون .وأصبح يطلق عليها بلاد سومر وآكد. واستمر الحكم الآكدي حوالي قرن. وكان عهد الأكديين قد استغرق قرناً. أثناء حكم حفيد سرجون الملك (نارام سين Naram-Sin) ومعنى اسمه محبوب الإله سين (٣٣٥٥ - ٢٢١٨) ق.م. نزح الجوتيين من جبال زاجروس واستولوا علي مدينة آكد وبقية سومر. لكن السومريين بعد عدة أجيال طردوهم. وحصلت سومر علي استقلالها علي يد ملك مدينة (اوروك اوتوخيكال Utu khegal) ومعنى اسمه الإله اوتو جالب الخير (٢١٢٠ - ٢١١٢) ق.م. وأعقبه أحد قواده (أور. ناممو Ur-Nammu) ويقرأ حديثاً Ur-Namme بالعهد الثالث بمدينة أور. وخلفه إبنه (شولجي Shulgi) (٢٠٩٥ - ٢٠٤٧) ق.م.، وكان قائداً عسكرياً ومصلحاً اجتماعياً كأبيه، وأديباً، ووضع قانوناً قبل قانون حمورابي بثلاثة قرون، وفتح المدارس والجامعات.

وفي بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد جاء العلاميون من وسط سوريا غربي بلاد سومر وأكاد. واستولوا على أهم مدنها: كإيزين، وسيركا، وأور، وأسروا حاكمها وسيطروا بشكل كامل مكونيين حضارة امتدت حتى جاء حمورابي ملك بابل وتغلب على العلاميين عام ١٧٦٣ ق.م. وأصبح الحاكم الوحيد لبلاد سومر وأكاد بعدما ضمهما لبابل لتظهر الحضارة البابلية. والحضارة السومرية خلفت آلاف الألواح المسمارية باللغة الأكادية. ومنذ أوائل الألف الخامس قبل الميلاد، شهد ما بين النهرين السهل الرسوبي في العراق (دلتا الرافدين) الانتقال من القرى الزراعية إلى حياة المدن. ففي هذا السهل قامت المدن الأولى مثل أريدو، وأور، والوركاء (وركا). وفي هذه المدن كانت بدايات التخطيط للسيطرة على الفيضانات، وإنشاء السدود وحفر القنوات والجداول. و كانت في هذا السهل شبكة القنوات معجزة من معجزات الري، مما جعل السومريون هم بناة أقدم حضارة في التاريخ. وفي حدود سنة ٣٢٠٠ ق.م. ابتكر السومريون الكتابة ونشروها في عدة بلدان شرق أوسطية. وقامت في بلاد سومر أولى المدارس في التاريخ.

* قائمة الملوك السومريون :

في جدوال دونتها ملوك عصر فجر السلالات السومرية (عصر فجر السلالات من ٢٨٥٠ وحتى ٢٤٠٠ ق.م) جاء أسماء الملوك ومدة حكم كل منهم ومآثارهم. ثمانية ملوك سومريين حكموا سومر مايقرب ربع مليون سنة، أي أن متوسط حكم كل واحد منهم يزيد عن ٣٠ الف سنة. اللوحات الطينية تحدثنا أن عمر الإنسان قبل الطوفان كان يصل إلى أكثر من ألف سنة في حين أن عمره بعد الطوفان أصبح لايتجاوز المئة عام. وهو ما يتطابق مع ما ذكر بالتوراة (سفر التكوين، الإصحاح الخامس) .

وتعد قائمة الملوك السومريين من الألواح الأكثر أهمية ومنفعة في تاريخ بلاد سومر رغم أن سنين الحكم فيها مبالغ فيها حيث أن في أوائل الملوك عدد سنين الحكم في المسلة غير معقول ويمكن عدم اعتماده في الملوك الأوائل ولكن ذكرناه التزاماً بالنص وإليكم نصها: (بعد أن هبطت الملكية من السماء أصبحت اريدو مقر الملكية في اريدو حكم (الوليم) ٢٨٨٠٠ سنة وحكم (لجار) ٣٦٠٠٠ سنة – ملكان حكما ٦٤٨٠٠ سنة ثم هجرت اريدو ونقلت ملكيتها إلى بادتيبيرا في بادتيبيرا حكم (اينمثلوانا) ٤٣٢٠٠ سنة وحكم (اينمنجالانا) ٢٨٨٠٠ سنة وحكم (دوموزي) الراعي ٣٦٠٠٠– ثلاثة ملوك حكموا ١٠٨٠٠٠ سنة ثم هجرت بادتيبيرا ونقلت ملكيتها إلى لاراك في لاراك حكم (اينسيبازي انا) ٢٨٨٠٠ سنة – ملك واحد حكم ٢٨٨٠٠ سنة وهجرت لاراك ونقلت ملكيتها إلى سيبار في سيبار حكم اينميدورانا ٢١٠٠٠ سنة كملك – ملك واحد حكم ٢١٠٠٠ سنة ثم هجرت سيبار ونقلت ملكيتها إلى شوروباك في شوروباك حكم اوبارتوتو ١٨٦٠٠سنة كملك – ملك واحد حكم ١٨٦٠٠سنة (المجموع) ٥ مدن ٨ ملوك حكمو ٢٤١٢٠٠ سنة ثم أغرق الطوفان البلاد وبعد أن أغرق الطوفان البلاد وهبطت الملكية من السماء مرة ثانية أصبحت كيش مقر الملكية في كيش حكم جا اور ١٢٠٠سنة كملك وحكم (جولا– نيداباانا ياد) ٩٦٠ سنة وحكم بالا كيناتيم ٩٠٠سنة وحكم نانجيشليشما ١٠٠٠ سنة). وهنا نجد أن أرقام الحكم خيالية في فترة ما قبل الطوفان وبالعملية الحسابية التقريبية نستنتج أن الوحدة الزمنية للعام كانت من الشروق للغروب عام ومن الغروب للشروق عام أي أن اليوم بالوحدات الزمنية المعاصرة كان يساوي عامين عند السوماريين وهذا يعني أنهم كانوا يعبدون الشمس فأخذوا من غروبها وشروقها وحدات زمنية لهم .. كان هذا قبل الطوفان وأما عن مرحلة ما بعد الطوفان كما ورد فهناك تَغيّر كبير وبشكل

ملحوظ في الوحدات الزمنية الخيالية والتي كانت تتراوح ما بين ٣٦ ألف عام و٤٨ ألف عام فأصبحت الوحدات الزمنية تتراوح ما بين ١٢٠٠ و ٩٦٠ و٩٠٠ سنه وهذا التغير الكبير في الوحدات الزمنيه يقر أن السوماريين بعد الطوفان إعتمدوا وحدة زمنية أخرى غير الشمس وهي الوحدة الزمنية لمنازل القمر فتصبح السنة بالوحدات الزمنية المعاصرة هي شهر قمري (والله أعلى وأعلم) .

* صحيفة الملك :

هي أحدى أكثر الآثار العالمية غرابة، وهي عبارة عن صحيفة حجرية منقوش عليها أخبار الأرض على مدى ٤٠٠ ألف سنة سبقت السومريين. هذه الصحيفة تذكر بالصحف المحفوظة في خزائن الملك والتي لايصل إليها يد التحريف، والمعلومات التي فيها تشير إلى أن السومريين كانوا يقسمون التاريخ إلى قسمين: ما قبل الطوفان وما بعد الطوفان .

الأنباء عن الأرباب والربات لدى السومريين وصلتنا عن طريق (صحيفة الملك Sumerian King List) ، والصحائف والأسطوانات الطينية. صحيفة الملك تنقل لنا أخبار الأرض التي حصلت على امتداد أكثر من ٤٠٠ ألف سنة. هذا التأريخ الطويل وقصص حكامه ، جعلت أغلب المؤرخين يرفضون مصداقيته. ومهما كان الأمر فإن الآلهة الأولى (الانوناكي) ، التي تتحدث عنها الصحف الأولى، هم: "Nephilim Nefilim, Elohim, the "An unna ki وتعني: " هؤلاء الذين من السماء إلى الأرض جاءوا ". وهم عبارة عن ثلاثة ترسمهم اللوحات الجدارية مع مركبات مجنحة. هؤلاء الثلاثة يطلق عليهم أسماء : آناكيم، نفليم، إلوهيم –(والغريب أن اسم إلوهيم نفسه مذكور في التوراة اليهودية)– وهذه الآلهة الثلاثة هم أبناء إله واحد وتتوجه إليه الموشحات الدينية

بصيغة توحيدية. حيث أن الإله الأصلي لدى السومريين كان يسكن أحد الكواكب، وبالذات كوكب (نيبرو)، ومنه جاءت أبناء الآلهة إلى الأرض. (في الحضارات اللاحقة أصبح اسم هذا الكوكب مردوخ، على اسم الإله الأعظم).

حسب القصة السومرية، كانت السنة الواحدة على كوكب نيبيرو تعادل ٣٦٠٠ سنة. وكان يطلق عليها وحدة (سار). عندما وصلت الآلهة الأولى إلى الأرض كان عمرها ١٢٠ سار، مما يعني أن عمرها ٤٣٢ ألف سنة بالزمن الأرضي.

* اللغة السومرية :

بعد عام ٣٢٥٠ ق.م. ابتكروا الكتابة علي مخطوطات ألواح الطين وكانت خاصة بهم حيث ابتكروا أقدم طرق الكتابة في المسمارية التي دونت على ألواح الطين الطري بقلم القصب المثلث الرأس ثم يفخروه ليغدو مقاوماً للظروف المناخية

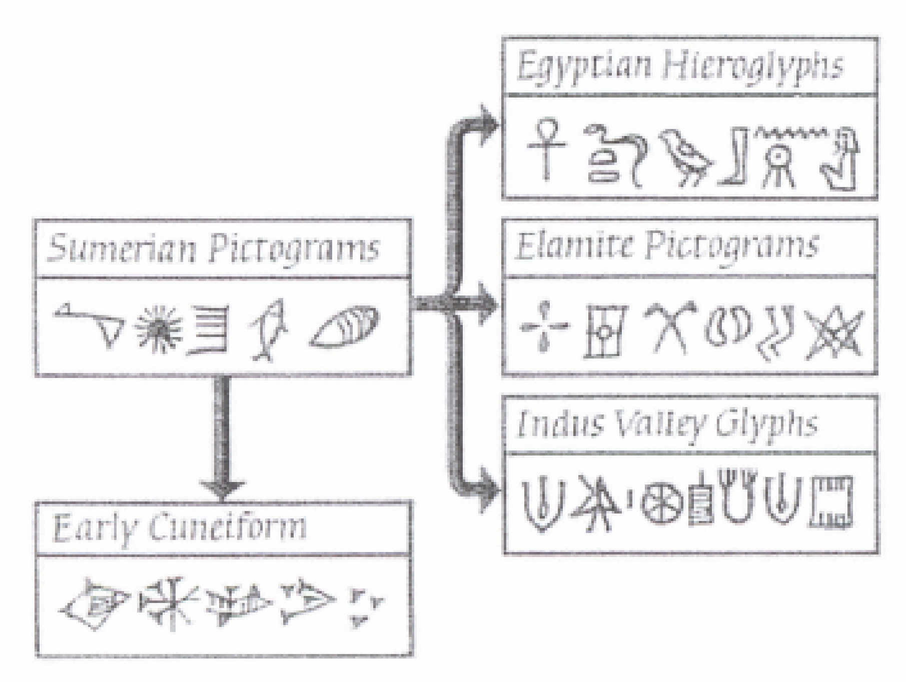
حتى اليوم لم يتم الكشف عن علاقة وطيدة أكيدة للغة السومرية مع أي من اللغات المعروفة، وبالتالي لايمكن تصنيفها ضمن العائلات اللغوية المدروسة (مع وجود العديد من الفرضيات حول ذلك)، وقد بقيت السومرية حية في جنوب بلاد الرافدين حتى ١٧٠٠ ق.م تقريباً، وظلت الكتابة السومرية ٢٠٠٠ عام، لغة الاتصالات بين دول الشرق الأوسط في وقتها. وبقيت كلغة كتابة وخصوصاً في النصوص الدينية والأدبية حتى الألف الأول الميلادي، وهي مع ما كشف حتى الآن أول لغة مكتوبة (حوالي ٣٢٠٠ ق.م)، وبذلك تغطي الكتابة السومرية فترة تقدر بثلاثة آلاف سنة . وهي من اللغات التي تعرف بـ (الملتصقة Agglutinative) من خصائص الإلصاق فيها أنه كثيراً ما يدمج مفردتين لتصبحا كلمة واحدة يستند

معناها إلى معاني الكلمات الداخلة في تركيبها، مثل (لوكال) أي الملك المكونة من (لو) أي الرجل و (كال) أي العظيم، و (إي – كال) تعني القصر أو الهيكل مكونة من كلمة (إي) وهي البيت و(كال) العظيم. ثم أن الجمل فيها تتألف أيضاً بطريقة إلصاق الضمائر والأدوات إلى جذر الفعل بحيث يصير الجميع كلمة واحدة.

Kha - za - ki - a - u   la - u - da - ai

Ur - sa - li - im - mu   ali - sharru - ti - shu

نموذج عن الكتابة المسمارية الأولى التي استخدمها الله لخزن صحف ابراهيم وموسى



نموذج من الكتابة المسمارية العراقية ، تفرعت منها الكتابات العيلامية (الاحوازية) والهندية.

قبل عدة سنوات تمكن باحث عراقي أن يعيد جميع جذور اللغة السومرية إلى لغة بلاد الرافدين الأم، من خلال نظرية في السيمانتك. وأثبت أن جذرها اللغوي هو من ذات جذور اللغات الرافدينية الأخرى المسماة بالعائلة السامية.

وتمكن من إعادة اللغات السامية إلى هذه الجذور القليلة لمّا قدم نظريته في السيمانتك الموسومة بالمنهج التفكيكي. وأبعد من ذلك تمكن من أن يثبت أن لغة بلاد الرافدين هاجرت إلى أوروبا ومناطق أخرى من العالم، وعدد كبير من اللغات الأوروبية الحالية تعود إلى لغة بلاد الرافدين القديمة، بعد أن اختلفت صوتياً عن لغة المنشأ.

* التاريخ :

تعود بداية الحضارة السومرية لما يعرف بعصر أورك إلى بداية الألف الرابع قبل الميلاد، وهي مميزة ببدايات إنشاء المدن الأولى كما أنها ذات طراز فخاري محدد، وقد شكلت امتداداً لثقافة العُبيد؛ أولى المستوطنات الزراعية على امتداد الفرات منذ الألف السادس قبل الميلاد المميزة بطرزها الفخارية ذات الألوان والطابع المحدد .

- **عصر أوروك** : بدأ التاريخ السومري بما يعرف بعصر أوروك من حوالي ٤٠٠٠ ق.م إلى ٣٠٠٠ ق.م، فقد نشأت العديد من المستوطنات والقرى الزراعية على الفرات والتي تطور منها لاحقاً بعض المدن ، وقد شكلت أوروك المدينة الأهم بينهم والتي اشتهرت بمعبد إنانا الموجود فيها.
- **عصر جمدة نصر** : في حوالي ٣١٠٠ ق.م زاد عدد المزارعيين المشتغلين بالزراعة المرويّة بشكل كبير، وأصبحت مراكز المدن أماكن مقدسة، وانتهى هذه الفترة حوالي ٢٩٠٠ ق.م.

* المدن :

في القرن الرابع قبل الميلاد قسمت سومر إلى عدة مدن مستقلة ومنها:

- إريدو - سيبار - لارسا
- باد تيبيرا - شوروباك

ومن المدن الرئيسية في البلاد:

- كيش - لجش - نفر
- أوروك - أداب - عيلام
- أور - دير - براخشي
- اوما - احادة - إيسن

* الدولة السومرية القديمة :

في بداية عصر السلالات المبكرة نشأت مجموعة من المدن الدول (آداب – إريدو – إيسن – كيش – لاكاش – لارسا – نيبور – أور – أوروك) والتي شكل خضوعها لحكم واحد منذ ٢٨٠٠ ق.م الدولة السومرية القديمة ، وذلك عبر سلسلة من القادة الحكام من مدن وعائلات حاكمة مختلفة كما يلي :–

١ – كيش :

كان أول حاكم لسومر هو (إتانا) الذي عاش في فترة ٢٨٠٠ ق.م، وكان ملك (مدينة كيش) وتسمى أيضاً (بتل الأحيمر) . وهي منطقة أثرية في العراق كانت في السابق أحد المدن الرئيسية للسومريين وحسب الأساطير السومرية تعتبر كيش أول مدينة يتربع عليها ملك بعد الطوفان الكبير الذي ذكر في الأساطير السومرية والديانات اليهودية والمسيحية والإسلام.

نشأت مدينة كيش قبل حوالي ٣١٠٠ ق م، وبعد ذلك أصبحت قوى كبرى في تلك المنطقة. مدينة كيش هي أول مدينة سومرية. وخلال قائمة الملوك

السومريين. يظهر بأن الملك (جشور)، كان أول الملوك السومريين، والذي كان يسمى (كولاسينا بيل)والذي معناه بالأكدية (ملك الجميع) . ويعتقد بأنه هو من أنشأ أول مملكة في التاريخ. وبعد ذلك خلف جشور تسعة ملوك آخرين ومنهم الملك الثاني عشر لـ كيش (ايتانا) واسمه بالأكدية (زوكاكيب) أي العقرب، وحسب الطبيعة السامية بأن اسم ايتانا كان شائعاً في العصور القديمة، وهو نفسه ايتانا الذي كان يريد الوصول إلى الجنة، وأحياناً ينسب اليه بأنه هو من بني كيش، ومن الملوك الآخرين لسلالة كيش الملك ٢١ وهو (اينمينباراجيسي) والذي كان يتاجر بأسلحة مع بلاد عيلام، ومن الملوك الآخرين (دوموزيد) ، و(جلجامش) الذي اشتهر بملحمته. ومن الملوك الآخرين الذين لم يذكروا في القائمة الاكدية، والتي تسمى (اوتوج)، منهم الملك (حمازي) الذي يعتبر من أقدم الملوك، وكذلك (ميسيليم) الذي قام ببناء المعابد في مدينتي أداب ولكش والذي قام بضمهما إلى مملكته. السلالة الثالثة لمملكة كيش بدأت بامرأة وهي الملكة (كوباو)، والتي اشتهرت بعبادتها للآلهة (خيبه). بعد ذلك ظهرت مملكة أخرى قوية عسكرياً واقتصادياً ظهرت في الجنوب وهي مملكة نيبور، وتمكنت من السيطرة على مملكة كيش وعلى أجزاء شمال كيش، لكن كيش اشتمرت كمدينة خلال عصور حكم أكد واور وبابل . قام الملك الاكدي سرجون الأول بضمها وبنى فيها معابد للإله إنانا. كيش استمرت خلال عصور البابلية القديمة وفي العصور الكاشية وفي العصور الآشورية، ومرت ببعض الفترات المزدهرة.

* الحفريات :

قام فريق فرنسي مختص في علم الآثار بقيادة (هنري ديجينويلاك Henri de Genouillac) بالتنقيب لأول مرة عن مدينة كيش بين عامي ١٩١٢ و

١٩١٤ . قبل ٥٠٠٠ سنة ظهر مايعتبره البعض أول الأمبراطوريات في تاريخ الانسان من مدينة كيش على يد السومريين واستمرت إلى أن اطاح بها الأكاديون وقد ذكرت مدينة كيش في ملحمة جلجامش أيضاً. واكتشفت آثار مدينة كيش على بعد ٢ أو ٥ ميل عن منطقة تسمى حالياً بـ تل الأحيمر التي سميت بهذا الاسم بسبب وجود بعض القرميدات الحمراء في تلك المنطقة. و كذلك ظهرت بعض الآثار في منطقة نغارا التي تقع شرق مدينة كيش واكتشف هناك أيضاً معبد الإله إنانا . وكذلك في تل خزنة وتل البندر التي وجدت بعض الآثار الفارسية فيه، وكذلك اكتشف بعض الآثار تعود إلى العصر الاشوري الحديث .



موريكس تحمل اسم الملك ريماش ملك كيش ٣٣٧٠ ق.م متحف اللوفر

٢- أوروك :

تلى ملك كيش ، (مسكياكاشر) ملك أوروك ، وأسس جنوباً من كيش أسرة حاكمة منافسة ، ووسع نفوذه حتى شمل كامل الهلال الخصيب تقريباً ، وخلفه ففي العام ٢٧٥٠ ق.م ابنه (إنمركار)، الذي خلفه أحد قادة جيشه المدعو



لوكالباندا، ثم عاد حكم سومر في العام ٢٧٠٠ ق.م إلى أسرة كيش عن طريق الملك (إنمِباراكِسي) .

٣- أكد :

وحّد الأكاديون – الذين سكنوا شمال سومر – بقيادة سرجون سومر تحت حكم أسرة واحدة من ٢٣٧١ ق.م وحتى ٢١٩١ ق.م ، واضحت في هذه الحقبة اللغة الأكادية هي لغة الدولة الرسمية ، وانتهت هذه الفترة بغزو المنطقة من قبل الكوتيين (الجوتيين).

تاريخ المدن السومرية القديمة

* الوركاء أو أوروك :

أوروك أو أورك أو أرك بالسومرية أواوريتش باليونانية، وتسمي في العراق وركاء هي مدينة سومرية وبابلية على نهر الفرات، تبعد عن مدينة اور ٣٥ ميل. وتقع حوالي ٣٠ كم شرق السماوة . ظهرت بها حضارة ماقبل التاريخ حيث كان يصنع بها الفخار الغير ملون علي الدولاب (عجلة الفخار). كما صنعت الأوعية المعدنية. وتعتبر مدينة الوركاء إحدى أوائل المراكز الحضارية في العالم ظهرت في بداية العصر البرونزي وظهرت قبل حوالي ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد . وفي مدينة أوروك أخترعت الكتابة المسمارية وكانت عبارة عن صور بسيطة للأشياء علي ألواح طينية وكانت تحرق ، أتبع فيها الخط المسماري. ومن هذه المدينة ظهر الحرف الأول في العالم وذلك في حدود ٣١٠٠ ق.م و قد ظهرت الكتابة بشكلها الأول حيث كانت في بداياتها كتابة صورية ثم تطورت فيما بعد لتصبح الكتابة المسمارية. اوروك كانت تلعب دور رئيسي في العالم في تلك الفترة قبل حوالي ٢٩٠٠ ق.م

ويقال بأن مدينة اوروك كان طول محيطها حوالي ٦ كيلومتر وبذلك كانت أكبر مدينة في العالم بتلك الفترة وظهرت في هذه المدينة أيضاً ملحمة جلجامش، وقد بقت مدينة الوركاء محافظة على مكانتها كمدينة دينية ومركز لعبادة الإلهة عشتار إلهة الحب والحرب وكرست معابدها لعبادة عشتار فحافظت المدينة على نوع من القدسية. إلا أن المدينة بعد ذلك فقدت أهميتها حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م بعد أن احتلها البابليون والعيلاميون وبقت على حالها خلال العهد السلوقي والبارثي ثم غير نهر الفرات مجراه ولما كانت المدن في العالم القديم تعتمد على مجاري الأنهار فقد هُجرت المدينة ولم تُسكن بعد ذلك.

* بروز المملكة :

أوروك هي المدينة التي عاش بها جلجامش وكتب ملحمته الشهيرة، أوروك حسب سفر التكوين هي ثاني مدينة بناها نمرود في أرض شنعار .كانت اوروك من أول مدينة متحضرة في تاريخ البشرية في حدود (٤٠٠٠ – ٣٢٠٠) ق.م، وخلال تلك الفترة تم بناء قرى زراعية حول مدينة أوروك، وكانت أوروك في ذلك الوقت تتمتع بقوة عسكرية واقتصادية.

كان خامس ملوكها جلجامش ابن الملك (لوكال بندا) وكانت المدينة مقراً لعبادة الإله (أنو) إله السماء وكبير الآلهة السومرية، وقد لعبت المدينة دوراً هاماً في ملحمة جلجامش حيث كان نظام الحكم السائد أنذاك هو نظام دويلات الملك إذ كانت كل مدينة عبارة عن مملكة مستقلة بحد ذاتها، وكان بها معبد (أي– أنا) الأبيض وكان عبارة عن مصطبة . واشتهرت بالأختام الغائرة.



تمثال من أوروك في متحف اللوفر كان خامس ملوكها جلجامش وكانت موئلا لعبادة الإله أنو حيث لعبت دوراً هاماً في ملحمة جلجامش. وكان بها معبد (أي.أنا) الأبيض وكان عبارة عن مصطبة. واشتهرت بالأختام الغائرة. وكانت المدينة عاصمة لإقليم بابل السفلي. إلا أنها فقدت أهميتها بعد ظهور دولة أور. وبها بقايا زقورات

وقد كانت مدينة الوركاء هي أول مدينة استطاعت أن توحد دويلات الملك حيث نجح ملكها لوكال زاكيزي بتوحيد الممالك المتناحرة وأسس دولة كبرى حدودها من البحر السفلي (الخليج العربي) إلى البحر الأعلى (البحر المتوسط) ولم تستمر سيطرة الوركاء طويلاً إذ سرعان ما أستولى سرجون الاكدي على المُلك وهُزِم لوكال زاكيزي وبذلك فقد شهد العراق بداية حقبة جديدة في تاريخه وهي الدولة الاكدية والتي سقطت على أيدي الكوتيين بحدود ٢١٥٠ق.م وعادت الوركاء مجدداً إلى الظهور إذ استطاع أحد ملوكها من قيادة حرب وطنية من أجل تحرير البلاد من السيطرة الكوتية وهو الملك أوتو حيكال (بطل التحرير) وبذلك

فقد استعادت مدينة انو هيبتها وعادت إلى صدارة المشهد في حضارة العراق القديم وبعد ٧ سنوات من حكم اوتو حيكال مات في ظروف غامضة ليستولي على العرش قائد جيشة وصهره أورنمو الذي نقل عاصمة ملكه إلى مدينة أور وأسس سلالة جديدة وهي سلالة أور الثالثة. وكانت المدينة عاصمة لإقليم بابل السفلي إلا أنها فقدت أهميتها بعد ظهور دولة أور . وقد اكتشف المدينة الإنجليزي وليام لوفتس سنة ١٨٤٩ م.

* أور :

أور هو موقع أثري لمدينة سومرية بتل المقير جنوب العراق . وكانت عاصمة للسومريين عام ٢١٠٠ق.م. .وكانت بيضاوية الشكل وكانت تقع على مصب نهر الفرات في الخليج العربي قرب أريدو إلا أنها حالياً تقع في منطقة نائية بعيدة عن النهر وذلك بسبب تغير مجرى نهر الفرات على مدى آلاف السنين الماضية، تقع أور على بعد بضعة كيلومترات عن مدينة الناصرية جنوب العراق وعلى بعد ١٠٠ ميل شمالي البصرة . وتعتبر واحدة من أقدم الحضارات المعروفة في تاريخ العالم. ولد بها الخليل إبراهيم أبو الأنبياء عام ٢٠٠٠ق.م. ونزلت عليه فيها الرسالة الحنفية . واشتهرت المدينة بالزقورة التي هي معبد لـ نانا إلهة القمر في الآساطير (الميثولوجيا) السومرية. وكان بها ١٦ مقبرة ملكية شيدت من الطوب اللبن. وكان بكل مقبرة بئر. وكان الملك الميت يدفن معه جواريه بملابسهن وحليهن بعد قتلهن بالسم عند موته . وكان للمقبرة قبة.



آثار وأطلال مدينة أور حيث يمكن رؤية الزقورة فيها

* التاريخ :

أور كانت مسكونة منذ فترة العبيد حيث كانت القرى عبارة عن مستوطنات زراعية، ولكنها أصبحت مستوطنة كبيرة مع حاجة هذه المدن إلى مستوى أعلى من حيث السيطرة على الري في أوقات الجفاف. وفي الفترة ٢٦٠٠ ق.م وخلال حكم السلالة الثالثة في الفترة المبكرة ازدهرت أور من جديد. وأصبحت المدينة المقدسة للإلهة نانا. وهي الآن بالسايح وفي الأخير أصبح ملوك أور هم الحكام المسيطرين على سومر. وقد قام أهل سومر بتحصين المدينة أور الكلدانية وجعلوها عاصمة للإقليم، وبنوا فيها مباني دائمة من الطوب المحروق، كما شيدو المعابد لآلهتهم والتي تعبر عن رفاهية المدينة، وكان للمدينة ميناءان للتجارة. وقسم السكان إلى قسمين: قسم يسكن المدينة والثاني عبيد أو خدم يفلحون الأرض ويعيشون في القرى الريفية المحيطة بها. وتقدمت مهنتي التجارة والصناعة.

وأصبحت أور المدينة العاصمة مدينة قيادية في المملكة السومرية. وكانت مساحتها ٢٤٠ فدان ويسكنها حوالي ٢٤ ألف نسمة. ومن أهم آثارها سور يحيط بمجموعة المعابد القديمة وزقورات الأعظم؛ ومعنى الزقورات الجبال المقدسة وهي على شكل أهرام ترتفع في هيئة مدرجات تتناقص ومحاط بها منحدرات تصل إلى قمتها حيث يوجد قدس الأقداس.



رقيم من مدينة أور في متحف اللوفر

* السكان :

فيما يتصل بسكان المنطقة ولغاتها القديمة، فإن ثمة قوم مجهولي الهوية سبقوا السومريين والساميين إلى استيطان جنوبي بلاد الرافدين ومناطق الفرات الأوسط، يطلق عليهم اسم (الفراتيين الأوائل Proto – Euphrat) ، وينسب إلى أولئك أسماء عدد من المدن ومنها : أدب، لجش، اور، اوروك، لارسا ،كما ينسب إليهم أسماء عدد من المهن الزراعية والحرف الصناعية الضرورية



لمجتمعهم. ويرى بعض الباحثين أن سكان أور خلال سلالة أسرة أور الثالثة هم من السومريين حيث سمي هذا العصر بالعصر السومري الحديث.

* الحياة السياسية في مدينة أور :

يعتقد أن النهضة السومرية قد بدأت في حوالي عام ٢١٢٠ ق.م عندما بادر (أوتوهيكال Utu-Hegal) -اوتو خيجال- ملك الوركاء لإعلان أول عصيان واسع النطاق على الحكام القبليين (الجوتين)، وقد سانده في هذا العمل الحكام السومريون في بعض المدن ومن بينهم (اورنمو Ur- Nammu) حاكم اور الذي تمرد عليه وهزمه بعد الجوتين بعد أن حقق انتصاراته الأولى، ثم أتم اورنمو تحرير سومر وأسس السلالة الثالثة في أور (أسرة أور الثالثة) مدشناً بذلك ما يسمى أحياناً بالعصر السومري الحديث. أزدهرت أور في فترة حكم أسرة أور الثالثة (٢١١١ - ٢٠٠٣) ق.م ، حيث تعاقبت على عرش أسرة أور الثالثة خمسة ملوك كان أولهم مؤسس أورنمو (٢١١١ - ٢٠٩٤) ق.م ، الذي أستطاع توحيد المدن السومرية جميعاً تحت حكمه وسلطانه، بعد أن استطاع الانتصار على ملك مدينة أوروك ومن بعدها مدينة لجش ومن بعدها المدن السومرية الأخرى وبعض مدن الأكادية الواقعة إلى الشمال من مدينة نيبور حتى أن سلطته بلاد بابل وصلت إلى الجزيرة العليا، فلقب الملك أورنمو في وقتها (ملك سومر واكد) ، ثم بدأ نشاطاً معمارياً واسعاً قام به في مملكته الموحدة في المدن السومرية واكادية متعددة. وأهم ما قام به الملللك أورنمو في مدينة أور للارتقاء بها وازدهارها في تلك الفترة والتي تتلخص ببعض الإصلاحات الإدارية والإنجازات العمرانية نذكر منها ما يلي :

١- قام بتشيد زقورة للإلهة نانا في عاصمة دولته أور، والقيام بتشييد العديد من المباني وترميم ما تهدم من معابد الالهة في المدن السومرية المختلفة.

٢- قام بتحصين المدينة التي تطل على نهر الفرات من جهاتها الثلاث.

٣- أوصى بشق أقنية الري لايصال مياة نهري دجلة والفرات إلى الأراضي الزراعية، وصيانة القديم منها.

٤- قام بإعادة تنظيم الأمور السياسية في البلاد وذلك من خلال ترسيم ووضع الحدود الفاصلة بين المدن والأقاليم التي اختلطت بعد الفوضى التي قام بأحداثها الجوتيين. حيث قام بتحديد سلطة كل من الحكام المحليين وحكام المدن والأقاليم وتحديد مسؤوليات إدارتهم، وحل الخلافات والمنازعات المتعلقة بالاحياز البيئية المتعلقة بالأراضي ومصادر المياة.

٥- قام بسن تشريعات قانونية تعد الأولى من نوعها في تاريخ بلاد ما بين النهرين والشرق الأدنى القديم بعامة، حيث اشتملت على تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع من جهة وبين المعبد وبين القصر الملكي من جهة أخرى، ونصت الصيغة على منع الكهنة وكبار الموظفين من استغلال وظائفهم الدينية والحكومية لتحقيق السلطة والثراء على حساب الشعب، وتعتبر من أقدم القوانين التي تم الكشف عنها حتى الآن . حيث أن القانون كان يتألف من مقدمة تليه مواد قانونية ثم ينتهي بالخاتمة، وكانت المقدمة مخصصة للحديث عن اورنمو. وكانت المواد القانونية تعالج اثنتان وثلاثون قضية اقتصادية واجتماعية. وقد كتبت باللغة المسمارية.

بعد وفاة الملك أورنمو خلفه ابنه شولجي (٢٠٩٣ - ٢٠٤٦) ق.م في حكم مدينة أور حيث استمرت مدة حكمه حوالي ٤٨ عاماً مكنته من تنفيذ العديد من المشاريع العمرانية وإعادة توسيع بعض المنشآت في مدن سومر وأكد وفي

مقدمتها إكماله بناء عدد من المعابد والزقورات كزقورة أور نفسها وزقورة الوركاء واهتم بمدينة اريدو ومعابدها. لقد ورث شولجي عن أبيه مملكة ثابتة الأركان سعى إلى جعلها دولة مترامية الأطراف حيث قام بمهاجمة عاصمة الدولة العلامية في سوسة وضمها إلى مناطق نفوذه حيث وصلت دولة الأسرة الثالثة في أور إلى أقصى اتساعها في زمن حكم الملك شولجي فقد امتدت نفوذ مملكته من الخليج العربي جنوباً إلى آشور والجزيرة العليا والفرات الأوسط حيث تقوم مدينة ماري شمالاً، ومن عيلام وجبال زاجروس في الشرق إلى البادية السورية وربما إلى جبيل على ساحل البحر الأبيض المتوسط غرباً، حتى سمي الملك الاكادي (ملك الجهات الأربع) ، ويعتقد أن أهل بلاطه رفعوه إلى مرتبة الإله، وكان ينتسب كباقي أفراد الأسرة إلى الإلهة ننسو والدة جلجامش .بعد وفاة شولجي وصل إلى الحكم ابنه الأكبر أمارسين (٢٠٤٥ – ٢٠٣٧) ق.م ، وقد استمر بتفيذ سياسية البناء والإعمار التي اتبعها أبوه وجده من قبل في المدن المختلفة، وينسب إلى عهده بناء معبد الإله إنكي في إريدو.

ثم جلس من بعده على عرش أور أخيه شوسين (٢٠٣٦ – ٢٠٢٨) ق.م وتتمثل الحياة السياسية في عهده بالعديد من الاضطربات السياسية مع القبائل الآمورية، وتوثيق العلاقات السياسية مع العلاميين، وسار على نهج ابائه في تشيد المعابد وتجديدها في كافة أركان الدولة. وبعد وفاة سوشين ارتقى حكم أور إلى ابنه إبيسن وهو الملك الخامس والأخير في أسرة أور الثالثة حيث حكم من حوالي (٢٠٢٧ – ٢٠٠٣) ق.م، وقد واجه العديد من المتاعب بعد الخمس سنوات الأولى من حكمه المتمثلة بتمرد القبائل الشمالية الشرقية، وكثرت الضغوطات العسكرية على المملكة من جهاتها الشمالية والشرقية المتمثلة

بالآموريين واصرارهم على دخول بابل، وترقب العلاميين فرصة مناسبة للانفصال من جديد عن سلطة أور، بالإضافة إلى تمرد الحاكم للمدن الداخلية في دولة أور فساعدت هذه العوامل على سقوط دولة أور في يد العلاميين، وعادت بلاد بابل إلى نظام حكم دول المدن بعد أن تفككت وحدتها في نهاية عهد الأسرة الثالثة وسقوط أسرتها.

* إنقراض السومريين :

وأخيراً بدأت العلامات المبكرة لضعف الدولة السومرية مع بداية حكم آخر ملك من ملوكها (أبي سين) وساعد على سقوطها الوضع الاقتصادي الصعب الذي مرت به بلاد سومر حيث ارتفعت نسبة الملوحة في الأراضي الزرعية وقلّ إنتاجها الزراعي، وكان لسعة الإمبراطورية السومرية البعيدة الأثر الكبير في عدم القدرة على إدارتها الاقتصادية والسياسية، فشكل قيام العلاميين من الشرق والآموريين من الغرب نهاية سلالة أور الثالثة ونهاية العصر السومري وبداية العصر البابلي القديم وضم حكم سلالات ايسن ولارسا وأشنونا وسلالة بابل الأولى.

يعتقد المؤرخ (ديلا بورت) أن السومريين قد تلاشوا في كفاحهم ضد العيلاميين وقد أحرقت مدنهم واختفت لغتهم ثم أصبحت مدنهم جزءاً من أكد .
كما قال الباحثان (دياكوف) و(كوفاليف) في كتابهما الحضارات القديمة بما نصه: " العموريين والعيلاميين قضوا على السومريين نهائياً " . والعموريين هم قبائل سامية نزحت من الجزيرة العربية وهم أسسوا الحضارة البابلية في عصرها القديم أي عصر حمورابي، بينما العيلاميين هم أقوام تسكن غرب إيران.

كانت النهاية السياسية للسومرين في حوالي ٢٠٠٦ ق.م بسقوط الإمبراطورية السومرية، ولكن الثقافة السومرية كانت المعين العظيم لكل ثقافات

وادي الرافدين، بل لكل ثقافات المنطقة والعالم سواء في الكتابة أو العلوم أو الأديان أو الفنون أو الآداب، وشكلت أول ثقافة بشرية أصيلة ساهم الإنسان والطبيعة وتراث العصور القديمة في صياغاتها .

* العمارة الدينية والمدنية :

كانت المعابد أماكن مشتركة للآلهة والكهنة معاً وكان الكهنة بمثابة خدام للآلهة يؤدون لهم الطقوس والشعار ويوفرون لهم ولتماثيلهم جميع المتطلبات التي كانو يحتاجون إليها، تم في أور إنجاز العديد من البرامج الطموحة من قبل ملوكها في أعمال البناء تركت آثارها في المدن على شكل معابد وزقورات وقصور. جاء مخطط مدينة أور بيضوي الشكل يصل بعدها إلى حوالي نصف ميل وكانت المدينة محاطة من الجهتين الشمالية والغربية بنهر الفرات، وكانت محاطة بأسوار سماكتها ٢٧ متراً هدمت في عام ٢٠٠٦ ق.م أثناء مهاجمة جيش العلاميين للمدينة، وبنى نبوخذ نصر سور داخلي للمجمع الديني في عام ١٥٠٠ قبل الميلاد .

* الأبنية في أور :

نُشِر مخططاً كاملاً لمدينة أور بعد اكتشافها الأثاريون تحتوي على تفاصيل التحصينات التي استطاع استعادة أجزاء منها. ويتمثل فيها بالطبع أسوار المدينة عندما أعاد بناءها ملوك الدولة البابلية الحديثة في القرن السادس قبل الميلاد . وليس هناك أي سبب يدعونا إلى الافتراض بأن حدودها الخارجية لا تختلف كثيراً عن الحدود التي بنيت في عصر الملك أورنمو قبل ١٥ قرناً من الزمن. تتخذ المدينة التي تحيط بها هذه الأسوار شكلاً شبه بيضوي ويبلغ أقصى طول لها (١٢٠٠) متر. وفي عصر الملك أورنمو احيطت المدينة بسور .

لقد بنى المتراس من القرميد الطيني، وكان السطح الخارجي له منحدراً بشكل مائل جداً. وكان القسم السفلي من البناء يشكل ساتراً على جانب الهضبة التي شكلتها المدينة القديمة. بينما يمتد القسم العلوي منه نحو الداخل فوق الآثار ليشكل مصطبة صلبة البنية وفي الأعلى من كل ذلك هناك جدار مبني بشكل مناسب من القرميد المشوي ويزيد من قوة هذه التحصينات في الواقع مرور مياة نهر الفرات في أسفل المتراس. بينما حفرت قناة واسعة على بعد خمسين ياردة من السور من الجهة الشرقية مما جعل الماء يغطي الطرف الشمالي من المدينة. لذلك فقد كانت أور محاطة بالماء من جهاتها الثلاثة وكان الاقتراب منها على أرض اليابسة ممكن من الجهة الجنوبية فقط . لم يبق من سور مدينة أور أي أثر، ويمكن أن نصادف نماذج من أحجار ضخمة من القرميد المسكوب في قوالب طبع عليها اسم الملك ولقبه، وقد استعملت هذه الأحجار ثانية في بناء أحداث ولكن ليس بين الأحجار القرميدية واحدة في مكانها، ولأن دفاعات أور كانت على قدر كبير من القوة فقد تم تفكيكها بعناية بعد أن سقطت أور بيد العدو .

* الزقورة :

هيمنت الزقورة أو برج المعبد المدرج على السهل المحيط بأور، كان ارتفاعها الأصلي سبعين قدماً، وتعد زقورة أور التي قام ببناها الملك اورنمو ٢١٠٠ ق.م من أشهر الزقورات في بلاد الرافدين، جاءت الزقورة مخصصة لعبادة الإله القمر(نانا) فقد كانت من أكثر الزقورات شهرة والأكثر مقاومة وصموداً أمام الزمن وآثارها ما زالت شامخة إلى يومنا هذا. ولا يوجد ما يقارن بزقورة أور في بلاد الرافدين كلها، بسبب اللون الأحمر القاني والتكوين البناء الذي استخدم فيه الآجر وبسبب الترتيب المستنبط ببراعة المبنى كله بسلالمه الثلاثة المؤلفة كل منها من

مئة درجة. كانت الزقورة أبان التنقيب فيها أثر رائع بشكلها المهيب الضخم والإنحناء اللطيف لواجهتها، ختمت كل آجرة من الآجر المشوي الذي شيد فيه هذا الصرح الفخم باسم اورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة، الذي عمر أور وجعلها عاصمة بلاد سومر، وبذلك حوّل المدينة القديمة المبنية من الآجر الطيني إلى مدينة مبنية بالآجر المشوي، وكان البرج الذي يتكون من ثلاثة طبقات متوجاً بالقمة بمعبد صغير كان يشهد إقامة مراسيم غامضة.

كان السور المحصن الثاني يحيط بالمجمع الديني في الجزء الشمالي الغربي من المدينة. وفي إعادة التصور لهذه المنطقة يلاحظ توسيع المجمع في عصر نبوخذ نصر حيث اخترق السور الجديد المبنى الضخم لقبور السلالة الثالثة التي كانت خارج المجمع الديني مباشرة قرب القبور الملكية القديمة. أما الأبنية الموجود في داخل السور فقد كان أبرزها الزقورة التي بناها الملك اورنمو وأكمل بناءها ابنه شولجي ، وهي عبارة عن برج مدرج يصعد إليها بدرج ثلاثي ، إن هذا الأثر الهام والذي حافظ على بنيته أكثر من أي أثر آخر من نفس النوع من بلاد الرافدين، حيث أنه بناء جزئي متين مبني على ثلاث مراحل، فنواته مصنوعة من اللبن الطيني المرتب حول وفوق أثار برج قديم. وهو مكسو بواجهة من القرميد المشوي المثبتة بالقار وتبلغ سماكتها ٢.٤ متراً، أما المرحلة الأدنى فهي الباقية بحالة جيدة فتبلغ ابعادها عند القاعدة ٦١ × ٤٥.٧ متر، ويبلغ ارتفاعها حوالي ١٥ متر. وقد وصف زقورة اورنمو في أور من عصر السلالة الثالثة بشكل افتراضي: الأبعاد (٦١ × ٤٥.٧ متر). ويتألف المدخل الذي يؤدي إلى قمة البناء درج ثلاثي المراحل مع حصن غير مرتفع له أبراج في زواياه. ونقطة إلتقاء الزوايا

عند مستوى المصطبة الأولى وبقايا الأعمدة القرميدية الأربعة بافتراض وجود سقف على شكل القبة. وقد تعرضت المرحلتين العلويتين من البناء للكثير من التعرية.

* المصطبة The Terrace

تقع جميع الأبنية الرئيسية التي أسسها ملوك أسرة أور الثالثة داخل المجمع الديني في ذلك العصر، بنى الملك اورنمو زقورته على مصطبة عالية محاطة بسور مزدوج يحتوي على غرف داخلية، ثم أضاف إلى البناء باحة أخرى ذات بوابة عظيمة على نفس مستوى المجمع الديني الذي كرسه لكبير الآلهة (أور نانارNannar)، يتكون المدخل الرئيسي لمصطبة الزقورة في عصر أورنمو من بوابة غير واضحة المعالم موجودة في الزاوية الشرقية، وكان الرواق الخارجي يطل على الجنوب وفيه تمثال للإلهة نانار، استعمل الملوك هذا الرواق كمجلس للقضاء، ثم قام الحكام بفصله عن المصطبة وتحويله إلى محكمة ألحقت بها من حولها مجموعة من الغرف. أما الأبنية في عصر السلالة الثالثة فقد بقي منها بناءان محافظة على شكلها الأصلي، كان أحدهما البناء الموجود في الزاوية الجنوبية الشرقية من المنطقة القديمة الذي يعتبر مقر إقامة الملك اورنمو وخلفائه، وكان البناء الثاني (الضريح) قد اشتمل على قبر كل من الملك اورنمو وقبور خلفائه المباشرين، وكانت تحت مستوى الأرض مباشرة مع غرف الدفن بدهاليزها وأدراجها التي تؤدي إلى هذه القبور، وفوق هذه البقايا نشاهد مكان للصلاة خاصاً بشعائر الدفن وكان على قدر كبير من دقة التصميم والبناء.

* الضريح The Mausoleum :

كانت هذه المقبرة كغيرها من قبور السلالات القديمة ثرية بكنوز ضخمة لا تحصى. لم يبقى من أبنية هذه المقبرة إلا الهيكل والدهليز بحالة سليمة جزئياً، ولم توجد سوى أجزاء من صفائح ذهبية تؤكد وجود كنوز مسروقة. حيث لم يتم تحديد موقع لأي قبر من قبور الملوك اللاحقين في بلاد الرافدين .أما الغرف ذات الدهليز فكانت تتميز بوجود مجموعة من الدرجات تؤدي إليها وكانت مسقوفة بقناطر ذات أصناف مصنوعة من القرميد المشوي. ولقد أجريت دراسة عميقة وشاملة لموقع مقبرة اور وآثارها الباقية، وتم تسجيل التفاصيل عن وجود بناء فوقي مؤقت يرتبط فقط بطقوس الدفن واستبدل فيما بعد بمعبد دائم لنفس الغرض.

* المعابد :

تميز عصر النهضة السومرية بظهور تغير ملحوظ في تصميم ومخططات المعابد العادية، فالداخل المنحني للمعبد والذي لاحظناه في العصور السابقة تخلى البناؤون عنه لمصلحة التناسق في البناء. إن التصميم الجديد عاش مع قليل مع التعديلات طوال الفترة الباقية من تاريخ المملكة البابلية .يتجلى هذا التصميم بأبسط صورة في تل اسمر (اشنونا ESHNUNA) حيث كرس أحد الأمراء معبداً لـ (شو- سن SHU- SIN) ملك اور. كانت المداخل ذات أبراج والردهات المسقوفة والمزارات الداخلية وأماكن العبادة مرتبة في اتجاهين متضادين من الساحة المركزية لتُكوّن مشهد فريد ينتهي بالتمثال الديني. ولقد كان ممكناً مضاعفة عدد أماكن العبادة إلا أن الملامح المعمارية التي تطورت الأبنية اللاحقة من حولها ظلت ثابتة منذ ذلك العصر. أما التمثال الديني والذي تركزت حوله

طقوس العبادة في العصر السومري فيمكن البحث عن مفاتيحه في المنحوتات النافرة التي تصور الآلهة.

* الدين :

كان الدين السومري هو أول دين ذي أنظمة مثولوجية ولاهوتية وطقسية واضحة ومحددة ومتناسقة، وشكلت العقائد الدينية السومرية الوجه النظري للدين السومري، إذ تُشكل الطقوس والشعائر السومرية الوجه العلمي للعقيدة الدينية، وقد تطورت العقائد الدينية السومرية تطوراً بالغاً منذ الألف الرابع قبل الميلاد وحتى وصلت إلى شكلها المتماسك الدقيق مع نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، واكسبها هذا التطور مرونة كبيرة لاستيعاب التغيرات السياسية والاجتماعية والحضارية التي حصلت خلال ما يقارب ألفي سنة المليئة بالأحداث.

* الفنون :

تعتبر الفنون جزءاً من الواقع الاجتماعي الذي يعكسه المجتمع من خلال الميثولوجيا والأفكار الدينية التي تنشأ في المجتمع لتفسير ظواهر طبيعية وظروف بيئية ودينة واجتماعية. تنوعت المواضيع الفنية التي عثر عليها في اور في المقابر الملكية وفي المعابد وفي القصور.

* تماثيل الأسس :

يعود أول هذه التماثيل وأقدمها إلى عصر فجر السلالات الثاني (٢٦٠٠ – ٢٥٠٠) ق.م وتعد بلاد سومر موطنها الأصلي الأول، وقد بيّنت التنقيبات التي جرت في العراق أن تماثيل الأسس السومرية الأولى قد وضعت في أسس المعابد وذلك تحت الزوايا الأربعة للمعبد وتحت المداخل ودكة المحراب. والجدير

بالذكر أن ايداع التماثيل لم يقتصر على المعابد فقط بل نرى ذلك يتعدى إلى القصور الملكية في عهد ملك اورشولجي (٢٠٣٠ – ١٩٨٠) ق.م. صنعت هذه التماثيل من البرونز في الدرجة الأولى، وصنعت بعض التماثيل من الخشب أو الحجر أو الفخار. إن تماثيل الأسس قد بلغت القمة من حيث التنوع ودقة النحت في العصر السومري الحديث، كما ازداد استعمالها في المنطقة واتسعت اتساعاً كبيراً. ولقد ظهر نوع جديد من تماثيل الأسس في عصر أور السلالة الثالثة (٢١٠٠– ١٩٥٠) ق.م هو تمثال الملك الذي يحمل فوق رأسه سلة أو طاسة مواد البناء ويقف فوق قاعدة تنتهي بشكل مسمار قصير وقد نحت جسم التمثال نحتاً مدوراً كاملاً. وكان ظهور هذا النوع من تماثيل الأسس لأول مرة في مدينة لكش. ومن العصر السومري الحديث جاءتنا كمية من تماثيل الأسس التي تمثل الإله الراكع الذي يمسك بالمسمار أو الوتد المكتوب بالكتابة المسمارية. وفي عهد اورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة حوالي (٢٠٥٠) ق.م ظهر نوع آخر للملك الذي يحمل سلة مواد البناء وفيه يكون تمثال الملك منحوتاً بصورة كاملة مع القدمين ويرتدي لباساً طويلاً لغاية الكعب وهو يقف على قاعدة مستديرة. وفي عهد الملك اورنمو ظهرت تماثيل الأسس المصنوعة من الخشب إضافة إلى التماثيل المصنوعة من البرونز. واستمر في العصر السومري الحديث النوع المعروف بـ (الحيوان – المسمار) الذي استعمل في عصر فجر السلالات الثالث ولكن بشكل ثور جالس فوق مسمار. كما استمر استعمال النوع المعروف بـ (الإنسان – المسمار) الذي ظهر لأول مرة في عصر فجر السلالات الثاني (٢٦٠٠) ق.م، وفيما يخص لوح الأساس فإنه لم يطرأ عليه تغيير إذ ظل شكله المعروف باسم (المستوى المحدب) والذي ظهر في عصر فجر السلالات الثالث (٢٥٠٠– ٢٣٥٠) ق.م مستعملاً في العصر السومري الحديث، كما ظل النص

الكتابي الذي يحمله مقيداً بديباجة خاصة. وكان صندوق تماثيل الأسس يُشيد بالآجر والأسفلت ويطلى بالأسفلت وأرضيته من الحجر أو طبقة من القير ويغطى بالحصير والآجر. وفي العصر السومري الحديث استعملت تماثيل الأسس لأول مرة عند بناء القصر الملكي إضافة إلى المعبد.

بعض النماذج لتماثيل الأسس :

١- تمثال أساس للملك السومري اورنمو يعود إلى حوالي ٢٠٥٠ ق.م، يحمل التمثال فوق رأسه سلة مواد البناء ويرتدي مئزراً طويلاً ذا نطاق، يقف على قاعدة مدورة. يحمل التمثال كتابة مسمارية تذكر اسم الملك واسم آلهة المعبد. صنع من مادة البرونز عثر عليه في مدينة نفر.

٢- تمثال أساس يمثل إلهاً راكعاً وهو يمسك بالوتد من قسمه العلوي ويرتدي الإله مئزراً قصيراً ويضع فوق رأسه التاج المقرن وهو رمز الإلهة في العراق القديم، من العصر السومري الحديث ٢١٠٠ ق.م صنع من البرونز يبلغ طوله ٢٢,٥سم.

٣- الملك اورنمو يصب الماء البارد أمام الإله ننار.

من المشاهد الفنية والطقوس السائدة هي تقديم الماء البارد إلى الآلهة الذي استمر كذلك في سلالة أور الثالثة أفضل مثال مشهد مصور على أعلى المسلة التي أقامها الملك اورنمو، يُبين المشهد أن الملك اورنمو كان يقدم الماء عند زيارته لمعبد الإله ننار الإله الرئيس لمدينة أور وللإلهة ننكال زوجة الإله ننار، أما بالنسبة إلى تقديم الماء المثلج الذي كان يصبه اورنمو فلا دلالة على أنه مثلج سوى الكتابات، واستخدام الماء المثلج بسب ندرته في القسم الجنوبي من العراق الذي لا يستطيع توفيره سوى الملوك؛ الأمر الذي يجعل منه أهمية تقديمه قرباناً للآلهة. يتبين أيضاً من المشهد أن ثوب الإله يختلف عن ثوب الملك.

* التجارة :

دلت التنقيبات الأثرية في مواقع المدن العراقية القديمة على وجود عدد من المواد المصنوعة التي لا توجد أصلاً في أرض العراق مثل المعادن والحجارة والأصداف البحرية مما يؤكد وجود صلات تجارية بين المستقرات والمدن العراقية وبين المناطق التي تتوفر فيها هذه المواد الأولية. ويعود اهتمام أهل العراق بالتجارة منذ العصور الحجرية الحديثة وهذا ما تؤكده المكتشفات في هذه المواقع مما يؤكد على أهمية التجارة لدى سكان العراق القديم واكسابه الخبرات التجارية عبر الزمن، وفي حدود الألف الثالثة قبل الميلاد احتلت التجارة أهمية كبيرة في حياة أهل العراق وفي نشاطتهم التجارية فأصبح الاهتمام بالتجارة ليس مقتصراً على الأفراد بل شملت أهميته الدولة ومحافظتها على سلامة طرق التجارة وتوفر المواد الأولية من مناشئ مختلفة.

يمكن تلخيص بعض الأسباب التي أدت إلى ازدهار العملية التجارية في العراق القديم إلى ما يلي:

١- عدم توفر المعادن والحجارة والأخشاب التي تُعد مواداً ضرورية لمجتمعات الصيد والزراعة. فهذه المواد تدخل في صناعة العديد من مواد الإنتاج، وتُعد مواد ضرورية وجيدة للبناء، فقد سعت التجارة الخارجية إلى توفير هذه المواد في الأسواق المحلية، حيث استورد العراقيون النحاس والذهب والفضة والأحجار الصلبة الجيدة وأنواع مختلفة من الأخشاب.

٢- صدّر التجار العراقين بالإضافة إلى المنتجات الزراعية، العديد من المنتجات الحيوانية التي قاموا بتصنيعها ومن أبرزها صناعات النسيج والملابس والجلود والزيوت النباتية، وجعلها سلعاً تجارية تتكافأ في قيمتها مع أثمان المواد المستوردة.

٣- كانت عمليات الاستيراد والتصدير تتم بكميات كبيرة جداً، وذلك لتحقيق الفائدة المرجوة من التجارة ولتغطية نفقات الرحلة التجارية.

٤- توفر وسائل النقل المائية التي تتميز باستيعابها الكبير، وقلة تكاليف انتقالها.

* أهم المدن الأثرية

* إريدو (تل أبو شهرين) :

أريدو هي مدينة تاريخية في العراق تبعد ٧ أميال عن جنوب غرب مدينة أور. هناك اعتقاد سائد من قبل علماء الآثار أن اريدو كانت من أوائل مدن السومريين وربما يرجع تاريخ بناءها إلى ٥٠٠٠ سنة ق.م. وقد قام خبراء علم الآثار باجراء حفريات في الأربعينيات للتنقيب عن المدينة القديمة.

كانت اريدو عند السومريين بمثابة مركز للإله اينكي والذي عُرف فيما بعد عند البابليين باسم أيا الذي كان إله الماء، وحسب الأساطير السومرية كانت مملكة الإله اينكي المياة التي تحيط بيابسة الكون. استناداً على الأساطير البابلية فإن الإله مردوخ هو الذي بنى مدينة اريدو.

يعتقد بعض المتخصصين في علم الآثار أن اريدو كانت موقع برج بابل الشهير وليست مدينة بابل وذلك بسبب أن الزقورات في اريدو أكبر حجماً بكثير من الزقورات في المناطق الأخرى في العراق. وتطابق هذه الزقورات الضخمة وصف برج بابل الذي لم يتم تكملته حسب العهد القديم من الكتاب المقدس .

ملحوظة: تسمية اريدو باللغة السومرية تعني المكان الضخم .

* لجش :

لجش أو لكش مدينة أثرية في العراق كانت تعتبر أحد أقدم مدن السومريين. تعرف أيضاً باسم (تل الهبة). تقع لجش غرب منطقة الكرمة القريبة من البصرة وشرق مدينة أورك. تقع على بعد ٢٢ كيلومتر شرق مدينة الشطرة في محافظه ذي قار.

اكتشفت آثار لجش من قبل مجموعة من الباحثين الفرنسيين في علم الآثار المختصين في عام ١٨٧٧ بقيادة (أرنست ديسارزيك Ernest de Sarzec) والذي كان في نفس الوقت القنصل الفرنسي في ولاية البصرة وقد حصل ديسارزيك على الموافقة باجراء التنقيب من الوالي انذاك ناصر باشا وضل ديسارزيك مستمراً بالتنقيب إلى أن مات في عام ١٩٠١ وأكمل المهمة من بعده الفرنسي (كاستون كروس).

عثر في معبد المدينة الأثرية على ٣٠,٠٠٠ لوحاً طينياً وكانت الألواح المكتوبة بالخط المسماري عبارة عن مستمسكات وسجلات للتعاملات التجارية ووسائل لتوضيح زراعة الأرض وتربية المواشي مما يدل على أهمية المعابد لدى السومريين كمركز ديني واقتصادي واجتماعي. ولسوء الحظ تم سرقة الكثير من هذه المخطوطات قبل أن يتم نقلها إلى المتاحف.

* نيبور :

نفر أو نيبور في المصادر الغربية وكذا هو الاسم الأصلي لها عند السومريين. هي العاصمة الدينية للسومرين والبابليين، وتقع على مسافة ٧ كم شمال شرق مدينة عفك أحد أقضية محافظة القادسية (مركزها الديوانية) التي تقع

على مسافة ١٧٥ كم جنوب بغداد. وتقع على الضفة اليمنى من مجرى الفرات الأقدم. والضفة الشرقية من شط النيل المندرس. وتأتي قدسيتها من كونها العاصمة الدينية ومقر الإله انليل أو (أين ليل) وزوجته نينليل (نين ليل). وقد ورد ذكره في ملحمة جلجامش على أنه هو الذي أحدث الطوفان. وهي مقر الإله (آنو) الذي ورد ذكره في شريعة حمورابي.

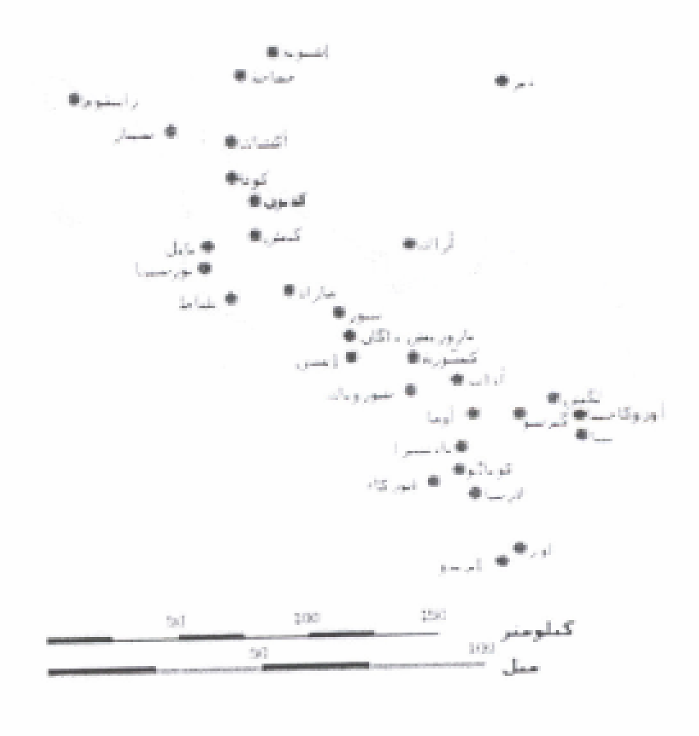
وقد خضعت نفر لحكم كل من السومريين والاكديين والبابليين والآشوريين لفترات متناوبة، واحتلها الفرس لفترة من الزمن. والأرجح أن الحياة في مدينة نفر قد استمرت منتعشة حتى العصر العباسي، وذلك نتيجة لما عرفناه من اقتران ألقاب بعض العلماء المسلمين في تلك الفترة باسم المدينة مثل (عبد الجبار النفري).

بدأت أول عمليات التنقيب في مدينة نفر المقدسة في عام ١٨٨٩م حينما قدِمت بعثة آثارية من جامعة بنسلفينا الأميركية. وقد نجم عن هذه التنقيبات التعرف على المدينة وتاريخها، وما قدمته للحضارة من حيث وجود ما يدل على أول مكتبة في التاريخ وأول صيدلية وأول من لعب كرة القدم، حيث عثر على لوحة تظهر رجلاً وأمام قدمه ما يشبه كرة القدم يداعبها. كما تم من خلال التنقيبات التعرف على أقسامها وتخطيطها وبناياتها وما فيها من معابد. وكذلك نصوصاً اقتصادية ورياضية وفلكية وأدبية ودينية.

أقدم تقويم زراعي في العالم :

كذلك وجد في مدينة نفر أقدم تقويم زراعي حيث يوجد فيه أقدم المعلومات عن طرق الزراعة والارواء التي كان يمارسها سكان العراق القدامى وصلت إلينا موضحة في تقويم سومري عثر عليه في خرائب مدينة نيبور ومن الغريب والمدهش أن الأوصاف التي ينطوي عليها هذا التقويم تدل على أن طرق

الري والزراعة التي كانت تمارس في تلك الأزمان لاتختلف في شيء عن طرق الري والزراعة التي يطبقها الفلاح العراقي في الوقت الحاضر. ويشتمل هذا التقويم على نصائح وارشادات يوجهها أحد المزارعين إلى ولده حول طريقة إدارة شئون مزرعته وطريقة إعداد الأرض وانجاز عملية الحرث وتنظيم الري في حقله كي يحصل على أجود منتوج واوفر محصول . وقد دونت هذه الوثيقة التي يرقى تاريخها إلى ما قبل أكثر من ألف عام على رقيم من الطحين يتكون من ١٠٨ سطر بالخط المسماري باللغة السومرية . وهي تعد التقويم المعروف في تاريخ الحضارة عن الأساليب الفنية للري والزراعة المتبعة في تلك الأزمنة القديمة . وتشتهر نفر أو نيبور (Nippur) بزقورتها الشهيرة التي تعلو تل ترابي يغطي المدينة القديمة ويمكن مشاهدتها من مسافة حوالي ٢٠ كم بالعين المجردة. وينسج الناس منذ سنين ولازالوا قصصاً وروايات عديدة في هذه المنطقة تحمل بعداً ميثلوجياً وغيبياً عن هذه المدينة مثل قصة " قلبها وتحويلها إلى تل ترابي من قبل الله ".



المدن السومرية القديمة

* الدولة السومرية الحديثة :

دامت الدولة السومرية الحديثة من عام ٢١١٢ ق.م وحتى العام ٢٠٠٤ ق.م، وذلك تحت حكم أسرة أور الثالثة، الذين أعادوا الكتابة باللغة السومرية كلغة رسمية للدولة ، ومن أعمالهم بناء العديد من الزقورات ، إلا أن نهاية هذه الفترة كانت قريبة على يد العيلاميين ، ثم خضعت سومر بعد ذلك للدولة البابلية القديمة (٢٠٠٠- ١٥٩٥) ق.م، وآشور، والدولة البابلية الحديثة (الكلدانية) .

* مجتمع سومر :

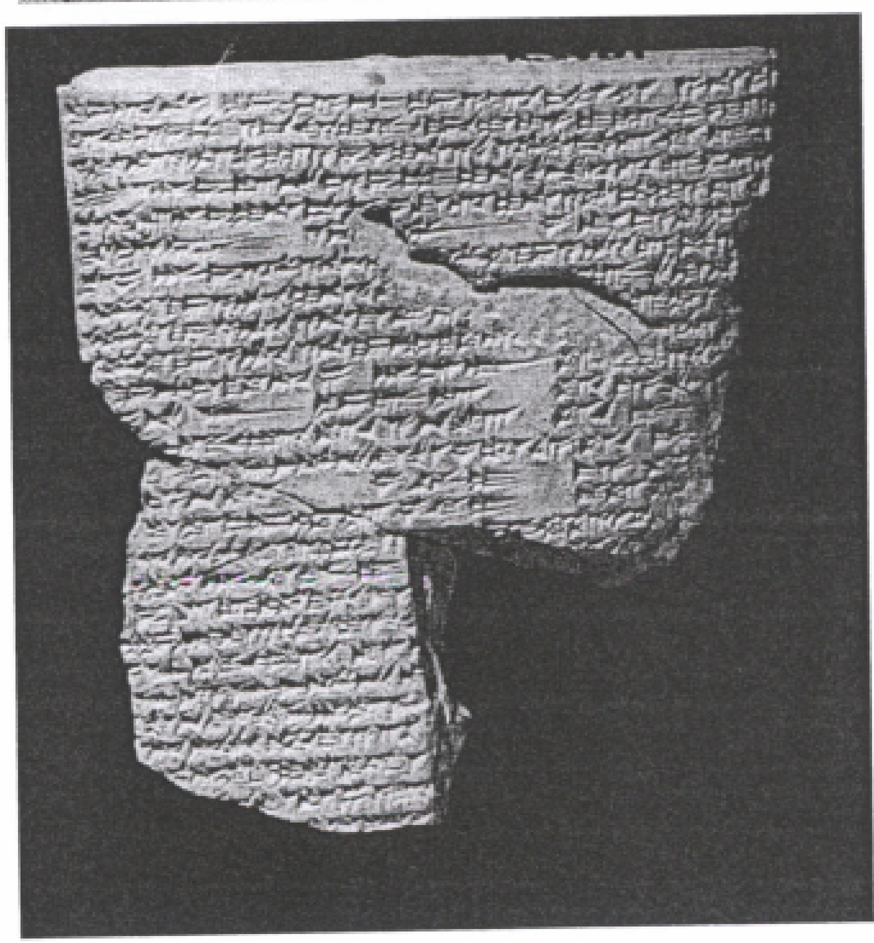
تعتبر الميزة الأساسية للحضارة السومرية هي تطويرها لحضارة متقدمة في بيئة طبيعية كانت بحاجة إلى جهد إنساني كبير من أجل استثمارها متابعين بذلك الثورة الزراعية التي ترسخت معالمها في الهلال الخصيب إبان العصر الحجري الحديث إلى الثورة المدينية التي أوصلت الحضارة البشرية إلى ماهي عليه اليوم .

- مظاهر الحضارة في مجتمع سومر

* الكتابة السومرية :

وإن تكن الكتابة قد طورت في العديد من الثقافات البشرية على انفراد كما في مصر والصين والمايا ، إلا أن الكتابة المسمارية تشكل حسب الأبحاث الحالية الأقدم بينها ، وقد ساهم في نشرها الأكاديون والحيثيون بعد أن كتبوا لغاتهم بها ، كما شكلت الأساس الذي انطلقت منه أبجدية أوغاريت .





لوح مسماري : الكتابة المسمارية هي أول نظام كتابة في تاريخ البشرية اخترعه السومريون في الألف الرابع قبل الميلاد وانتشر خطهم المسماري ليحتضن كل حضارات الشرق الأوسط عدا مصر .. استمر استخدام الخط المسماري ٣٠٠٠ عام

* الاختراعات :

يعتبر اختراع العجلة الذي تم أيضاً لأول مرة في سومر، من الاختراعات التقنية ذات الأهمية البالغة، والتي ارتبطت بتدجين الحيوانات واستخدامها ليس كموارد للتغذية وبعض المنتجات الأخرى كالجلود والعظام، إنما أيضاً كموارد لفاعليات إنتاجية، كاستخدامها في الحرث والجر في الأعمال الزراعية، والنقل لاحقاً عند اختراع العربات حين ازداد عدد البشر في مراكز المدن الزراعية .

• زراعة وريّ :

في مجال الزراعة لم يدجن السومريون أنواع نباتات أو أنواع حيوانات جديدة غير التي كانت معروفة مسبقاً في القرى الزراعية الأولى للهلال الخصيب، إلا أنهم ساهموا في تطوير أساليب الري، والصناعات الغذائية في مجال مشتقات الألبان، لكن اعتماد أساليب الري الصناعي عبر شق القنوات وغمر الحقول بالمياة يعتبر من أهم عوامل تملح التربة الذي ساهم لاحقاً في ضعف الإنتاج الزراعي والتدهور (الاقتصادي – الاجتماعي) للعديد من المدن السومرية.

وحسب الدراسات الحالية فقد كان السجل الغذائي في سومر يتكون بشكل أساسي من منتجات الحبوب والتمور والعسل والسمسم (الطحينية)، أما عن البروتين فقد حصلوا عليه من البيض والأجبان والأوز والبط والدجاج والجراد، وقليلاً من الحيوانات الكبيرة كالبقر والحمير والخنازير والغنم والماعز، كما اصطادوا الأرانب والخنزير البري والماعز والغنم البري، والمها والغزلان، أما صيد الأسود فكانت رياضة الملوك، كذلك تم صيد الأسماك بشكل موسع.

* المهن والحرف :

بيّنت الحفريات (التنقيب) والنصوص الكتابية المتبقية من المدن السومرية وجود العديد من المهن والحِرف التي مارسها النساء والرجال، ويمكن تعداد أهمها كالتالي:

- صناعة المعجنات (فران).
- مهنة تحضير اللحوم (لحام/قصاب).
- مهنة تحضير الطعام (طباخ).
- صناعة القصب كالسلال والبسط.
- مهنة قطع وإعداد الحجر (حجار).
- صناعة التماثيل (نحات).
- صناعة الخشب (نجار).
- صناعة أدوات الوزن.
- صناعة القوارب.
- صناعة الملابس (خياط).
- مهنة التزيين (حلاق).
- صناعة الفخار (فاخوري).
- سفير.
- ضابط.
- كاهن.
- ناظر أشغال.
- رئيس بلدية.
- مدير معبد.
- مدير مكتبة.
- مهن إدارية وقيادية.
- مهنة التعليم (مدرس).
- مهنة الكتابة (كاتب).
- مهنة الطب (طبيب).
- مهنة البناء (معمار).

*المدارس :

توصف المدارس في التقليد السومري على أنها بيوت الألواح، وقد كشفت البعثة الفرنسية في (ماري بيتي) ألواح، حيث كان الطلاب يجلسون على مقاعد من الأجر، كما أن قوائم الكلمات تشير إلى وجود نظام مدرسي في الألف الرابع قبل الميلاد، وشكلت النصوص المدرسية التي وجدت في شورباك والتي تعود إلى

منتصف الألف الثالث قبل الميلاد دليل مباشر على ذلك، وقد وجد على نهايات ألواح التمارين أسماء الطلبة وأسماء آبائهم الذين كانوا يعملون في المهن الإدارية والقيادية بشكل أساسي، هذا وكان على الطلبة في البداية تعلم ٢٠٠٠ مقطع – رمز مسماري، ومن بعض النصوص يمكن تتبع آليات التعليم من قبل المدرسين الذين يسمون آباءاً، حيث نجد بعض الفكاهة كطريق لايصال المعلومات، مثل قصة : (الذئب الذكي والذئاب التسعة الأغبياء)، لتعليم عملية الجمع .

ومن المرجح أن المعارف التي توجب على الطلبة إتقانها هي رسم (تخطيط) المقاطع الكتابية للغة السومرية مما يعني القدرة على الكتابة والقراءة، فقد توجب كتابة القصص التعليمية والحِكم والأناشيد والملاحم .

* رياضيات وفلك :

قدمت الحضارة السومرية أقدم ما هو معروف حتى الآن على الاشتغال بالرياضيات، فهم من طور استخدم النظام الستيني في العدّ، وأول من أوجد القبة ، وأول من بنا الصروح الضخمة في أور وأوروك ولكش ، كما هو معروف من الزقورات ، الأمر الذي يحتاج إلى حسبات هندسية رياضية ، كما تبين النصوص أنهم عرفوا بعض الكواكب منها كوكب عطارد .

* الدين :

يعتبر الدين في سومر من أقدم الأديان الموثقة (كتابياً) في تاريخ البشرية، وقد كان لنصوصه الدينية تأثيراً واضحاً على مجمل أديان الهلال الخصيب وأحياناً المناطق المحيطة به. لقد قدس السومريون بالإضافة إلى الآلهة الرئيسية والقديمة مجموعة من الآلهة الخاصة في كل مدينة على حدة والتي تنافست فيما بينها

ورويداً احتلت مكان بعضها البعض في حال تشابه الصفات الممنوحة للآلهة المختلفة، لتشكل بانثيون سومري، يمكن تتبعه في الكثير من النصوص، وعلى الأخص ملحمة جلجامش التي كتبت أساساً في الزمن السومري وبقيت الكثير من الشخصيات الإلهية السومرية مضمنة بها على الرغم من التحرير وإعادة الكتابة الذي طالها عبر تعاقب الثقافات .

* الفنون :

تركت لنا الحضارة السومرية سجلاً توثيقياً حافلاً بالحياة الاجتماعية من خلال ما صوره الفنان السومري وابداعه في الملاحم والأشعار والأساطير تتمثل حية من خلال التماثيل والمنحوتات والرسوم المصورة على الجدران فأصبح الفنان السومري النحات أو الرسام بمثابة كاتب تأريخ سير الملوك والكهنة.

إن الفن شأنه شأن الأمور الحضارية الأخرى لها أصول تأريخية ضاربة في القدم ، فإن وادي الرافدين أصبحت ميزة من ميزات الفن السومري ومنحوا الأعمال الفنية من خيالهم الخصب المتألق الشئ الكثير ، قدموا عصارة الابداعية في عصر فجر السلالات السومري وتوصل إلى خلق ابداع فني وبفضل اختراع الكتابة المسمارية السومرية برزت أهمية الآثار في توضيح صورة وحجم حضارة السومريين في تلك الحقبة الزمنية السحيقة حيث سجل نتاج عقله ومشاعره وعلمه وفنه؛ فغدت بلاد سومر موطن الثقافات البشرية الأولى ومنها نمت الحضارة وتطورت وانتشرت ، ومن هنا برزت أهمية الكشوف الأثرية في توضيح صورة الحضارة السومرية فقد شهد الفن العراقي القديم دوراً ذهبياً لخلق الأساليب الفنية السومرية ووضع أول لبنه على ضفاف دجلة والفرات النحت المجسم حيث اشتهر العصر السومري بعشرات التماثيل التي نحتت من أحجار

صلبة سوداء اللون تصور مشاهد تعبدية بين البشر والآلهة وحققوا ابداعاتهم في الفن وارتقوا سلم الحضارة نحو الرقي بعقله ومشاعره وعلمه وفنه، وقد كشفت بعض تماثيل أمراء سومر يعود تأريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد بعد أن كانت مطمورة في أعماق الأرض.

ومن الكشوفات الأثرية معبد اينانا الذي كان مكرساً لعبادة إلهة الخصب والحب في الدولة السومرية ضمن ١٤ طبقة أثرية كان من بينها تمثال رائع لرأس احدى سيدات مدينة الوركاء مع نقوش لأختام مصنوعة من الأحجار الكريمة ، كما اظهرت الحفريات الأثرية في موقع الوركاء على كؤوس وأباريق ورسوم توثق لبطولات وانجازات الملوك في الحرب والإعمار، حيث صور المحاربين ورماحهم وملابسهم والنساء الملكات وأدوات الحرث كل تلك الأشياء جاءت موثقة توثيقاً دقيقاً في الآثار السومرية تميزت بأشكال هندسية ملونة بالأسود .

إن العلماء الآثاريين حينما صنفوا الحياة السومرية كان معينهم الأول هو ما وجدوه في المخلفات السومرية الفخارية والحجرية والبرونزية وروسومات منقوشة فوق الأواني الفخارية والحجرية والأختام الإسطوانية باقية على مر الزمن. بالاضافة إلى ما تركه الفنان السومري سجلاً توثيقياً حافلاً بالحياة الاجتماعية من خلال ما صوره الفنان السومري وابداع خياله في الملاحم السومرية والأشعار والأساطير وأكثر المواضيع شيوعاً هو صراع الحيوانات المفترسة كالأسود مع الحيوانات الأليفة تتمثل حية من خلال التماثيل والمنحوتات والرسوم المصورة على الجدران .

وكان النحاتون السومريون مهرة جداً في حفر الصور البشرية على المسلات والألواح وحتى على المزهريات والأواني ، وكان الختم الأسطواني

واحداً من أكثر اسهامات السومريين أصالة في الفنون ، وهو عبارة عن أسطوانة صغيرة من الحجر اللزورد أو العقيق أو حجر التوباز أو العاج أو الخشب النادر وكذلك المعادن المستعملة وهي الذهب والفضة والقصدير والنحاس والبرونز أو قطع العظام وأنياب الحيوانات يحفر عليها نقش كان يظهر ويتضح معناه عندما تتدحرج الأسطوانة على لوح من الطين بعد أن تحفر عليه بدقة صور تمثل صور الحيوانات أو المخلوقات أو القصص خرافية ، كما استخدم الفنان بطعم بعض أجزاء المنحوتات بأحجار ثمينة ذات ألوان براقة فأكسب أعماله بذلك جمالاً بديعاً .

كما تفوق نحاتوا المعدن من السومريون في تشكيل عدد من رؤوس الثيران من البرونز بحجومها الطبيعية وقرونها القوية وأعينها المشعة بالألوان المتعددة والمعمولة من الصدف مطعم بحجر اللازورد حيث تقدم لنا دليلاً قوياً على تفوق السومريون في نحت المعادن مما تحتفظ به من جمالية رائعة وذلك في تعدد وتنوع المواد التي تدخل في تكوين العمل النحتي ، كما برز فن ألواح التطعيم في تلك الألواح التي تعمل من العاج أو الصدف أو الأحجار الكريمة وتعلق على جدران المعابد يصور أحداث الأعمال البطولية للمحاربين أو صورت صفحات المعركة بينما ملأت الفراغات بشكل نظامي بكتابة مسمارية تصف أهوال المعركة.

لم يحصر السومريون نتاجاتهم الفنية في ميدان العمارة والنحت بل كانت لهم ابداعات خلاقة أخرى وهي صناعة الفخار ، وفخاريات سومر لها أشكالها الجميلة ونقوشها الزخرفية المتنوعة مما يدل على تفوق السومريون في كافة ميادين الفنون. كما صاغوا نماذج لقلائد مؤلفة من فصوص من الأحجار الثمينة

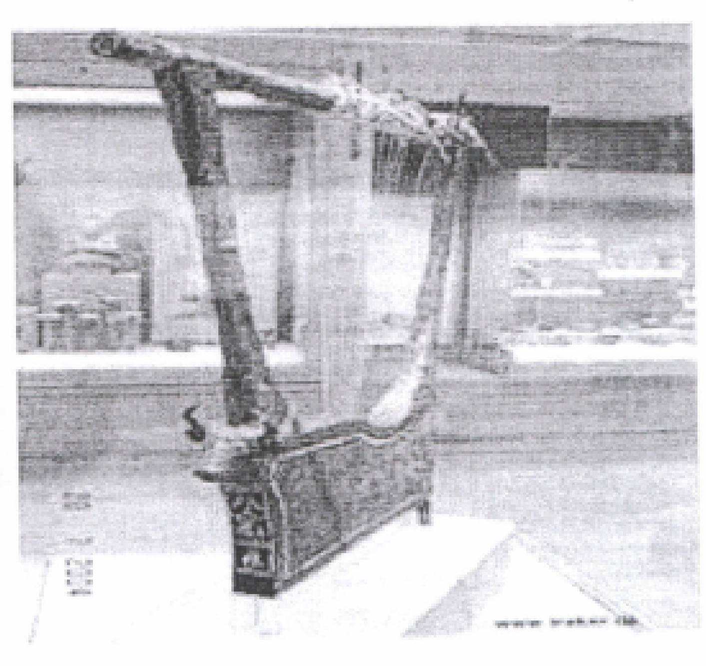
ذات الألوان البراقة كالبلور واللازورد والعقيق ، كما أنجز الفنان السومري كؤوس من الذهب والإناء النذري وهو أقدم إناء ديني يمكن أن يرقى تأريخه حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وهو أجمل نموذج لفن الزخرفة في سومر . كما صنع السومريون ما يعرف بالخوذة الذهبية السومرية وتمكن الفنان من توضيح تفاصيلها بشكل مثير ، كما أن كأس كوديا هو الآخر من أجمل نموذج لفن الزخرفة في سومر. أما تمثال كوديا الشخصية السومرية هو ثاني ملوك السلالة السومرية وهي تمثل أروع الأعمال العراقية في تلك الفترة (كان هذا العمل الرائع بأمر شخصي من الأمير كوديا وقد انجز بشكل جميل على حجر الديورايت).

أما فيما يخص العمل الفني في تمثال (فتاة الوركاء) فهو بالحجم الطبيعي تقريباً نحت من حجر أبيض ، وكان للرأس عينان وحاجبان فهذا الرأس يشعر الناظر بالدهشة والإجلال للطريقة معالجة الفنان لتنبض بالحياة والرقة ولا يمكن أن نضع تمثالاً يضاهي هذا التمثال في ذلك العصر حيث يعتبر رأس الوركاء واحد من هذه النتاجات المتفوقة للنحت وهي تقف متعالية بمميزاتها ، وليس من باب المبالغة وصفها أنها واحدة من النقاط السامية لعبقرية الانسان الخلاقة.

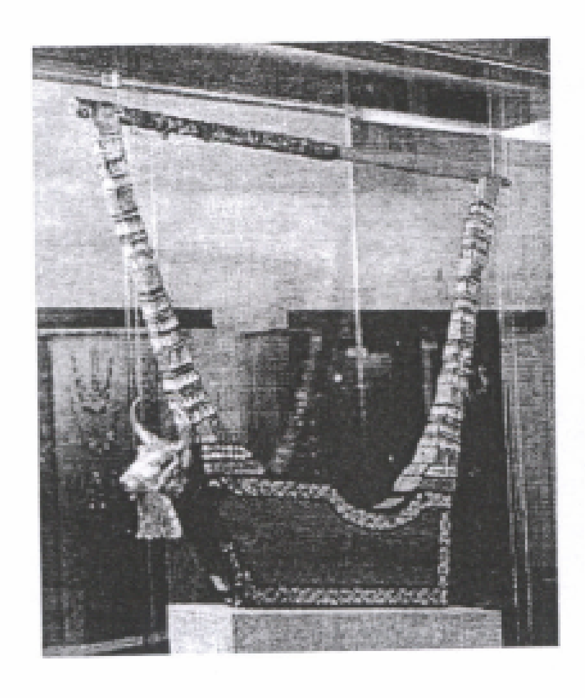


فتاة الوركاء

كما وجدت في مقابر الملوك القيثارة المصنوعة من خشب الأرز ومن القار المرصعة ومطعمة بحجر اللازورد والصدف والذهب والعقيق الأحمر وهي قيثارة موسيقية ذات ١١وتر ويزين مقدمتها رأس عجل ملتح من الذهب ولوح مطعم بالصدف.



القيثارة الذهبية



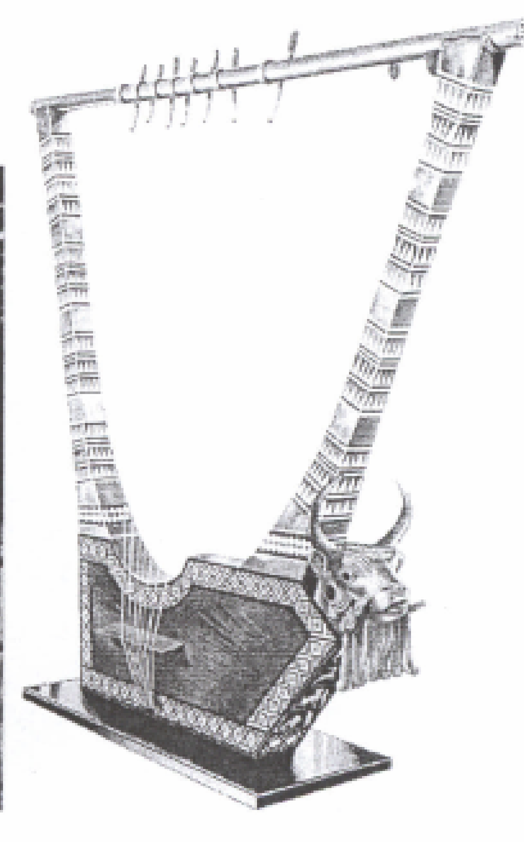
القيثارة الفضية

قيثارة سومر : تعتبر اقدم آلة موسيقية عرفها التاريخ وجدة في مدينة (اور)

شكل القيثارة الذهبية : تتكون من صندوق صوتي مصنوع من خشب الأرز طوله من الأسفل ٦٥ سم وارتفاعه ٣٣ سم وسمكه ٨ سم ولها ساقان خشبيين ممتدان إلى الأعلى مغلفان بشرائط ذهبية ومطعمان بقطع مثلثة الشكل من أحجار مختلفة وملونة، بنهاية قمتيهما يستقبلان حامل الأوتار وهو أنبوب خشبي مدور نصفه الأمامي مكسو بالفضة طوله متر واحد و٣٧ سم. وتحتوي على أحد عشر وتر مثبتة إلى الأعلى بمسامير ذات رؤوس ذهبية، وهي بالكامل مطعمة بالذهب والصدف، يزين مقدمتها رأس عجل ملتح من الذهب.

وهذه صورة تضهر فيها قيثارة أخرى في العهد السومري ، لكن تظل القيثارة الذهبية والقيثارة الفضية هي الأشهر على الاطلاق .





صورة توضح استخدام القيثارة في رسوماتهم والاهتمام بها

عثر على احدى مقابر أور الملكية في جنوب العراق (مدينة سيدنا "ابراهيم" عليه السلام) الواقعة على ضفاف نهر الفرات وعلى مسافة ٢٠٠ كم باتجاه مدينة البصرة ترجع إلى زمن الأميرة السومرية (شعباد) من نحو ٢٤٥٠ ق.م. تلك المقابر كانت لملوك أور وزوجاتهم ، أهم هذه المدافن هو القبر الذي خصص للملك أبارجي وقبر لزوجته الملكة شعباد. بالاضافة إلى الأختام الأسطوانية التي كانت بين الهدايا الجنائزية .

كشف المنقب الإنجليزي (وولي) في المقابر السومرية تمثال الملكة شعباد هذه التحفة الفنية تبرز لنا أن الفنانين السومريون أعظم من جميع الفنانين



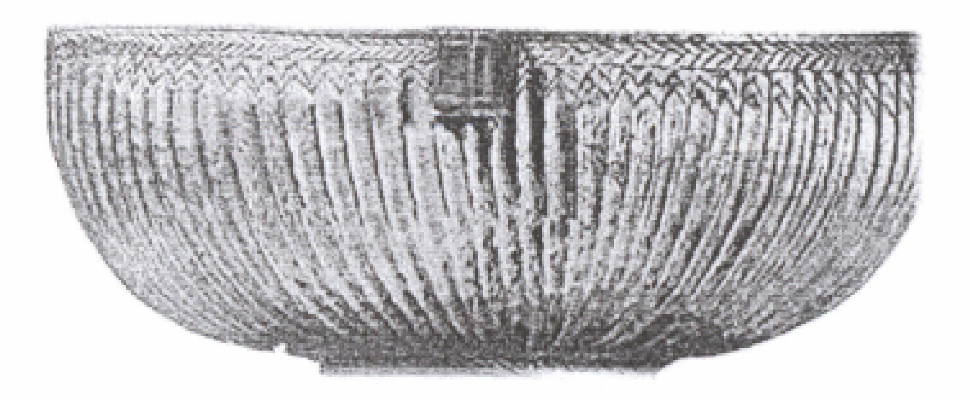
القدامى ، بحيث أختارت الملكة شعباد بنفسها القلائد التي خرزتها من الذهب والفضة ومختلف الأحجار الكريمة وهي تعتبر من النفائس الفريدة التي وجدت في المقبرة ، وكذلك شرائط ذهبية وزهور تعتبر من زينات الرأس البديعة ، تظهر أن هذه المرأة بجمالها وزينتها التي لم تسبقها إمرأة في تقديم أشياء ابداعية تضفي على المرأة أكثر جمالاً وأكثر أبهة ، فلا يستبعد كونها هي التي أشارت على الصناع المهرة أن يصنعوا لها أكليل الرأس النادر والذي لم يشاهد من قبل في العهود السومرية عند النساء سبقت شعباد ، هذا الأكليل من الذهب الخالص الذي في شكل أوراق الصفصاف أو أوراق شجر الزان المزخرفة بالذهب وقد ارتفعت فوقه ثلاث زهور ، إن هذه الزهور يضفي مهابة وإجلال للملكة شعباد.

كما عثر في مقبرة ملكية على تمثال صغير لحيوان خرافي على هيئة جدي مجنح يقف على قاعدة خشبية مطعمة بالصدف، ويرتكز الجدي بالطرافة الأمامية على شجرة مزدهرة مصنوعة من الذهب الخالص ، ويلاحظ أن الحيوان صنع أكثر من مادة ، فالرأس والأرجل صنعا من مادة الذهب ، بينما ريش الأجنحة الذي يغطي الظهر مصنوع من خامتي الصدف من أعلى وحجر اللازورد من أسفل ، وكان الجدي يرمز أحياناً للإله (تاموز) وترمز الشجرة إلى الحياة المقدسة عند السومريين، أما فكرة مزج عناصر من حيوانات مختلفة مستمد من المعتقدات والأساطير السومرية.

يذكر أن معدن النحاس لم يكن موجود في بلاد السومر إلا أن هذا لم يمنعهم من استخدامها كخامة في صناعاتهم التي عثر على قطع فنية مصنوعه من النحاس .



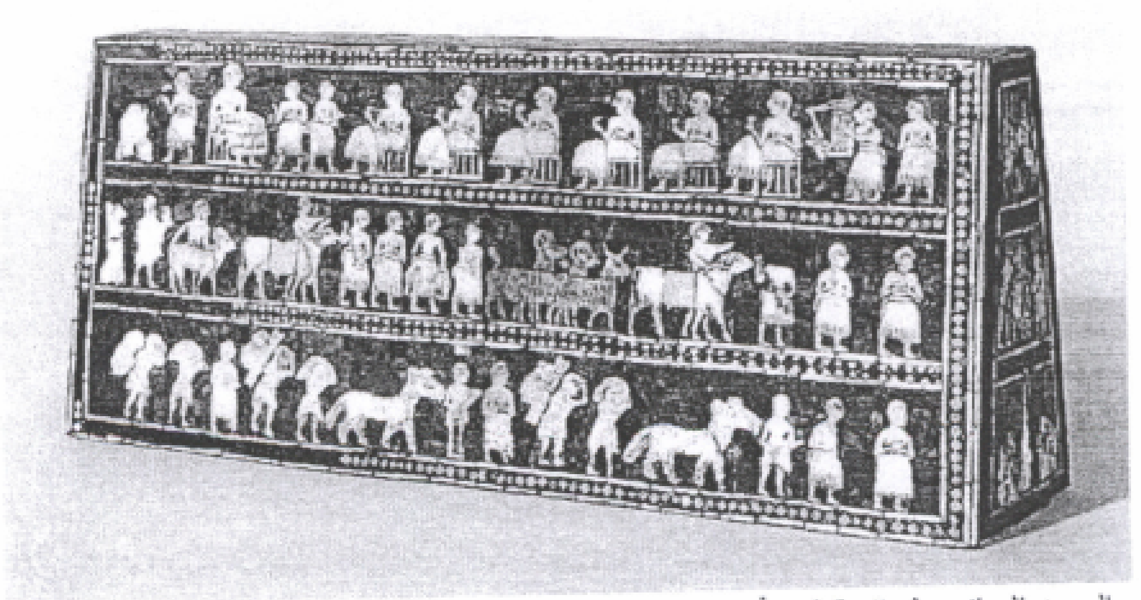
في هذه الصورة من الأعمال التي استغل الفنان قدراته في صياغة المعادن في عمل نماذج بعربات السومرية التي تجرها البغال ، عثر عليه في مدينة " تل أغرب " ويذكر أنه موجود حالياً في " متحف بغداد." ويعتبر أفضل ما وجد من هذه الآثار في المقابر الملكية ، حيث عثر على مخلفات الملوك من آوان وأقداح شراب ذهبية



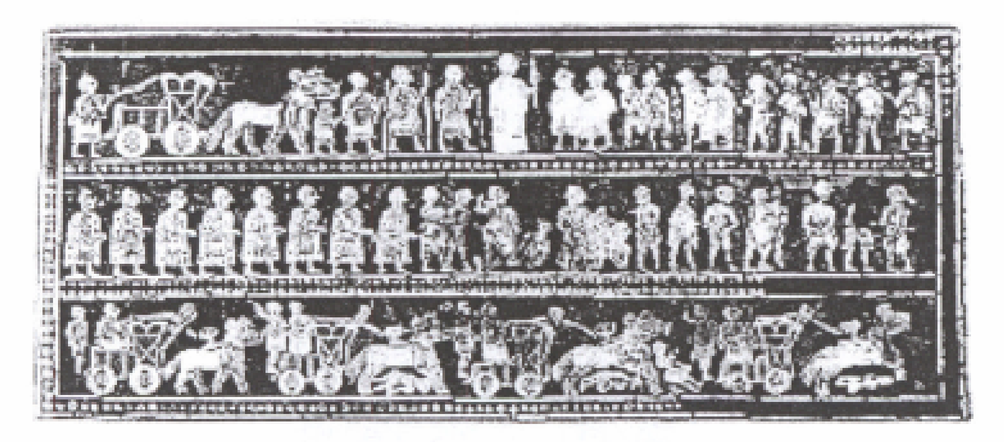
من الأمثلة على مخلفات الملوك من أواني المصنوعة من الذهب ،
وهذا الأناء عثر عليه في مقبرة الملكة " شوباد "أحد المقابر في مدينة" ارو"

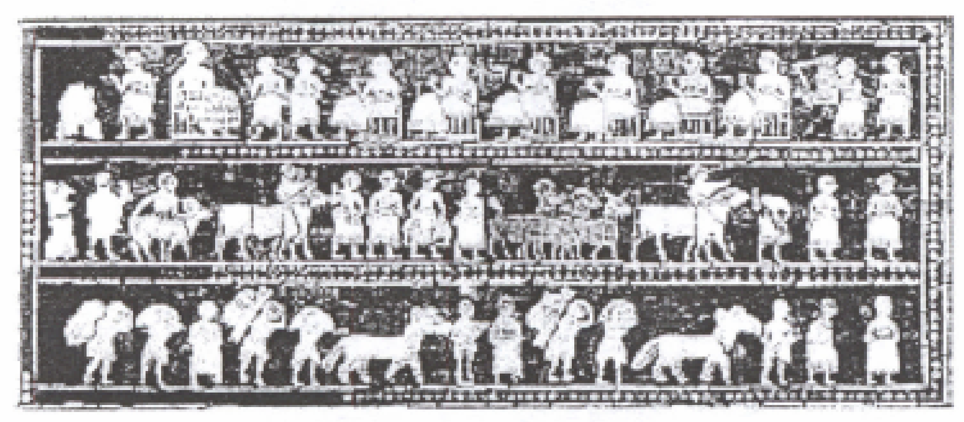


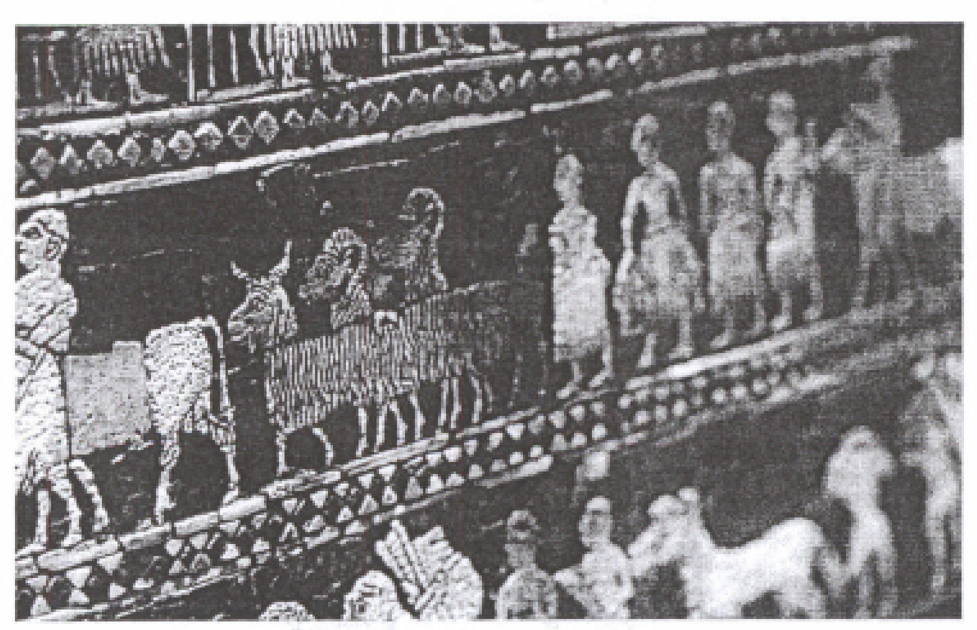
هذه خوذه للملك "مسكلام دج " مصنوعه من الذهب ، حيث تمثل خوذة الملك الدرجة الرفيعة التي وصل إليها الفنان السومري من مهارة في تسجيل التفاصيل الدقيقة لشكل غطاء الرأس السومري . حيث تعتبر هذه الخوذة أقدم محاولة للإنسان استعمل فيها المعدن في صنع غطاء للرأس لحمايتة من الإصابات في الحروب.



الوجه الجانبي لـ " مقياس أور " ، موزانيك من حجر اللازورد و الصدف و الحجر الملون المرصع باللؤلؤ، من المقبرة الملكية ، أور ، عهد فجر السلالات ، حوالـــي 2500 ق.م . في المتحف البريطاني . طولها 47 سم .



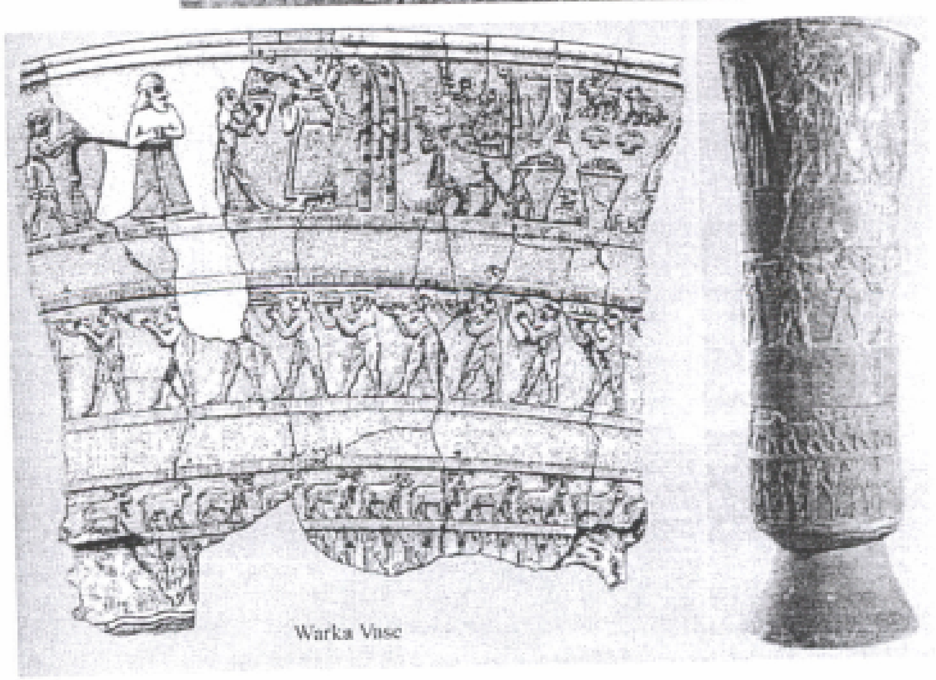




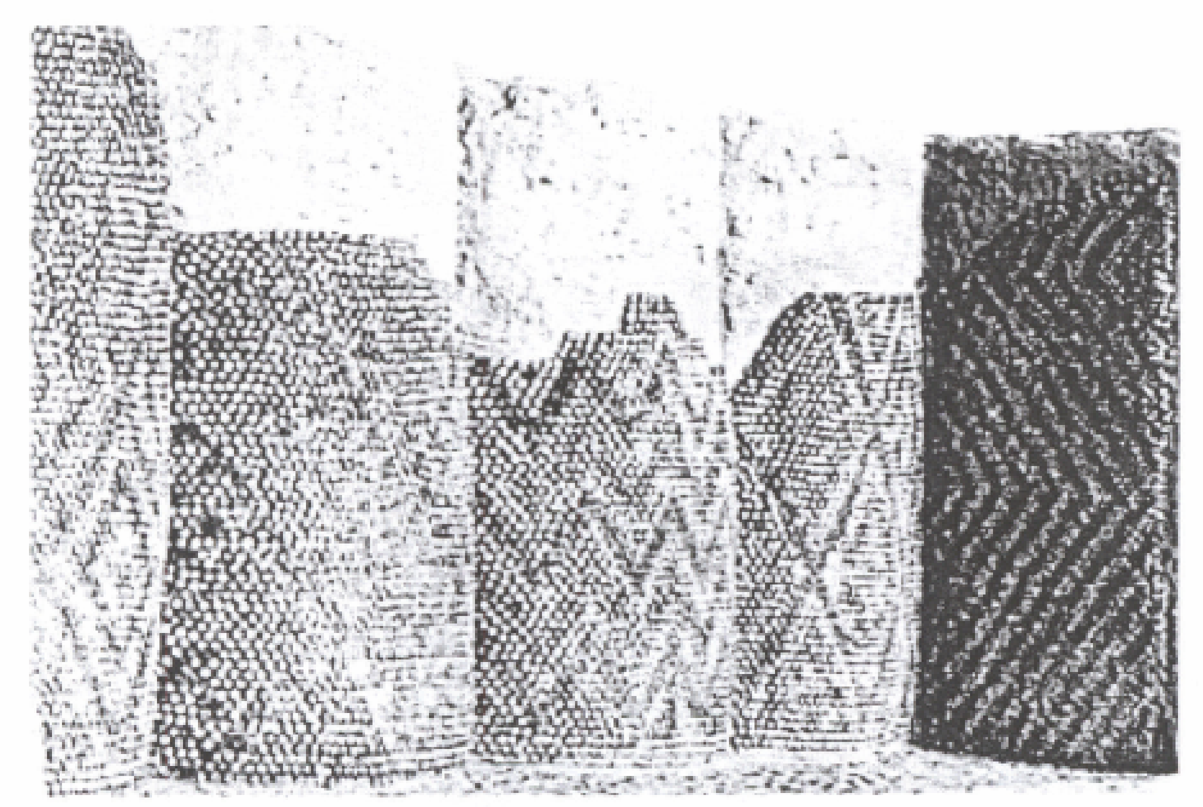
لوحة سارية الحرب والسلام السومرية في اور – صندوق خشب عاج وصدف ولازورد – رسم على أحد جانبيه صور للجيش السومري وهو في حالة حرب ورسم على الطرف الثاني جانباً من الحياة السومرية – سلالة اور الثالثة ، من مقبرة اور الملكية – المتحف البريطاني

في الأسفل نجد صورة لمزهرية اوروك، تعود إلى القرن ٣٣٠٠ قبل الميلاد، يظهر فيها رجال عاريين يحملون الأضاحي إلى الآلهة السومرية ربة الخصب آنانا في معبدها في اورك، . على مزهرية اخرى من الوركاء (انظر الصورة الثانية)، يظهر لنا صفاً طويلاً من الرجال العاريين تماماً يحملون الأضاحي إلى الآلهة.





Warka Vase



أعمدة زخرفها السومريون بإسلوب شبيه بالموزائيك ، من أوروك ، وادي الرافدين ، أوائل الألفية الثالثة ق.م . في متحف ستاتليخ في برلين .



صورة تمثل اللوح السومري وإلى الأعلى يظهر النقش محل الجدل وأسفل الصورة النقش مكبراً لإظهار تفاصيله بوضوح



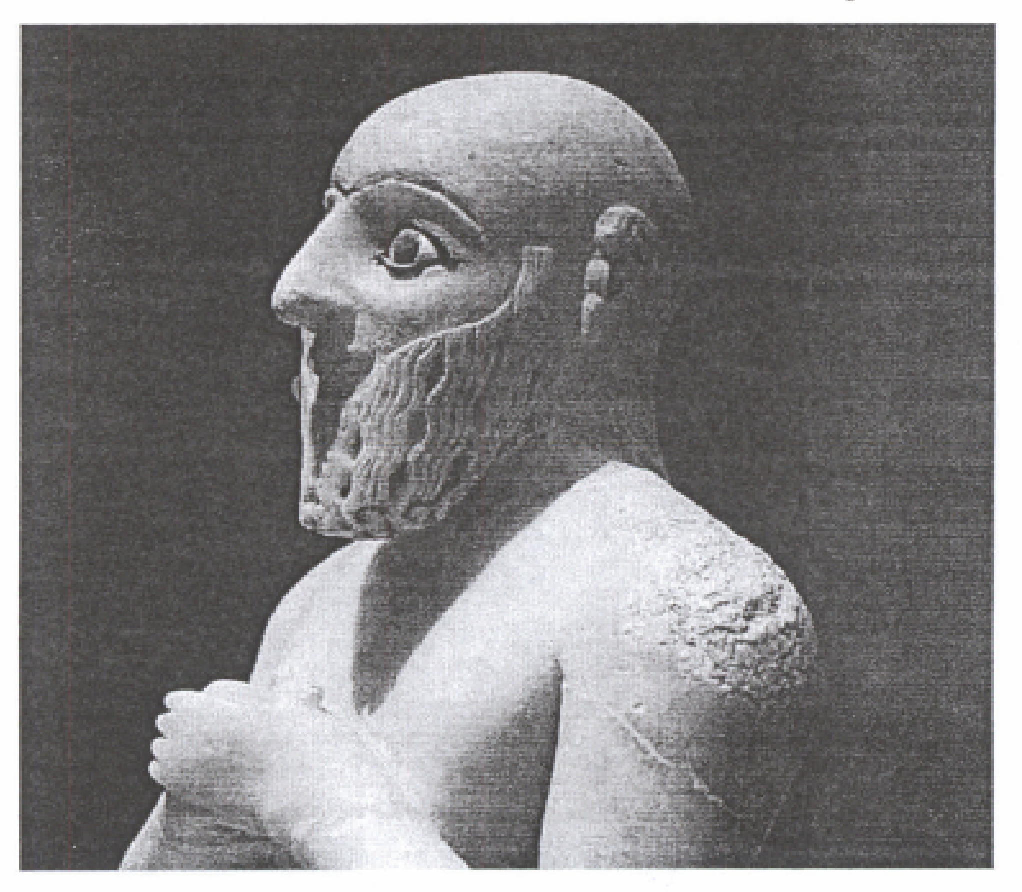
نقش أثري يمثل جوانب من الحياة الحربية في الدولة السومرية (٢٨٥٠ - ٢٤٠٠ ق.م)



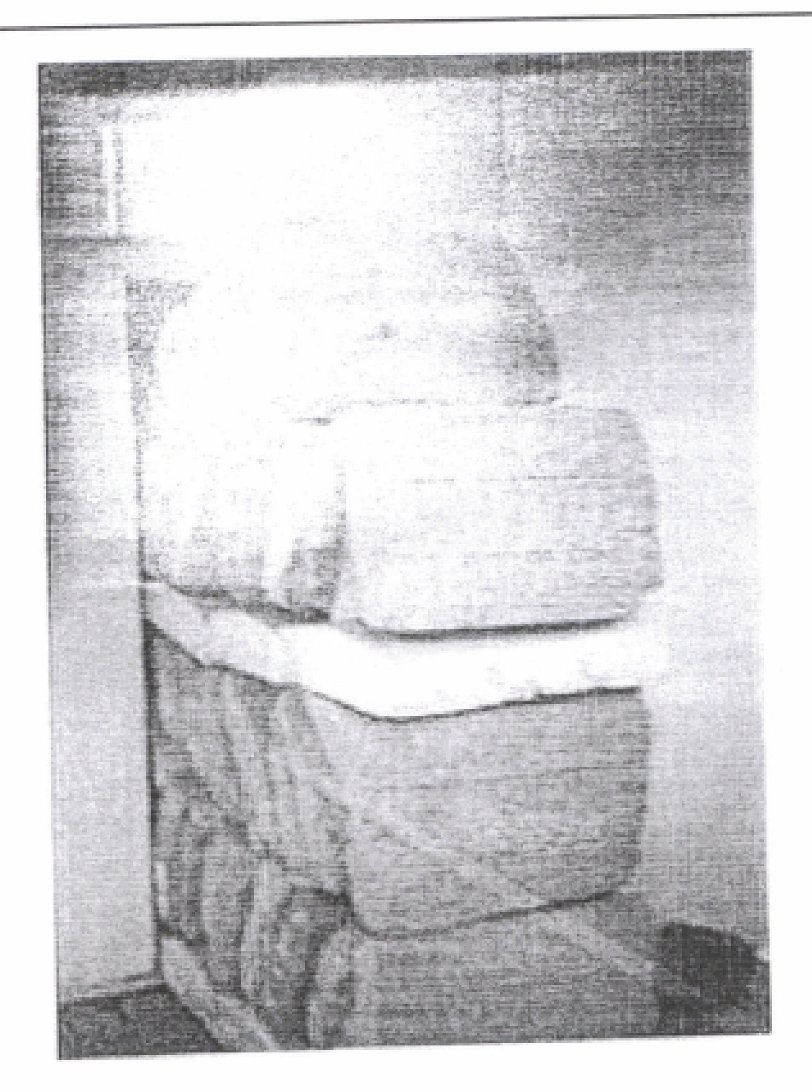
الأواني الفخارية



الإناء الفوار (رمز الحكمة السومرية) الخالد حيث يظهر نهري دجلة والفرات يفيضان من الإناء النذري التي تمسك به يد العاهل السومري الشهير (كوديا - امير لكش)



كاهن سومري مصنوع من رخام أبيض والعيون من الصدف الملون



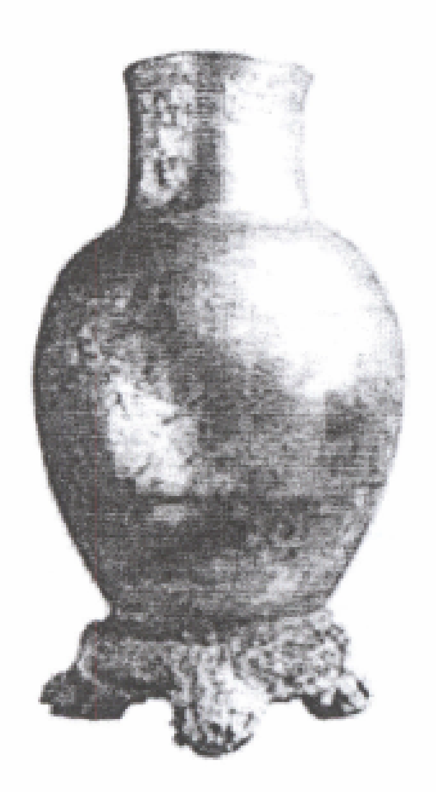
صحيفة حجرية منحوتة أسمها (صحيفة الملك)



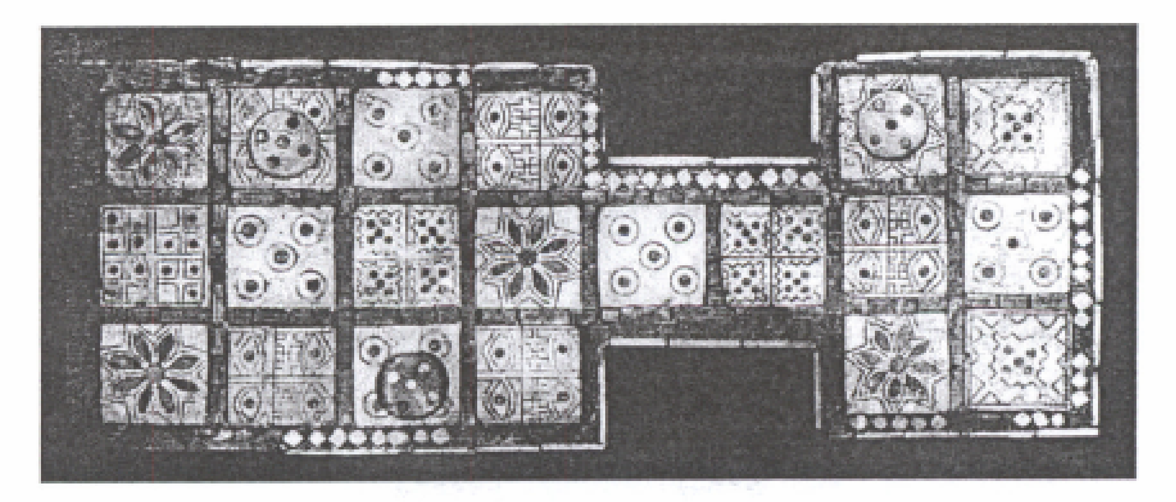
مشهد يمثل رجلاً وإمرأة يقدمان نذراً للآلهة



إمرأة مصنوعة من الجبس مع قناع ذهبي
وهي واقفة في مذبح معبد في نيبور ٢٧٠٠ق.م
المتحف العراقي – بغداد



إناء فضي منحوت للملك إنتامينا
من لجش – أوائل عهد السلالات
اللوفر – باريس



لعبة أور الملكية عثر عليها في مقبرة أور الملكية مصنوعة من الخشب واللازورد والصدف بالإضافة إلى أزرار لعب ومجموعة نرد .. يتنافس فيها اللاعبان لإكمال دورة كاملة على مربعات اللوح وتعتبر أقدم لعبة لوحية في العالم تعود للألف الثالث قبل الميلاد

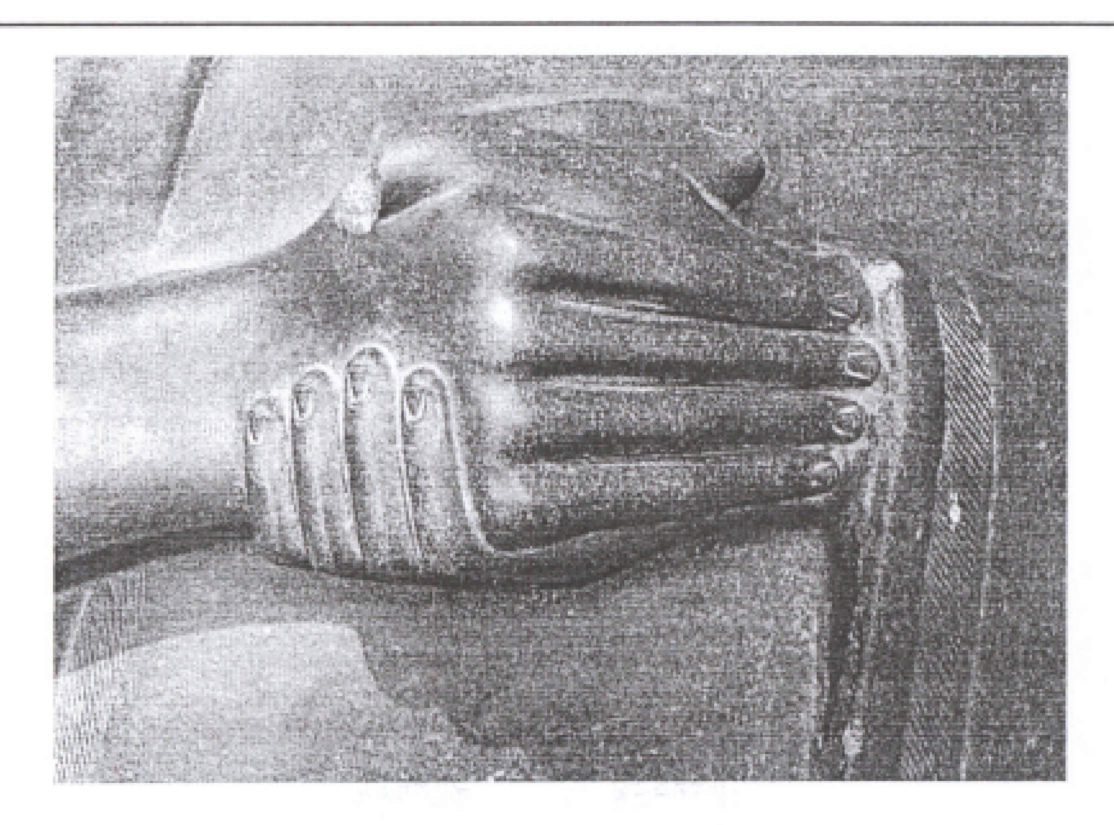




رأس القيثارة السومرية وهي أقدم آلة موسيقية عثر عليها في مقبرة أور الملكية تعود للألف الأول قبل الميلاد مغطاه بشرائح الذهب ومطعمة من الصدف الملون



تمثال كوديا امير لجش فاقد الرأس وعلى حجره مخطط معبد – يعتقد أنه كان معمارياً



كف الأمير كوديا – أمير مدينة لجش السومرية الألف الثالث قبل الميلاد



تفاصيل الأمير كوديا أمير مدينة لجش يظهر جالساً وأحياناً واقفاً وغالباً ما توجد كتابات تطرز مأزره وأحياناً خريطة لأحد المعابد والمبان





زينة الملكة بو آبي



احدى وصيفات الملكة بو آبي

عثر السير وولي في مقبرة اور الملكية على قبر كبير جداً احتوى عشرات الهياكل العظمية واسماها السير وولي بحفرة الدفن الكبرى .

دفنت بو آبي مع حاشيتها من وصيفات وحراس وكن قد اكتسين بأبهى زينتهن من الذهب والصدف والأحجار الكريمة . تعود المقبرة للألف الثالث قبل الميلاد



تاجان سومريان من الذهب و الخزف المزخرف من قبر الملكة بو-أبي ، أور ، حوالي 2500 ق.م . في المتحف البريطاني

الفصل الثالث

الحضارة الأكدية

الإمبراطورية الأكدية هي إمبراطورية تمركزت في مدينة أكاد (سومرية: أكد حيثية : كور.أ.كد.ديكي أي "أرض أكد" وحسب التأريخ التوراتي أكد) وبالمناطق المحيطة بأكد في منتصف بلاد الرافدين (حالياً العراق). تقع مدينة أكد على الصفة الغربية لنهر الفرات بين زمبير وكيش (في العراق ٥٠ كيلومتر جنوب غرب مركز بغداد). على الرغم من الأبحاث واسعة النطاق، لم يتم العثور على الموقع بوجه دقيق. أزدهرت الحضارة الأكدية خلال الفترة (٢٢ - ٢٤) ق.م ووصلت ذروتها، عقب غزو سرجون الأكدي.

وبسبب السياسات الأكدية نحو الاستيعاب اللغوي، أخذت أكد هذا الاسم من اللهجة السامية الغالبة. اللغة الأكدية تعكس استعمال أكدو (في لغة أكد) في الفترات البابلية القديمة كتدليل على وجود نسخة سامية للنصوص سومرية الأصل.

* الأكديون :

الأكاديون هم من أقدم الأقوام السامية التي استقرت في الرافدين في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد حوالي (٣٥٠٠) ق.م ، وفدوا على شكل قبائل رُحل بدو من الجزيرة العربية إلى العراق وجنوب شرقي تركيا وشمال غربي إيران (الأحواز) ويعتقد أن أصلهم من العرب القدماء المهاجرين من جزيرة العرب . عاش

الأكاديون منذ القدم في الجزيرة العربية ثم هاجروا شمالاً إلى العراق وعاشوا مع السومريين. وآلت إليهم السلطة في نحو (٢٣٥٠) ق.م بقيادة زعيمهم القائد الأكادي العظيم سرجون الأول أول حاكم لإمبراطوريتي أكد وسومر، حيث أسس الدولة الأكادية على أنقاض مملكة سومر، واستطاع سرجون العظيم احتلال بلاد سومر وفرض سيادته على جميع مدن العراق . ومن الجدير بالذكر أنه قد تم اكتشاف أن هناك توسعات سبقت توسعات سرجون على يد ملوك سومريين.

شهد العراق في عصرهم انتعاشاً اقتصادياً كبيراً بسبب توسع العلاقات التجارية خاصة مع منطقة الخليج العربي. كما انتظمت طرق القوافل وكان أهمها طريق مدينة أكاد العاصمة بوسط العراق الذي يصلها بمناجم النحاس في بلاد الأناضول، وكان النحاس له أهميته في صناعة الأدوات والمعدات الحربية.

تقبل الآشوريون الحضارة الأكادية لقربها منهم من ناحية الأصول العربية. وقد اشتهر الأكاديون بصناعة البرونز. وفي سنة ٢١٣٠ ق.م سقطت الدولة الأكادية إثر غارات الغوتيين والقبائل الجبلية.

* تاريخ الأصل :

المتحدثون باللغات السامية وُجدوا في بلاد الرافدين منذ فجر التسجيل التاريخي، وسرعان ماحققت الصدارة في بداية حكم السلالة الكاشية وعدد من المواقع شمال سومر، حيث هنالك بدأ الحكام ذوو الأسماء ذات الأصل السامي بإنشاء ممالكهم في الألفية الثالثة قبل الميلاد. واحد من هؤلاء وجد تزامناً مع آخر حكام سومر (لوجال.ساجي.سي) حاكم أوروك، كان الوشارشيد الذي يكبح النفوذ العيلامي وفقاً للنصوص في نيبور. ومن بعدها بداية تكوين إمبراطورية إقليمية.

البدايـة :

الدولة الأكدية (٢٣٥٠ – ٢١٣٠) ق.م :

ظهر سرجون في مدينة كيش في نحو عام (٢٣٥٠) ق.م واستطاع الاستئثار بالسلطة وسرعان ما شكل جيشاً فتح به المدن المجاورة لكيش، ولم يقف عند ذلك بل خاض معارك طاحنة ضد (لو كال زاكيزى) ملك أوروك حتى تغلب عليه وأخضع دويلات المدن السومرية الأخرى وكان ذلك في نحو (٢٣٤٠) ق.م ووحد منطقة الهلال الخصيب بعد أن بسط نفوذه على بلاد بابل وشمال بلاد مابين النهرين ، وقد امتدت دولة الأكاديين لتشمل كل منطقة الهلال الخصيب تقريباً وبلاد العيلاميين وسوريا وفلسطين وأجزاء من الأناضول وامتد إلى الخليج العربي، حتى دانت له كل المنطقة. وصارت أقطار الشرق الأوسط تحت حكمه في إمبراطورية شاسعة الأطراف، وبذلك أسس أول امبراطورية معروفة في التاريخ بعد الطوفان. واتخذ مدينة أكد عاصمة لها. ولم يعرف موقع هذه المدينة حتى اليوم بصورة أكيدة ولعلها تقع في المنطقة الوسطى من العراق حالياً بالقرب من بابل وسبار بجوار مدينة المحمودية الحالية.

١ – سرجون (٢٣٤٠ – ٢٢٨٤) ق.م :

ومعنى اسمه (شرو كين) الملك الصادق أو الشرعي أو الثابت، وتخبرنا النصوص عن نشأته؛ بأن والدته كانت من نساء المعبد، وأن والده غير معروف، ولما ولد وضعته والدته في سلة ورمته في الفرات حيث عثر عليه بستاني ورباه فلما ترعرع وشب شملته الآلهة عشتار بعطفها وحبها ثم تدرج في الوظائف حتى ارتقى إلى خدمة ملك كيش (أور زبابا) بل استولى أخيراً على العرش وبنى مدينة أكاد وجمع حوله جيشاً واخضع غرب آسيا.

حكم سرجون ٥٦ سنة جلب خلالها الرخاء للشعب واستتب الأمان في كل مكان ونشر المعارف والعلوم والفنون والكتابة. وقد وجدت ألواح من الطين مكتوبة بالخط المسماري وباللغة الاكادية في كثير من المستعمرات البعيدة في الأناضول وعيلام وفي زمنه ترقت الفنون الجميلة وفي المتحف العراقي رأس تمثال بالحجم الطبيعي من البرونز وجد في نينوى لعله يمثل سرجون نفسه وقد يمثل حفيده نرام سن ويعتبر من أثمن القطع الفنية وأجملها وأدقها تعبيراً. وبعد وفاة سرجون في نحو عام (٢٢٨٤ق.م) تبعه ولداه ريموش ثم مانشتوسو وقد بذل كل منهما قصارى جهده للإبقاء على كيان الإمبراطورية الشاسعة حتى تولى الحكم حفيده نرام سن.



تمثال نصفي لحاكم الإمبراطورية الأكدية، وجد في نينوى، يعود تاريخه إلى فترة القرنين الثاني والعشرين أو الثالث والعشرين قبل الميلاد. قد يعود التمثال لسرجون.

(وقد يعود هذا التمثال لنارام سين حفيد سرجون)



رأس من النحاس يمثل الملك سرجون الأكدي أو حفيده نرام سين – عثر عليه في آشور يعود للألف الأول قبل الميلاد – وقد كان سرجون الأكدي أول امبراطور تمكن من أن يكمل ما بدأه الملك السومري لوكال زاكيزي من توحيد دويلات المدن تحت رايته واستطاع بناء امبراطورية امتدت من ايران الى حدود مصر وقام بأعمال تجارية وأروائية عظيمة ، واتخذ سياسة تولية احد ابناء المدينة الأصليين على المدينة مع احتفاظ كل مدينة بدينها



الإمبراطورية الأكدية في زمن سرجون الأكدي



٢- نرام سن (٢٢٦٠ - ٢٢٢٣) ق.م:

استطاع (نرام سن) إعادة فتح الأقطار التي كانت تحت حكم جده سرجون وإخضاعها ثانية وأضاف إليها مقاطعات جبلية كمنطقة اللولوبيين في جبال زاكروس واخضع العيلاميين وقد خلد نرام سن فتوحاته هذه في مسلة كبيرة من الحجر تمثله على رأس جيشه في منطقة جبلية وعرة ، والمسلة اليوم من معروضات متحف اللوفر بباريس وجدتها البعثة الفرنسية قبل أكثر من نصف قرن في سوسة عاصمة العيلاميين في إيران. وقام نرام سن بإعمال عمرانية واسعة فنظم الحياة الاجتماعية في البلاد، وسار على القوانين الموحدة التي نشرها جده سرجون، وجعل اللغة الأكادية لغة رسمية في جميع الهلال الخصيب. وبعد أن حكم ٣٧ سنة تولى الحكم بعده ابنه .



الملك نرام سين حفيد الملك سرجون الدولة الأكدية (٢٢٦٠ -٢٢٢٣ ق.م)

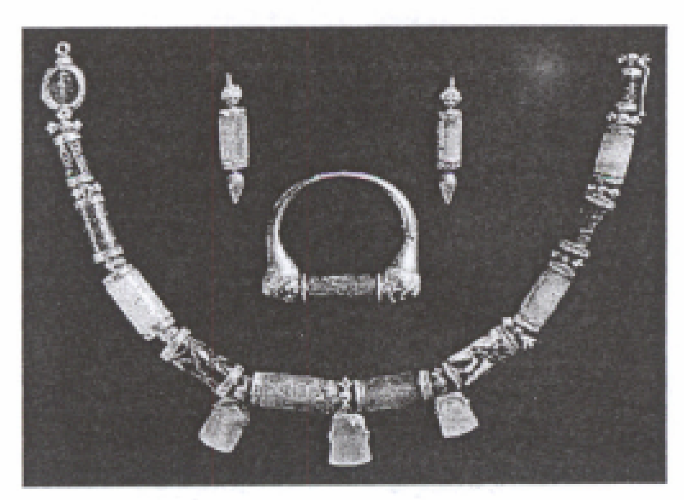
متحف العراق الوطني القاعة الأكدية

٣- شركلي شرى (٢٢٢٣ - ٢١٩٨) ق.م :

بذل شركلي شرى ما في وسعه للمحافظة على الإمبراطورية الواسعة ولكن مساعيه كانت دون جدوى إذ أن كثيراً من المقاطعات البعيدة انفصلت عن المركز وتحركت في زمنه وما بعده جموع من سكان الجبال الشرقية عرفوا بالكوتيين كما أن السومريين كانوا يتحينون الفرص في الداخل للاستقلال بمدنهم القديمة.

وبعد وفاة شركلي شرى توالى على الحكم بعده سنة ملوك ضعفاء حكموا من (٢١٩٨ - ٢١٩٥) ق.م انفصلت خلال حكمهم أكثر المقاطعات واستقلت بعض المدن السومرية مثل اوروك حتى أن ثبت الملوك كان في حيرة من أمره فيذكر أنه أصبح من الصعب معرفة من كان ملكاً منهم ومن لم يكن.

وأخيراً زحفت أقوام الكوتيين من المناطق الجبلية ونزحت نحو أواسط البلاد وفتحت بلاد أكاد وسومر وخربت المدن فعم الخوف والذعر في البلاد وكان في ذلك القضاء على المملكة الاكدية في نحو عام ٢١٥٩ ق.م بعد أن حكمت زهاء القرنيين.



عقد مصاغ حديث مصنوع من مجموعة اختام سومرية وأكدية مصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة - المتحف البريطاني

سلالة أور الثالثة الأكديون :

سلالة أور الثالثة هي أسرة سومرية أسسها في مدينة أور الأمير (أور نمو) وقد بلغ عدد ملوكها خمسة حكموا أكثر من مائة سنة (٢١١١ – ٢٠٠٣) ق.م اشتهرت هذه السلالة بتعمير البلاد وإعادة اللغة السومرية للتداول بعد أن نافستها اللغة الأكدية، وتقديم الآلهة السومرية القديمة على غيرها من الآلهة وإقامة الشعائر الطقوسية السومرية القديمة . وقد تقدمت الحضارة في هذا العهد تقدماً محسوساً وانتشرت المعارف بمختلف مناحيها من علوم وآداب وفنون. ونالت أور القسط الأوفر من العناية حتى أصبحت قبلة الشرق القديم. وقد دوِّن في هذه الفترة كثير من الأخبار التاريخية القديمة وسطرت الأساطير والقصص الدينية.

– أور نمو (٢١١١ – ٢٠٩٤) ق.م :

كان قائد جيوش (اتوحيكال) ملك أوروك وصهره (زوج ابنته) وبعد وفاة اتوحيكال غرقاً وفي ظروف غامضه استولى أورنمو على الحكم وضم إليه أكثر المدن السومرية والاكادية ثم اكتفى أور نمو بتوحيد بلاد الرافدين بقسميه فلم يوسع فتوحاته نحو المناطق المجاورة ولكنه صرف اهتمامه إلى تشييد المعابد وقد قام ببناء معبد على شكل الزقورة العالية؛ وهي بناء صلد من اللبن مغلف بالآجر يتألف من عدة طبقات يعلوها معبد صغير يسمى المعبد العلوي وبجانب سلالم الزقورة معبد آخر كبير يسمى بالمعبد السفلي ويحيط الكل فناء واسع حوله سور فيه حجرات، وتُشاهد بقايا هذه الزقورات ومعابدها في كثير من المدن الكبرى مثل أوروك ونفر وأجملها ما يشاهده الزائر اليوم في مدينة أور.

وقد بالغ أورنمو بالاهتمام بتشييد معبد الإله (سن) الإله القمر في أور وخلد ذكرى تشييد هذا المعبد على مسلة من حجر كلسي بني اللون وجدت في

أور وهي اليوم في متحف بنسلفانية، وتمثل الملك اورنمو واقفاً أمام الإله (سن) ويقوم ببعض الطقوس الدينية عند وضعه حجر الأساس لمعبد أور الشهير بزقورته القائمة حتى اليوم.

وقد وضع اورنمو شرائع ليحكم بها تعتبر من أقدم ما اكتشف من القوانين حتى الآن ولهذا الملك تماثيل من النحاس تمثله واقفاً وعلى رأسه سلة فيها التراب ليضع حجر الأساس للمباني التي شيدها. وبعد أن حكم اورنمو ثماني عشرة سنة خلفه ابنه شولكي .

شولكي (٢٠٩٣ – ٢٠٤٦) ق.م :

سار هذا على سياسة والده في تشييد المعابد وتعمير المدن وحفر القنوات، وله تماثيل عديدة من النحاس تمثله حاملاً سلة التراب ليضع حجر الأساس للمباني التي شيدها أو التي أكمل بناءها وقد جرت له بعض الحروب في منطقة جبال زاكروس وكانت بلاد آشور خاضعة له . توفي شلكي بعد أن حكم ٤٨ سنة ووجد له في مدينة أور مرقد ضخم مبني بالآجر يتكون من عدة أقبية، وتلاه في الحكم ابنه أمار سين.

أمار سين (٢٠٤٥ –٢٠٣٧) ق.م :

يقرأ اسمه (أمرسونا) أيضاً بينما قرأ سابقا (برسن) وكانت الأمور في زمنه مستتبة في البلاد وسار على سياسة التعمير . وظهر في زمانه اسم حاكم بلاد آشور المدعو (زار يقوم) الذي كان يقدم الولاء لسيده (أمر سن) . وبعد تسع سنوات خلفه في الحكم ابنه شو سين.

شو سين (٢٠٣٦ – ٢٠٢٨) ق.م :

حكم هذا أيضاً تسع سنوات ازدادت في زمانه هجمات الأقوام السامية الغربية القادمة من وسط البوادي في الهلال الخصيب على طريق الفرات وكانت هذه الموجات السامية تزحف جماعات إلى المدن والأرياف .

إبي سين (٢٠٢٧ – ٢٠٠٣ ق م)

هو آخر ملوك سلالة أور الثالثة وقد حكم (٢٥) سنة قضاها في قمع الفتن وايقاف زحف الساميين الغربيين القادمين عن طريق مارى (تل الحريرى) على الفرات الأوسط وضعفت أخيراً سلطة هذا الملك فاستقبل (اشبي ايرا) في مدينة إيسن واستقل (نبلانم) في مدينة لارسا بمساعدة التدخل العيلامي من الشرق وكذلك استقلت بلاد آشور وكانت الضربة القاضية من العيلاميين إذ زحفوا بجيوشهم الجرارة إلى أور وفتوحوها وخربوها تخريباً كاملاً وأسروا ملكها . وقد دونت الأشعار المحزنة في رثاء هذه المدينة المجيدة وهكذا قضى على سلالة أور الثالثة وبذلك انتهى العهد السومري الأخير في نحو عام (٢٠٠٣) ق.م الذي انقرض به حكم السومريين نهائياً.

* الأموريين :

الأموريين هي التسمية الأكادية للجمعات البشرية القديمة البدوية التي تواجدت في بوادي الهلال الخصيب والذين سبق وذكرتهم المصادر السومرية باسم مارتو. وترافق شيوع ذكرهم مع انتهاء فترة الجفاف التي عمت غرب آسيا في نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد. هذا التغير المناخي الذي

أدى إلى انهيار دولة سلالة أور الثالثة كقوة إقليمية ودمار العديد من المدن وهجرانها.

أطلق بعض الباحثين الأثاريين تسمية الكنعانيين الشرقين على الأمورين. أسس الأموريون بعد ذلك سلالات حاكمة في عدة مدن – ممالك، من أشهرها :

- **حلب** : مملكة يمحاض وكانت عاصمتها مدينة، ومن أشهر ملوكها يارم ليم وابنه حمورابي معاصر حمورابي ملك بابل .
- **إيسن** : التي تأسست في بلاد مابين النهرين .
- **بابل** : السلالة البابلية الأولى لدولة البابلية القديمة .
- **ماري** : مملكة ماري (قرب البوكمال) التي سكنها قبل عام ٢٥٠٠ ق.م أقدام أكادية سومرية وكانت حضارتها تشبه حضارة السومريين .

وأخذ الأموريون حضارة السومريين والأكاديين، فازدهرت مملكة ماري ازدهاراً عظيماً وسيطرت على طرق المواصلات التي تصل الخليج العربي بسوريا والأناضول قرابة قرنين (١٧٥٠ – ١٩٥٠) ق.م ، أما حضارة الأموريين فهي حضارة البابليين في جميع وجوهها. وقد اختلط الكنعانيون مع الأموريين لكنهم استوطنوا سوريا الجنوبية، ولاختلاف موضع المجموعتين تأثر الأموريون بالحضارة (السومرية / الأكادية) وتأثر الكنعانيون بالحضارة المصرية وحضارة غرب البحر المتوسط. وانتشر الكنعانيون على طول الساحل الشمالي لسوريا. وتعد لغة الآموريين والكنعانيين لهجتين من فرع واحد وأما الخلاف بين اللهجتين لا يختلف عن أكثر مما تختلف فيه اللهجات الشامية اليوم.

* السلالة البابلية الأولى :

السلالة البابلية الأولى تسمى أيضاً الدولة البابلية القديمة (١٨٩٤ – ١٥٩٤) ق.م، بعد سقوط سلالة أور الثالثة وانسحاب العيلاميين من البلاد تألفت عدة دويلات في مدن مختلفة أحداها في إيسن، والأخرى في لارسا، والثالثة في بابل. واستقلت أوروك وأشنونا وآشور، كما حكم في مدينة ماري سلالة مستقلة وكان النزاع على الاستئثار بالسلطة على أشُدّه بين هذه الدويلات واستمر نحو قرنين حتى انتهى بانتصار مدينة بابل في زمن ملكها السادس حمورابي الذي قضى على سائر الأمراء وضم مدنهم إلى مملكة موحدة حكمت الشرق الأوسط بأسره وعرفت بالمملكة البابلية القديمة

سلالة بابل الأولى : تعرف بالسلالة الأمورية أيضاً ، عدد ملوكها أحد عشر ملكا حكموا ثلاثة قرون في نحو (١٨٩٤ – ١٥٩٤) ق.م. وقد بلغت الحضارة في هذه الفترة ذراها وازدهارها، وعمت اللغة الأكادية بلهجتها البابلية تكلماً وكتابة في ذلك الحين بلاد الشرق الأدنى قاطبة، وارتقت العلوم والمعارف والفنون، واتسعت التجارة اتساعاً لا مثيل له في تاريخ هذه المنطقة، وكانت الإدارة مركزية تحكم البلاد بقانون موحد سنّه حمورابي لجميع شعوب هذه البلاد.

سمو آبوم (١٨٩٤ – ١٨٨١) ق.م :

أسس هذه السلالة في بابل في الوقت الذي كانت فيه سلالتا إيسن ولارسا تتنازعان على السلطة العليا وكانت البلاد حينذاك تزخر بتهوجات السامية الغربية التي كانت تملأ الأرياف والمدن . وقد اتخذ هذا الملك مدينة بابل عاصمة له وهي على نحو من تسعين كيلومتر جنوب غربي بغداد . وكانت حينذاك مدينة صغيرة لم تشتهر بعد ، يقطنها كثير من الساميين الغربيين وبقايا الاكاديين الساميين

الذين كانت عاصمتهم في عهد مملكتهم العظيمة أكد قريبة من منطقة بابل . ثبّت (سمو آبوم) حدود منطقة بابل وسوّر المدينة وبنى فيها بعض المباني العامة والمعابد وضم إلى حكمه كيش وسبار ومدناً أكدية أخرى مجاورة لبابل، وبعد وفاته تبعه ملوك آخرون كان حكمهم ضعيفاً وهمهم تقوية مدينة بابل والمحافظة على المدن التابعة لها ومن هؤلاء الملوك (سمولا ايل) الذي فتح مدينة كوثا ونفر وقسماً كبيراً من بلاد أكاد السابقة، ثم حكم بعده ثلاثة ملوك حافظوا على ممتلكات بابل القليلة وثالثهم وهو (سن مبلط) والد حمورابي وكان طموحاً أكثر من غيره وقد كان في زمنه ملكاً قوياً في لارسا يدعى (ريم سن) ، ومع ذلك فقد حاول (سن مبلط) انتزاع بعض المدن من حكومة لارسا فهجم على أور وإيسن ولكن الكفة الراجحة كانت بجانب (ريم سن) وبقيت أور وغيرها من المدن السومرية في الجنوب بعيدة عن سلطة بابل حتى جاء الفاتح البابلي العظيم .

حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠) ق.م :

حكم هذا الملك العظيم في بابل حسب آخر التقديرات التاريخية في نحو عام (١٧٩٢–١٧٥٠) ق.م وحسب تقدير آخر في عام (١٧٢٨–١٦٨٦) ق.م وعندما تسلم الحكم كانت في البلاد قوى مختلفة تتنازع السلطة فيما بينها منها مملكة لارسا وملكها القوى (ريم سن) الذي استطاع في السنة السابعة من حكم حمورابي فتح مدينة ايسن وضمها إلى مملكته فصار جنوبي بلاد الرافدين كله تحت ملكه. أما الجهات الشرقية فقد كان تحت حكم العيلاميين مباشرة. وفي الشمال في بلاد آشور كان (شمشي اداد) يحكم آشور والمقاطعات الشمالية من سوريا.

حارب حمورابي أولاً المدن المجاورة لبابل وضمها إلى حكمه دون عناء كبير لانحياز الآموريين الذين شكلوا أكثرية السكان القاطنين في هذه المدن له . ثم أخذ يخضع المدن السومرية ويحصنها وينظم الإدارة فيها، كما قام باصلاحات داخلية كثيرة اجتذبت إليه قلوب الناس فالتفوا حوله وكون منهم جيشاً قوياً حارب به جموع العلاميين وجيوش ريم سن حروباً طاحنة شديدة انتهت بهزيمة (ريم سن) وهروبه إلى بلاد عيلام فأخضع حمورابي لارسا وما كان يتبعها من مدن في الجنوب. ثم وجه همه بعد ذلك إلى الشمال وقضى على دولة آشور القديمة وابن (شمشي أداد) ثم التفت إلى مدينة ماري على الفرات الأعلى وحارب (زمريليم) فقضى عليه وفتح مدينته ثم تقدم شمالاً على الفرات وافتتح المدن القريبة في غرب الهلال الخصيب .

ومن أهم أعماله التي نالت شهرة عالمية وخلدت اسمه على مدى الدهر هو تقنينه القوانين وسنها في شريعة واحدة دونها على مسلة كبيرة من حجر الديوريت الأسود وما من شك في أن حمورابي جمع قوانينه من مصادر قديمة كانت مدونة على ألواح من الفخار جمعها بدقة ونظمها وجعلها ملائمة للعصر الذي عاش فيه وحمل الناس جميعاً على اتباعها وهذه المسلة معروضة في متحف اللوفر . وبعد وفاة حمورابي تولى الحكم خمسة ملوك جهدوا في المحافظة على الامبراطورية وإعلاء شأنها ومنهم :

١- سمسو ايلونا (١٧٤٩ - ١٧١٢) ق.م :

اشتهر بحفر الأقنية والترع وصد احدى غزوات الكشيين ثم خلفه ؛ آبي ايشو.

٢- آبي ايشو (١٧١١ – ١٦٨٤) ق.م :

حارب أحد الثوار في أقصى الجنوب وبلاد البحر . ثم خلفه ؛ امي ديتانا.

٣- امي ديتانا (١٦٨٣ – ١٦٤٧) ق.م :

قمع عدة فتن أبناؤها أمراء بعض المدن الجنوبية ثم خلفه ؛ امي صدوقا.

٤- امي صدوقا (١٦٤٦ – ١٦٢٦) ق.م :

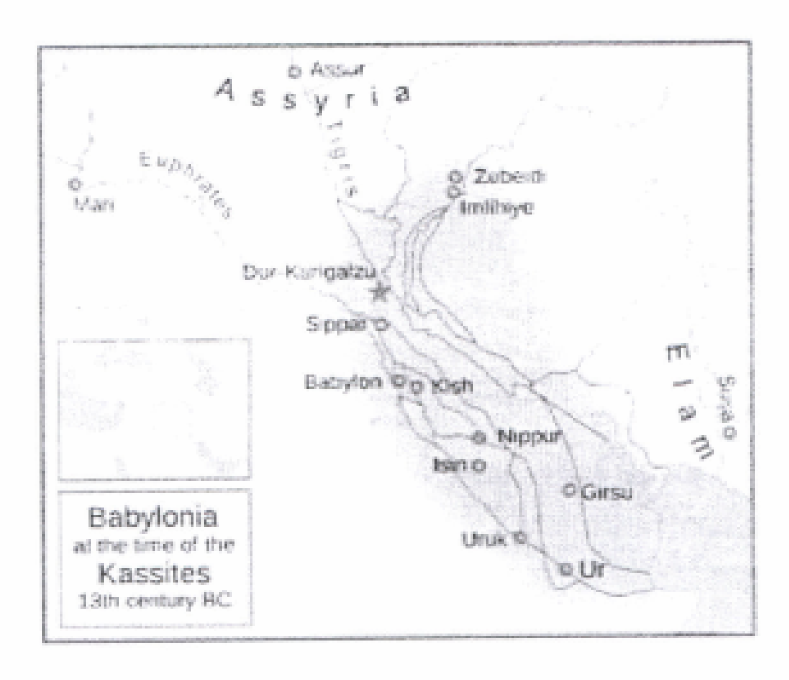
شيد سورا في الجنوب ليحمي بلاد بابل من الغزو الجنوبي .

٥- سمسو ديتانا (١٦٢٥ – ١٥٩٤) ق.م :

وهو الملك الحادي عشر من سلالة بابل الأولى آخر ملوكها. وفي زمنه هاجم الحيثيون بقيادة ملكهم (مرشلي الأول) على بلاد بابل وفتحوا العاصمة وخربوها وقفلوا راجعين إلى جبال (طوروس) محملين بالغنائم والكنوز التي لا تحصى وكان ذلك في عام (١٥٣١) ق.م.

الفصل الرابع

الكاشـيون



الدولة البابلية الكيشية

* الكاشيون (الكَشّيون) :

الكيشيون أو الكاشيون أو الكاسيون Kassites أقوام جبلية لا يعرف شيء عن أصلهم ولغتهم قبل نزوحهم إلى العراق باستثناء عدد يسير مما ورد عنهم في سجل الملوك البابلي أنهم أقوام في الأصل أكراد قدماء (جنوب بحر قزوين) ، ويبدو من دراسة أسماء الأعلام وأسماء الآلهة أنهم كانوا ذوي ثقافة لغوية آرية (هندو – أوربية) – (باستثناء عدد يسير من أسمائهم) – ولكنهم بعد استيطانهم بلاد بابل تعلموا اللغة (الأكدية / البابلية)، وكتبوا بها كما استعملوا اللغة السومرية والكاشية في بعض أخبارهم النزيرة .

* الكاشيون في بابل :

حكم الكاشيون العراق من بابل بعد انهيار دولة بابل الأولى . ولكن لم يكن لبابل من الطابع الكاشي سوى الاسم. وقد امتد العصر الكاشي قرابة أربعة قرون . وقد زحفوا إلى بلاد بابل من الجبال الشمالية الشرقية في منطقة لورستان حيث كانت اقامتهم خلال الربع الأول من الألف الثاني قبل الميلاد في مناطق جبال زجروس الوسطى في إقليم لورستان (جنوب همدان) في إيران ، وذلك قبل أن يأتوا إلى بابل على شكل هجرات متفرقة ليعملوا في الزراعة قبل أن يتملكوا البساتين والأراضي والحقول لتزداد قوتهم شيئاً فشيئاً . حيث بدأت هجرتهم السلمية إلى بلاد بابل في أواسط القرن الثامن عشر قبل الميلاد بحثاً عن العمل في الزراعة وتربية الحيوان وصاروا يؤلفون تجمعات خاصة عدّت خطراً على الحكم البابلي، فحاربهم الملك (سمسو إيلونا) (١٧٤٩-١٧١٢) ق.م، ولكن اندفاعهم نحو بلاد بابل لم يتوقف في عهود خلفائه، وصار السكان يتقبلون وجودهم بينهم لبراعتهم في مجالات العمل واندماجهم في المجتمع البابلي.

وكما ذكرنا سلفاً أن الكاشيون عاشوا من قبل في بابل زمناً طويلاً بعد أن تغلغلوا سلمياً في المجتمع البابلي . ولكنهم اقتنصوا فرصة الهجوم الحيثي واحتلوا مدينة بابل بعد أن تراجع عنها الحيثيون؛ فقد احتل الحيثيون بابل في ١٥٩٥ ق.م، ويبدو أن الكاشيين أسهموا في ذلك؛ ولذلك سلّمهم الحيثيون حكم البلاد؛ عندما انسحبوا منها بعد شهور معدودة. فاستولوا على السلطة الملكية واحتفظوا بها بعد أن أسسوا أسرة مالكة حتى أواسط القرن الثاني عشر حيث خضعت بلاد بابل لحكمهم نحو أربعة قرون ونصف ، واستلوا على جميع ممتلكات الدولة

البابلية القديمة في العراق، ولقب ملوكهم أنفسهم بلقب (ملك أكد وبابل) . واقتبسوا الحضارة البابلية ومارسوها وحافظوا على بقائها.

لم يضف الكاشيون شيئاً متميزاً إلى حضارة وادي الرافدين ، وإنما اقتبسوا من الحضارات التي كانت سائدة فيه . وقد كانت لهم صلات واسعة مع أقطار الشرق القديم في عصر أخناتون ، فقد وجدت أخبارهم في ألواح تل العمارنة في العراق.

* تاريخ الكيشيون :

تذكر المصادر البابلية والآشورية واحدة من أكبر قبائلِ الديلم القديمة (كايسي، كاشي) التي حكمت بلاد الرافدين حوالي خمسة قرون .

والفترة الكاشية تعد من أشد الفترات غموضاً في تأريخ العراق القديم لقلة المصادر المتوفرة عنها رغم كثرة الألواح والرُقم الطينية التي عثر عليها ولكنها لم تترجم بعد؛ إذ لاتزيد عن ٩٠٠ رقيم طيني عن تلك الفترة هي ما توفر بعد ترجمتها من بين ألاف رقم الطين المخزونة في المتاحف العالمية وأهم ما وجد من رقم الطين كتب عليه أن الملوك الكاشيون: "نجحوا في مسك يد الإله مردوخ" وهذه دلالة واضحة على أن حكمهم كان شرعياً في نظر البابليين ولم يعاملوا معاملة الغزاة الأجانب وخصوصاً بعدما استعادوا تمثال إله بابل الرئيسي مردوخ وتمثال زوجته صربنتايم على يد الملك اكوم الثاني (١٦٠٠-١٥٨٥) ق.م. وأعيدت تماثيل الآلهة في أحتفال ضخم ألبست فيه تماثيل الآلهة ملابس جديدة وزينت معابد بابل لاستقبالهما في يوم رائع بالنسبة للبابليين، ونجح بذلك الملوك الكاشيون فعلا بكسب ود أبناء بابل .

أول مرة ورد فيها اسم الكاشيين كان في السنة التاسعة من حكم الملك البابلي سمسوا ايلونا (١٧٤٩ – ١٧١٢) ق.م، ولم يتمكن الملوك الأوائل من الكاشيين من فتح بلاد بابل إلى أن تيسر لملكهم (آكوم الثاني/ كما كريمه) في نحو عام ١٥٨٠ق.م أو حسب تقدير آخر في نحو عام ١٥٣٢ ق.م من النزول من خلوان في إيران على طريق خانقين ثم إلى أواسط وجنوبي بلاد الرافدين، واحتل مدينة بابل بعد تراجع الحيثيين عنها فأسس فيها سلالة كاشيه ورثت جميع ممتلكات الدولة البابلية القديمة، ولقب نفسه (ملك أكد وبابل) إضافة إلى ألقاب أخرى كثيرة.

وقد ذكر ثبت الملوك ٣٦ ملكاً من هذه السلالة حكموا زهاء ٥٧٦ سنة، يقدرها المؤرخون المعاصرون في نحو عام (١٦٨٠ – ١١٥٧) ق.م إلا أن حكمهم في جنوبي العراق دام حوالي ٤٠٠ سنة (١٥٨٠ – ١١٥٧) ق.م أو (١٥٣٢ – ١١٦٠) ق.م ، وقد امتد الحكم الكاشي شاملاً جزر الخليج العربي وخصوصاً جزر البحرين وجزيرة فيلكا الكويتية، حيث عثر علي مستوطنات تعود للحقبه الكاشيه وأختام وفخاريات وقبور.

* ملـوك :

لم يقم الملوك الأوائل من الكاشيين بأعمال تستحق الذكر إلا أن بعضهم شيَّد المعابد في بابل والمدن الجنوبية وذُكر اسمه مطبوعاً على آجرها وكان من أبرز ملوكهم :

* **آجوم كَكْريمه** : (مطلع القرن ١٦ ق.م) تقرّب من البابليين، واهتمَّ بمعتقداتهم الدينية، ووضع حداً لتوسع نطاق مملكة سلالة البحر في أقصى الجنوب العراقي.

* **أُولام بُورْياش** : (اولامبورياش) (مطلع القرن ١٥ق.م) بعد وفاة اكوم الثاني بحوالي ٨٠ عام أي حوالي العام ١٥٠٠ق.م نجح هذا الملك الكاشي في دحر الملك (أيا كميل) ملك سلالة القطر البحري وقضى على مملكة بلاد البحر، واستولى عليها وضمها إلى حكمه وذلك عندما كان ملكها (ايا كاميل) يحارب في بلاد عيلام. وقمع بعضهم الفتن لاسيما في بلاد القطر البحري . وأعاد بذلك إلى بابل كامل التراب السومري .

* **كارا إنْداش** : (أواسط القرن ١٥ق.م) لقب نفسه ملك مدينة بابل وملك سومر واكاد وملك الكاشيين وملك بلاد بابل. وكانت تسمى آنذاك (كردنياش). عاصر (آشور بيل نيشيشو) وفي عهده وصل الفرعون المصري تحتمس الثالث ملك مصر إلى الفرات فتحالف معه خشية ازدياد نفوذ مملكة ميتّاني الحورية في مناطق الجزيرة السورية، وصاهره، كما اهتم بالشئون الداخلية والدينية في بلاد بابل التي صارت تسمى (بلاد كردونياش) . وله معبد ضخم في مدينة الوركاء شيده للإلهة (انين) وجداره مبني بالآجر ومزدان بصور ناتئة لآلهة، ويقدر زمنه في نحو ١٤٣٠ ق.م.

* **كوريكلزو الأول** : وهو الملك ١٧ لسلالة بابل الثالثة ، ورث الحكم من أبيه (كادشمان هاربي الأول) ويعد أشهر ملوكهم وقد عاصر (أمنوفيس الثاني) فرعون مصر . كان من أكثر الملوك تحمساً للبناء ، لذا أمر بتشييد عاصمة جديدة له سماها باسمه (دور كوريكلزو) ، وتعرف أطلالها اليوم باسم (عقرقوف) ، والتي تقع بالقرب من مدينة بغداد ، ولكنه أبقى على بابل كعاصمة دينية للدولة لأهمية وضع بابل ولوجود أهم المعابد للآلهة الرئيسية للبابليين فيها. وقد تألفت

من قسمين، وأحيطت بسور وأبرز ما فيها زقورتها الشاهقة، القائمة حتى يومنا هذا، لعبادة الإله الأعظم (أنليل) .

نقبت في هذه المدينة مديرية الآثار العراقية وكشفت فيها عن معابد المدينة التي تحيط بالزقورة الشاهقة القائمة حتى يومنا هذا لعبادة الإله الأعظم انليل وأظهرت الحفريات قصور الملوك التي عثر فيها وفي محلات أخرى من المدينة على آثار كاشية كثيرة يشاهد الزائر بعضها في القاعة الخامسة من المتحف العراقي. كوريكالزو أيضاً أعاد بناء مدينة سوسة في عيلام ووضع عليها حاكم عيلامي تحت إشرافه خلف كوريكالزو في الحكم كادشمان إنليل الأول؛ الذي اهتم بالمعتقدات الدينية الكاشية والبابلية، وحقق الأمان والازدهار الاقتصادي، كما تابع توثيق العلاقات مع مصر، وصاهر الفرعون، ورفض التعاون مع حكام بلاد الشام ضد النفوذ المصري في بلادهم.

* **كَدَشْمان إنليل الأول** : (كدش مان انليل) ، الذي عاصر امنوفيس الثالث فرعون مصر في نحو عام . طوّر العلاقات الحسنة مع مصر أكثر؛ كما تبين مراسلات تل العمارنة، وبدأ يتدخل في شئون بلاد عيلام (جنوب غربي إيران) .

* **بورنا بورياش الثاني** : (برنابرش الثاني) ، الذي عاصر أخناتون فرعون مصر في نحو عام ، كان سياسياً بارعاً، حافظ على حسن العلاقات مع مصر، وشهد بدء انهيار مملكة ميتّاني واستقلال آشور عنها. تنبّه الملك الآشوري إلى استيائه، فحسّن علاقاته معه وصاهره.

* **كدشمان خربا الثاني** : الذي عاصر آشور اوبلط الأول في عهده دخل الحكم الكاشي مرحلة مختلفة، حيث قوي الآشوريون، وصاروا يتدخلون في شئونه، كما تجرأ العيلاميّون على مهاجمة المناطق الجنوبية الشرقية من بلاد بابل، ولم

تُجْدِ جهود الملوك الكاشيين اللاحقين لإعادة الهيبة الكاشية، ومما زاد الوضع سوءاً حدوث أزمة اقتصادية في أواسط القرن الثالث عشر قبل الميلاد أدت إلى اتساع نطاق الفقر وانتشار النهب وازدياد الهجرة.

* **أدد شُما أُصُر** : ثم دخل الآشوريون والعيلاميون في صراع حول السيادة على بلاد بابل بدلاً من الكاشيّين، وتنافسوا في تعيين بابليين موالين لهم على حكمها. ولكن تنامي الخلاف الديني بين أنصار الإله مردوك (البابلي) والإله آشور (الآشوري) دفع السكان إلى الترحيب بالحملات العيلامية، وتعاونوا معهم على اختيار أدد شُما أُصُر ملكاً على بلادهم، فحقق الهدوء، واستفاد من الصراع الآشوري الداخلي، وشنّ الحرب على آشور، وأوصل إلى حكمها آشورياً متحالفاً معه.

* **ملي شيباك** : ازدهرت بلاد بابل في عهد ملي شيباك، وحصلت إصلاحات إدارية وزراعية، وانتشرت ظاهرة تحديد ملكية الأراضي بوساطة الأحجار (كودورّو)، وبلغ التعايش (الكاشي – البابلي) أوجه.

* **زَبابا شُما إدّينا** : حكم زَبابا شُما إدّينا البلاد سنة واحدة ، قام الملك العيلامي شُتْرُك ناخونته فيها بغزو شامل للبلاد، واحتلها، ونهب إلى عاصمته سوسه أعمالاً فنية رسمية وتذكارية مهمة، مثل نصب النصر لنرام سين الأكدي ونصب قوانين حمورابي.

* **إنليل نادن أخي** : قاد إنليل نادن أخي المعارضة (الكاشية – البابلية) ضد الاحتلال العيلامي ، ولقي دعم الشعب وصمد. ولكن قوات الملك العيلامي الجديد كودور ناخونته سارت إلى بلاده بأعداد ضخمة، و«عصفت بالسكان كالطوفان»، وخرّبت بابل وأماكن العبادة، وأسرت الملك، وأنهت الحكم الكاشيَ.

فقد الكاشيون دورهم السياسي في بلاد بابل، وتفرّقوا. كما لم يتطور شأنهم في موطنهم الأم، وصاروا يؤلفون جزءاً من التركيب السكاني في مملكة مانّيا؛ جنوبي بحيرة أورميا، وظل ذكرهم يتردد في المدونات الآشورية حتى القرن السابع قبل الميلاد.

* نهاية الدولة :

وكانت في هذه الفترة مراسلات دبلوماسية بعث بها ملوك كاشيين لمصر، حول قضايا سياسية وتجارية تبادلوا فيها الهدايا والنساء . وقد وجدت هذه الرسائل بهيئة ألواح من الطين مكتوبة بالخط المسماري وباللغة البابلية ضمن مجموعة رسائل تل العمارنة في مصر ويقدر زمنها من القرن الرابع عشر قبل الميلاد. كما أن أخباراً أخرى وجدت مدونة على رقم الطين حول العلاقات الدولية بين الكاشيين والآشوريين وكانت حينذاك منازعات ومصادمات مستمرة بين الميتانيين والآشوريين والكاشيين حول رقعة الأرض في القسم الأوسط من العراق من الجبال الشرقية حتى الفرات الأعلى استمرت هذه المنازعات زمناً طويلاً إلى أن تفوقت المملكة الآشورية وتمكنت من ايقاف زحف الآراميين من الغرب وقضت على الميتانيين في الجنوب وحاربت الكشيين في بلاد بابل.

وفي أواخر العهد الكاشي بدأت القوة الآشورية بالتعاظم حيث هجم الملك الآشوري توكلتي ننورتا الأول (١٢٤٤ – ١٢٠٨) ق.م. على بابل في زمن الملك الكاشي كاشتلياش الرابع، ونصب بنفسه ملوكاً كاشيين تابعين له . ولكن وبعد ٧ سنوات استعاد البابليون استقلالهم . ولكنهم تعرضوا لهجوم عيلامي (إيراني) وهذه المرة قضى على السلالة الكاشية عام ١١٦٢ق.م. ونهبت مجدداً تماثيل الآلهة وبالذات الإله مردوخ وزوجته صربنتايم ولكن هذه المرة إلى سوسة

عاصمة العيلاميين وقام الملك العيلامي بتنصيب ولده سوترك ناختني حاكماً على بلاد بابل بالنيابة عنه. ومرة أخرى وأخيرة يسترد البابليون استقلالهم تحت إمرة أمير كشي يدعى انليل نادين أدة أي (انليل واهب الأخوة) ، وبقي لمدة ثلاث سنوات إلا أنه لم يصمد أمام هجوم عيلامي أخير دمر البلاد عام ١١٥٧ق.م. على يد الملك العيلامي شيلاك انشو شناك وهكذا انتهت السلالة البابلية الثالثة وإلى الأبد مع العلم أن عدد السلالات التي حكمت في بابل بلغ ١١ سلالة حاكمة .

وكان الكاشيون حينذاك ضعفاء يحكمون بابل والأطراف المجاورة لها فقط. وفي زمن انليل نادون أخي آخر الملوك الكاشيين وفي عام ١١٥٧ق.م ضعفت المملكة الكاشية كثيراً فهجم القائد العيلامي شوترك ناختني على بلاد بابل وفتح المدن وخربها وقضى على آخر ملوك الكاشيين فنقل العيلاميون من بابل والمدن الأخرى غنائم لاتحصى وأسلاباً كثيرة جداً من تماثيل الآلهة والمسلات وكنوز المعابد وكثير من هذه الغنائم عثرت عليه بعثة التنقيب الفرنسية التي كانت تشتغل في سوسا عاصمة العيلاميين في إيران عام ١٩٠٢ ومن جملة ما وجدت مسلة حمورابي الشهيرة ومسلة نرامسن ومئات من حجارات الحدود المنقوشة برموز الآلهة .

* الحضارة الكاشية :

بالرغم من تغلب الكاشيون على بابل لكن حضارتهم كانت أدنى كثيراً من حضارة بلاد الرافدين التي فرضوا سيطرتهم عليها ولكنهم كانوا على درجة من التبصر والحكمة مما جعلهم يتبنون الحضارة الرافدية بمصدريها (السومري-الاكدي). فعنوا كثيراً بالتراث الثقافي وتبنوا اللغة البابلية التي بقيت لغة الإدارة والدواوين واحتفظوا بالآلهة والطقوس والاحتفالات الدينية البابلية.

وقام الكتاب والنساخون بنقل أعمال الأجيال السابقة ونسخها واختاروا منها مجموعات ومصنفات أضحت منذ ذلك الوقت المرجع المعتمد عند دراسة الأدب البابلي. وتتألف هذه الأعمال من نصوص طقسية وتنبؤات وتعاويذ ومقالات في الطب وجداول معجمية اتخذت صيغاً مقننة ومعتمدة من هيئات الكتاب والكهان المتفرغين للنسخ والتصنيف والتأليف، وكأنهم كانوا يشكلون أولى الأكاديميات والمجامع اللغوية في التاريخ.

وإننا لنتلمس في الأوساط البابلية في تلك الفترة موقفاً وجدانياً يدل على انتماء فكري ثقافي في خضم الصدام البشري والسكاني والحضاري الذي كانت تعاني منه المنطقة آنذاك. وقد كانت الرغبة واضحة في العودة إلى الأصول ولكن كانت هناك بالوقت نفسه حركة تطور واضحة. فقد أعيد النظر تعديلاً وصياغة في أهم عملين من الأعمال الأدبية الميثولوجية أنتجتهما الحضارة الرافدية وهما : ملحمة الخلق، وملحمة جلجامش. واستطاعت اللغة البابلية تأدية دور أكبر بقيامها بدور الوسيط الثقافي والحضاري وانتقل كثير من مفرداتها إلى لغات الشعوب الأخرى.

* الدين :

كان للكاشيين آلهة خاصة عبدوها إلى جانب الآلهة البابلية الكبرى؛ ولاسيما (مردوك). ومن أبرزها: (خربه) رئيس المجمع الديني، (شوقامونا) إله الجبل والحرب وحامي الأسرة الحاكمة، وقرينته (شوماليا) (سيدة الجبال الطاهرة)، (ساخ) إله الشمس، (شيباك) إله القمر، (بورياش) إله الطقس.

حرص ملوكهم على إبعاد كهان المعابد عن شئون الدولة، وأرضوهم بالهبات. كما اهتمّوا بترميم المعابد أو بنائها، كما دلت على ذلك مكتشفات معابد أوروك وإيسن.

* الميدان السياسي :

جمع الكاشيّون بين مظاهرهم الحضارية الخاصة والمظاهر البابلية. فقد كان نظام الحكم لديهم ملكياً وراثياً، وحظي وجهاء القبائل وقادة الجيش والموظفون الكبار بأهمية خاصة؛ فقد حرصوا على المساواة بين الكاشيين والبابليين، واهتموا بالتقاليد القبلية، وتميزوا بدقة التنظيم الإداري.

* الميدان الاقتصادي – الاجتماعي :

الطابع العام للدولة البابلية في العصر الكاشي هو الطابع الاقطاعي. وهو طابع العصر آنذاك وكان واضحاً في الدولتين الحيثية والميتانية. والمهم هو أن التحول نحو هذا الاتجاه بدأت منذ عصر الأسرة البابلية الأولى فالانقطاعات الشخصية غير القابلة للتوريث أصلاً بدأت تتحول إلى اقطاعات موروثة ولكن بقي حملة الألقاب المستفيدون من النظام مسؤولين عن تنفيذ الالتزامات والخدمات المفروضة تجاه الملك. وكانت العلاقات الاجتماعية والمالية بين المستفيدين قوية ومغرية بالعمل لتكوين الثروات الكبيرة. وكان من الممكن الحصول على اعفاءات تزيد من تراكم الثروات. وبالتالي أن يحل المالك محل الدولة في التصرف وجمع الأرباح لحسابه. وهكذا ارتبط المزارع الصغير بسيد كبير وتكونت إلى جانب الدولة طبقة من الأغنياء الأقوياء المالكين؛ أخذت تنافس الدولة وتقاسمها على مواردها. والنتيجة هي تصاعد نفوذ أسرات كبيرة أرستقراطية أخذت تستمد قوتها من وضعها الإقتصادي الجديد.

وقد بلغ هذا التغيير أقصى درجة من الحدة في الوقت الذي اشتدت فيه وطأة الهجمات والغزوات الخارجية على المنطقة، وحين كانت السطلة المركزية القوية والقادرة ضرورية جداً. وهكذا حين اجتاحت المنطقة حركات الشعوب في شرقي البحر المتوسط وفي كل الشرق الأدنى القديم لم تكن بابل هي التي تلقت النتائج الأولى للغزو؛ فقد تلقت البلاد المجاورة أشد الضربات فانهارت الامبراطورية الحيثية واجتاحت شعوب البحر الساحل السوري – الفلسطيني ودلتا النيل وبرقة في ليبية بينما عم الانتشار الآرامي كل سورية وبلاد الرافدين.

وهكذا يتضح أن بلاد الرافدين التي كانت مركز الثقل السياسي قروناً طويلة في عصور أكد وأور الثالثة وحمورابي لم يكن بقدرتها أن تكون العامل المركزي المؤثر في سياسية المشرق العربي القديم بعد ظهور القوى الدولية الأخرى خلال النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد. ولقد بقي دورها ولا شك مرعياً إلا أنه حدث اختلال في التوازن بين دور بابل الدولي السابق ودورها الحضاري الذي بقي متفوقاً حتى العصر الهلنستي.

* الزراعة :

أضحت الملكية الزراعية معياراً للتصنيف الطبقي في عهدهم . فقد كان القصر الملكي يسيطر على حق الانتفاع بالأراضي الزراعية وتربية المواشي، وجباية الضرائب. وترتبط به ممارسة الحرف اليدوية اللازمة للجيش. أما التجارة فكانت تعتمد على المقايضة العينية. تميز الكاشيون بإبداع استخدام أنصاب حجرية (كودورّو) في تحديد الأملاك الزراعية، حيث كانت تنصب في أماكن محددة، وتدوّن عليها البيانات اللازمة، وتنحت مشاهد فنية تتضمن رموز الآلهة المعبودة الشاهدة على ما ورد في المدونات.

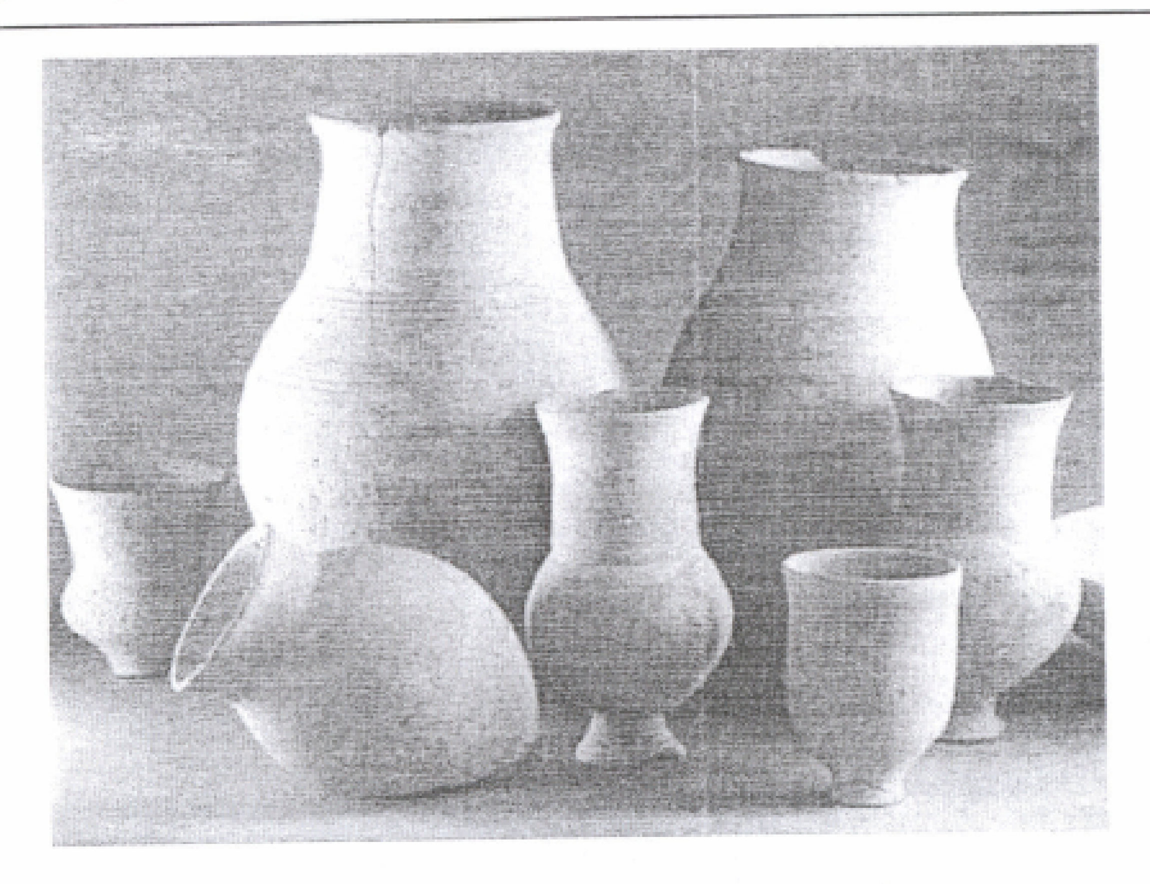
* اللغـة :

لم يعثر على نصوص كاملة باللغة الكاشية بَعْدُ. ولكن ثمة تصور عنها مستخلص من دراسة أسماء الأعلام والمصطلحات والتسميات الكاشية المذكورة في النصوص البابلية، ومن قواميس موجزة (كاشية – أكّديّة). ويتضح منها أنها لغة هندو آرية والصاقية. كتبوا غالباً باللغتين السومرية والأكّديّة (البابلية)، واستخدموا الخط المسماري المقطعي، وأظهروا اهتماماً بالغاً في تعلّمه وممارسته؛ ولذلك نشطت حركة التأليف وإعادة نسخ أقدم الأعمال الأدبية وتصنيفها، وتميّز كتّابهم بروح الإبداع والتجديد وبالأسلوب التعبيري الفني. وثمة أعمال أدبية مطولة ومهمة صيغت في عهدهم؛ مثل: أسطورة الخَلْق البابلية (إنوما إيليش)، قصيدة لأمجدنّ سيدَ الحكمة (لُدْلُل بِل نِمقي)، حوارية المعذب وصديقه حول العدل الإلهي، ابتهالات دينية وتعويذات.

* العلوم :

اهتم الكاشيون بالعلوم الرياضية والفلكية، ووصفوا النجوم وأبعادها ومجموعاتها، وعرضوا معلومات عن مواعيد ظهور القمر، وعلاقة الليل بالنهار. وثمة وثائق تبين اهتمامهم بالطب وأساليب العلاج، وتشير إلى وجود مراكز لذلك. كما تم في عهدهم رسم مخطط (جغرافي) لمدينة نيبور (نُفّر؛ شمال شرقي الديوانية في العراق اليوم) .

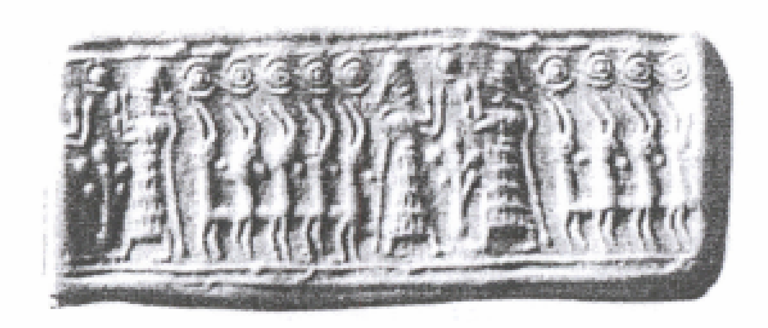
عموماً؛ يمكن القول: بأن بلاد بابل شهدت تطورات مهمة في أثناء سيادة الكاشيين عليها، وإن احتلالهم السياسي ترافق بحرص على التثاقف والتعايش السلمي، وأسفر عن حركة ثقافية وعلمية متميزة.



آواني فخارية كاشية عثر عليها في قرية المقشع









أختام أسطوانية وطريقة دمغها على الطين عن طريق دحرجتها



الحوريون

الحوريون (Churriter, Churri, Hurri) مجموعات بشرية توطنت من شمال الهلال الخصيب حتى بحيرة فان في شرق الأناضول خلال الألف الثاني قبل الميلاد، وقد قاموا بغزوات بتجاه سوريا والجنوب في عمق الهلال الخصيب ، وكذلك غزوا غرباً في عمق الأناضول .

تاريخ :

الاسم (حوري) يرد في سجلات نينوى، وكذلك في رسائل تل العمارنة (القرن الرابع عشر قبل الميلاد) برسالة من المللك الحوري شوتارنا الثاني (Shuttarna II) ملك ميتاني إلى الملك المصري امنحوتب الثالث (Amenophis III).

لعب الحوريون دوراً في نقل وتعميم الحضارة (السومرية – الأكادية) التي تأثروا بها في أرجاء المشرق، وذلك من خلال حروبهم التي استخدموا بها العربات الحربية التي تجرها الخيول في بدايات القرن الثامن عشر قبل الميلاد، مع جيرانهم الحيثيين في الغرب وفي وسط سوريا حيث جعلوا لهم مستقر في مدينة حاصور التي ستصبح أكبر مدن فلسطين بين القرنين الـ ١٣ والـ ١٥ ق.م.

في القرن الـ ١٦ ق.م. نشأت المملكة الميتانية في شمال الهلال الخصيب بين الفرات ودجلة، بعاصمتها (وشوكاني) والتي يرجح كونها تل الفخيرية شمال سوريا والتي شكل الحوريون في فترة إزدهارها على الأقل الطبقة الحاكمة.

* ميتاني :

ميتاني (مملكة ميتاني) كانت أهم مملكة حورية في شمال شرق سوريا وذلك بين القرن الخامس عشر قبل الميلاد وبدايات القرن الرابع عشر قبل الميلاد في شمال الهلال الخصيب عند منابع الخابور في المنطقة التي سماها الآشوريون (هانيلجابات Hanilgabat)، تلفظ أيضاً: هانيلكابات .

* الامتداد :

أقصى توسع لمملكة ميتاني الحورية :

بلغت رقعة المملكة الميتانية في أوج توسعها من مركزها في أعالي الجزيرة السورية آل نوزي (حالياً كركوك في العراق) شرقاً، شاملة شمال سوريا (كيليكيا) كلها، وصولاً إلى حلب غرباً، ومازالت آثار اميتانيين ماثلة في اللاذقية وحمص ، وكانت مركز المملكة عند منابع الخابور، حيث كانت إحدى عواصم المملكة (واشوكانو/ واشوكاني) التي تدل على أنها تل الفخيرية بالقرب من رأس العين في شمال شرق سوريا وتعني باللغة الكردية (الطاحونة والنبع) ويلاحظ أن امتداد هذه الرقعة في منطقة الجزيرة السورية وجنوب شرق تركيا وشمال شرق سوريا وشمال العراق تتجاوز إلى حد كبير منطقة كردستان الحالية، محيطة بالعاصمة واشوكاني.

* الفترة المبكرة :

منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد تشكلت في مناطق الجزيرة الفراتية ومحيطها إمارات صغيرة أخذت بالنمو تدرجياً، يذكر منها أوركيش؛ والتي ضمت إليها مواقع ومستوطنات أصغر؛ كانت قد نشأت في مناطق تواجد حوريي اللغة من زاجروس إلى منابع الخابور، إلا أن انتشار حوريي اللغة يمكن تتبعه حتى حوض

العاصي وفي شرق الهلال الخصيب حتى ماري وبابل حيث شكلوا نسبة من العمال والعبيد، أما في يمحاض (حلب) فقد أصبحوا من علية القوم، ومن النقش على تمثال إدريمي ملك ألالاخ ١٤٧٠ ق.م نقرأ لأول مرة عن مملكة (حورية – ميتانية)؛ التي يفترض بها قد نشأت في نهاية القرن السادس عشر قبل الميلاد وامتدت حتى شواطئ البحر الأبيض المتوسط في سوريا . بدايات المملكة الميتانية لازالت غامضة، وليس معروفاً كيف أزداد دور اللغة الهندوآرية فيها أكان ذلك عن طريق دخول مجموعات هندوآرية اللغة، أم أن الحوريين نفسهم تبنوا هذه اللغة، مع أن قلّة من الملوك كانوا يحملون أسماء حورية.

* فترة القوة :

يمكن الاستنتاج من أن حملة تحوتمس الأول (١٤٩٢– ١٥٠٤) ق.م على سوريا، على أنها بداية المواجهة بين مصر والمملكة الميتانية، حتى أنه نصب تذكاراً له غرب الفرات في الجزيرة السورية، وما تابعه تحتمس الثالث (١٤٧٩–١٤٢٥) ق.م من حملات. إلا أنه ليس واضحاً الدور الذي لعبته ميتاني في التحالف السوري الذي قاده مللك قادش في معركة مجدو ١٤٥٦ ق.م ضد الملك المصري تحتمس الثالث، لكن الواضح أن المواجهات المصرية الميتانية السورية القديمة كانت في العام ١٤٤٦ ق.م حيث تقابل الجيشان إلى الغرب من حلب . لم يكن سهلاً على الجيش المصري التحكم في كامل غرب وشمال الهلال الخصيب وإن كان قد وضع حاميات عسكرية في بعض المدن كما في جبيل، إلا أن ذلك لم يَحد من التمرد والعصيان من ثورة لبعض مدن الساحل الكنعاني، وكذلك شهدت هذه الفترة زيادة نفوذ ميتاني في كلمل شمال الهلال الخصيب، حتى أن أوغاريت كانت إحدى الدويلات التابعة لميتاني في بعض

الفترات، كما أن بعض الدويلات التابعة سابقاً للمملكة الحيثية أنضمت إلى ميتاني مع نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد. كما أن ميتاني كانت قد أخضعت آشور وعقدت تحالفات مع الدولة البابلية لاحقاً . بدأت العلاقات الميتانية المصرية بالتحسن، ويشهد على ذلك الزيجات المتبادلة بين الملوك والرسائل المتبادلة بين طيبة و (واشوكانو/ واشوكاني) في رسائل تل العمارنة، كما في رسالة من الملك الحوري (شوتارنا الثاني Shuttarna II) مللك ميتاني إلى الملك المصري (امنحوتب الثالث Amenophis III) .

ثم تلى ذلك صراعات على العرش بين أمراء المملكة أدى إلى فترة ضعف. لاحقاً قام الملك الآشوري آشور أوبليط الأول (١٣٦٣- ١٣٢٨) ق.م باستعادة الدور الآشوري في المنطقة مسبباً تشظّي المملكة الميتانية في وحدات صغيرة .

* ميتاني بين آشور وحاثي :

عقد الأمير (شاتيوازا Shattiwaza)، حكم أقليم هانيلجابات (١٣٣٥- ١٣٢٠) ق.م معاهدة تبعية مع ملك الحيثيين (شوبيلوليوما الأول Suppiluliuma I) وأصبحت المنطقة متنازع عليها من القوتين الآشورية والحيثية، وتزايدت الهجمات الآشورية علة المنطقة في عهد آداد نياري الأول (١٣٠٥- ١٢٧٥) ق.م حتى أنه بنى قصراً له في إحدى عواصم المنطقة، كما رحل مجموعات من السكان نحو مدينة آشور . أما من الجانب الحيثي فقد شاركت القوات الميتانية مع ضمن القوات الحيثية في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م وسط سوريا ضد القوات المصرية، وعادت المناوشات والسيطرة الآشورية على المنطقة، حتى زمن الملك الآشوري توكولتي نينورتا الأول (١٢٤٣- ١٢٠٧) ق.م

والذي بسط نفوذ المملكة الآشورية من بابل وحتى نياري (فان حالياً)، إلا أن المنطقة بقيت منطقة نزاع بين الآشوريين والحيثيين، حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وظهور الممالك الآرامية كقوة جديدة في المنطقة .

مظاهر الحياة :

* المجتمع :

انتشر الحوريون في المنطقة المشرقية عامة واندمجوا بسكان المنطقة دون أن يشكلوا جماعة مستقلة، مما يصعب عملية تتبع أثرهم، وأن يكن وجود أسماء حورية في الكثير من المواقع المنقبة يدل على وجودهم . كما تميز الحوريون باستخدمهم الخيول بكثافة، ومعرفتهم الواسعة في ترويضها .

لغة حورية :

لا تنتمي اللغة الحورية لا إلى السامية ولا إلى الهندوأوربية، وهي قريبة للغة أورارتو وإن يكن هناك بعض التشابه مع الأوجاريتية على الساحل السوري إلا أنها تصنف عادة مع مجموعة اللغات القوقازية الشمالية .

الشواهد اللغوية المعروفة في المملكة الميتانية هي بشكل أساسي الحورية والأكادية والأناضولية القديمة، كذلك بعض الكلمات والأسماء الهندوآرية مثل بعض أسماء الأشخاص واللواحق الاسمية وأسماء بعض الآله، وكانت المملكة الميتانية كبقية ممالك الشرق القديم عبارة عن خليط من مجموعات لغوية متعددة، وإن يكن بشكل أساسي من الحوريين والأموريين والآشوريين وواراميون ومجموعات هندوآرية والأكراد أحد أحفاد المتانيين بحسب بعض المؤرخين استناداً إلى اللغة الهندو الآرية .

* اقتصاد :

مكّنت طبيعة الأراضي الخصبة والهطولات المطريّة العالية سكان المنطقة من إنتاج زراعي جيد وكذلك تربية للأبقار الخراف والماعز، كذلك مارس السكان التجارة. وبالنظر إلى أن المعلومات المباشرة عن المملكة قليلة، فإن الاعتماد على المصادر المحيطة كأرشيف (نوزي) من مملكة عرفة والنصوص من (الالاخ) تمكن من تحديد المكانة الإقتصادية الجيدة للمملكة الميتانية.

الفصل الخامس

الحضارة الآشورية

الآشوريون هم قوم ساميون. استوطنوا القسم الشمالي من العراق منذ الألف الثالث قبل الميلاد، والآشوريون هم من الأكاديين الذين قطنوا المنطقة الشمالية من حوض نهر دجلة بعد الهجرة من منطقة بابل خلال العهد الأكادي. اختلط الآشوريون مع الشعوب الجبلية الحيثيين والحوريين واستعدبوا الآراميين (قبيلة الأخلامو والنبط) وقبائل العريبي أو الأعربي (قبائل قيدار وقيدم وجندبو وسبأ وثمودي) والكلدان.

وكان أمراءهم يتحينون الفرص للاستقلال بمدنهم عن حكم الدولة المسيطرة في جنوب العراق . وقد برزوا كقوة منافسة في الشرق القديم في بدايات الألف الأول قبل الميلاد؛ حين استطاع ملكهم أداد نيراري الثاني إخضاع الأقاليم المجاورة ، وتحالف مع بابل ، وبه بدأت الفتوحات الآشورية التي أسست صرح أعظم امبراطورية في تاريخ الشرق القديم . وبداية من زمن حكم هذا الملك أَرَّخْ الآشوريون أخبارهم بالطريقة المعروفة باسم (اللمو) ، وهي اعطاء تاريخ كل سنة يحكم فيها موظف كبير أو بداية من اعتلاء الملك العرش . ومن أشهر ملوكهم: آشور ناصربال الثاني : (٨٨٤–٨٥٨) ق. م. وسنحاريب : (٧٠٥–٦٨١) ق.م. وآشور بانيبال : (٦٦٩–٦٢٩) ق.م.

* آشــور :

آشور (Assyria, Ashur): أول دولة قامت في مدينة آشور في شمال بلاد ما بين النهرين، وتوسعت في الألف الثانية قبل الميلاد، وامتدت شمالاً لمدن نينوي، نمرود وخورسباد.

تعود تسمية مملكة آشور إلى اسم المدينة الدولة التي بدأت منها ما أصبح لاحقاً المملكة الآشورية والتي استمر وجودها ما يقارب الألف عام، من القرن السابع عشر قبل الميلاد وحتى اضمحلالها النهائي في العام ٦٠٨ ق.م، تقسم عادة إلى ثلاث أقسام القديمة والمتوسطة والحديثة. قد ينسب الآشوريين إلى اسم أول مركز حضاري كبير لهم (آشور). والذي تحول فيما بعد إلى عاصمة مهمة لدولتهم. وقد اطلق اسم آشور على الإله القومي للآشوريين أيضاً. فلا يعرف على وجه التأكيد أيهما كان أصل الآخر، اسم المدينة أو اسم الإله. ويرى غالبية المختصصين أن اسمهم مشتق من اسم معبودهم الإله (آشور). فمن الناحية الدينية فإن للإله آشور المكانة الأولى بين الآلهة، وقد حملت مدينة آشور اسمه بعد أن كان يشار إليها باسم (بال تِل). ولدى أستاذ التأريخ العراقي الدكتور طه باقر رأي حيث في كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة/الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين) يقول:"الاسم مأخوذ نسبة إلى آشور، و هي كلمة أطلقت على أقدم مراكز الآشوريين أي عاصمتهم المسماة (آشور) ويسمى بها أيضاً إلههم القومي (آشور) ولا يُعلم بوجه التأكيد أيهما أصل الآخر. على أنه يجوز الوجهان".

وكانت مملكة آشور دولة عسكرية تقوم على العبيد ، وكان لها إنجازات معمارية وكذلك في صنع التماثيل ولاسيما تماثيل الثيران المجنحة التي كانت تقام أمام القصر الملكي، كما زينت الجدران بنقوش المعارك ورحلات الصيد.

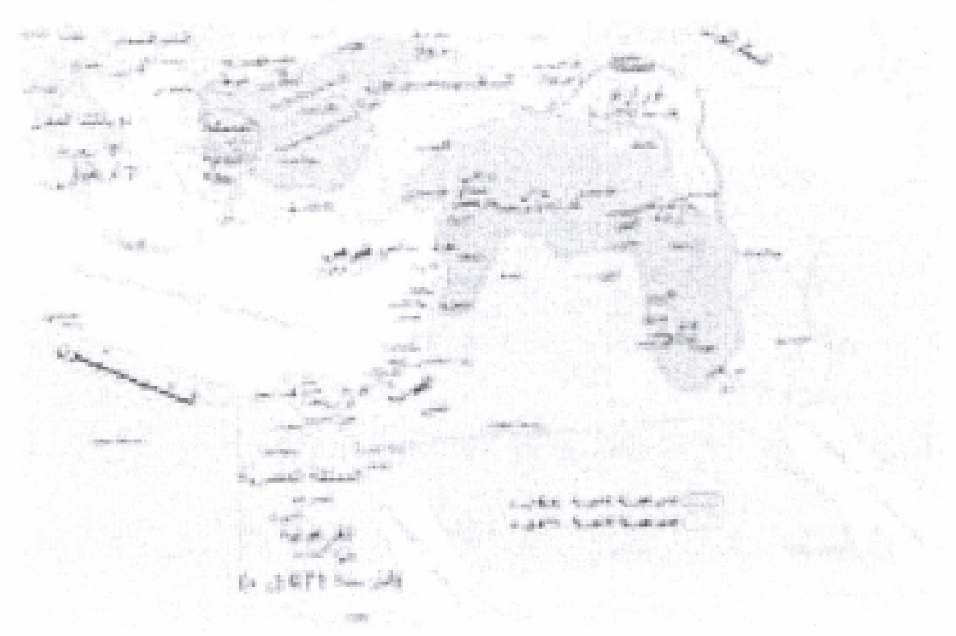
ولقد حكم الملك شمشي مدينة آشور عام ١٨١٣ ق.م. واستولي حمورابي ملك بابل على آشور عام ١٧٦٠ ق.م. إلا أن الملك الآشوري شلمنصر استولي على بابل وهزم الميتانيين عام ١٢٧٣ ق.م. ثم استولت آشور ثانية على بابل عام ١٢٤٠ ق.م. وفي عام ١٠٠٠ ق.م. استولي الآراميون على آشور، لكن الآشوريين استولوا على فينيقيا عام ٧٧٤ ق.م. وصور عام ٧٣٤ ق.م. والسامرة عام ٧٢١ ق.م. وأسر سارجون الثاني اليهود في أورشليم عام ٧٠١ ق.م. وفي عام ٦٨٦ ق.م. دمر الآشوريون مدينة بابل، وثار البابليون على حكم الآشوريين وهزموهم بمساعدة ميديا عام ٦١٢ ق.م. شن الآشوريون حملاتهم على باقي مناطق سوريا وتركيا وإيران.

وما بين سنتي ٨٨٣ ق.م. و٦١٢ ق.م. أقامت إمبراطورية من النيل للقوقاز، ومن ملوكها العظام: آشوربانيبال، تغلات فلاصر الثالث، سرجون الثاني، سنحاريب، آشورناصربال، واسرحادون (والد آشور بانيبال) الذي كان مهووساً بحب إذلال الملوك حيث كان يجبر الملوك التابعين له على المجيء إلى عاصمته والعمل في ظروف قاسية لبناء قصوره في نينوى، وآخر ملوك آشور المدعو آشور أوباليط الذي أقام مقر قيادة مؤقت في حران (الجزيرة الفراتية) بعد سقوط نينوى بيد البابليين بقيادة (نابو بولاصر الكلداني) محاولاً تأخير المذبحة الشاملة للشعب الآشوري.

وكانت كتابة الآشوريين الكتابة المسمارية؛ -(التي كانت تكتب علي ألواح الطين، وأشهر مخطوطاتها ملحمة جلجماش التي ورد بها الطوفان لأول مرة)-. وكانت علومهم مرتبطة بالزراعة ونظام العد الحسابي السومري الذي عرف بنظام الستينات وكان يعرفون أن الدائرة ٦٠ درجة، كما عرفوا الكسور والمربع والمكعب

والجذر التربيعي، وتقدموا في الفلك وحسبوا محيط خمسة كواكب، وكان لهم تقويمهم القمري وقسموا السنة لشهور والشهور لأيام، وكان اليوم عندهم ١٢ ساعة والساعة ٣٠ دقيقة. وكانت مكتبة الملك آشور بانيبال من أشهر المكتبات في العالم القديم حيث جمع كل الألواح بها من شتى مكتبات بلاده.

تواجد الآشوريين بشكل أساسي في مدينة آشور ومدينتي نينوى وأربيل، وقد كان النشاط الأهم للآشوريين هو التجارة حيث وصلت تجارتهم حتى كبودوكيا في غرب الأناضول وأسسوا هناك العديد من الموانئ (المستعمرات) التجارية .



الإمبراطورية الآشورية في أقصى اتساعاتها

* آشور (مدينة) :

آشور هي المدينة- الدولة التي أصبحت عاصمة المملكة الآشورية القديمة، اسمها القديم (بال تِل) وشكلت مع نينوى وأربيل المنطقة النواة للممالك الآشورية المتعاقبة. كانت تقع علي بعد ٦٠ ميل جنوب مدينة الموصل حالياً بشمال العراق على ضفاف نهر الدجلة. وسقطت المدينة عام ٦١٢ق.م تحت

ضربات البابليين والميديين. وكانت العاصمة للمملكة الآشورية في شمال وادي الرافدين سنة ٢٥٠٠ ق.م. إلا أن الملك آشور ناصربال الثاني قام بنقل العاصمة شمالاً إلى مدينة كالح (نمرود حالياً). بعدما سقطت الإمبراطورية الآشورية عام ٦١٢ق.م. ودمرت مدنها الكبيرة.

* نينوى :

نينوى مدينة آشورية قديمة أسسها (سين.أحي.إريبا) (٧٠٤-٦٨١) ق.م المسمى في التناخ سنحاريب، كانت تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة شرقي جنوب مدينة الموصل؛ وبنيت على شكل قلعتين على تَلَيّن طبيعيين؛ الشمالي يحمل اسم قونيج والجنوبي يسمى تل النبي يونس، يوجد فيها قصر لـ (آشور.أحي.يدّينا) (٦٨٠-٦٦٩) ق.م وكذلك قصر لـ (اشور.باني.أبلي) (آشوربانيبال) (٦٦٨-٦٣١) ق.م ومكتبته. ويوجد فيها معبد الإلهة عشتار التي كان الآشوريين يقدسوها كإلهة الحب والنار.

دمرت المدينة بالكامل بعد أن غزاها البابليون والميديون سنة ٦١٢ ق.م. غير أنها عمرت مجدداً واستمرت حتى إنشاء مدينة الموصل على الجهة الغربية من نهر دجلة فانتقل أهلها تدريجياً حتى هجروها بشكل كامل، ولا تزال أطلالها ماثلة شرقي الموصل.

* التاريخ :

كان ظهور الارتباط السياسي بالنسبة للآشوريين، قد وضح في الخضوع لسيطرة أسرة أور الثالثة، والتي ما إن بدأ سلطانها بالزوال، حتى تطلع الملك (بوزور آشور الأول) لإعلان الاستقلال والعمل على تأسيس الحكم الآشوري خلال العام

٢٠١٢ ق.م، ليبدأ التحرك نحو مناطق الحوض الجنوبي من وادي الرافدين.

والواقع أن الآموريين بدأوا في إعلان ولائهم للآشوريين من أجل التمكن من الاستقرار من منطقة مركز الحكم الآشوري، وبالتالي التمكن من النفاذ إلى قمة هرم السلطة والسيطرة على مؤسسة الحكم، وكان لهذه الحركة أثرها في توسع النفوذ الآشوري إلى سواحل البحر المتوسط في سوريا، إلا أن ظهور الملك حمورابي كان قد أوقف مرحلة التوسع الآشوري، بعد أن أخضعها تحت نفوذه.

بعد سقوط الدولة البابلية الأولى على يد الحيثيين، تمكن الآشوريين من استثمار الفرصة، لإعلان استقلالهم على يد الملك (شمش آدار الثاني) في العام ١٣٨٠ ق.م، الذي تميز عهده بالعمل الجاد والدؤوب على إعادة بناء وتوسيع الدولة الآشورية، إلا أن خلفاؤه لم يكونوا بمستوى طموحاته، هذا بالإضافة إلى حالة الخطر والتهديد الذي ظهر على يد الميتانيين من القبائل الحورية والممالك السورية خلال منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، حيث قيض لهم السيطرة على الدولة الآشورية حوالي مائة عام.

ساهمت العلاقات الدولية المحتدمة بين القوى الناهضة، في تغيير ملامح الصورة السياسية العامة، إذ لم تستقر الأوضاع بقدر ماكانت الطموحات هي الدافع الرئيسي في صدام القوى، وتوجيه التحالفات، فالميتانيون كانوا قد دخلوا في صراع سياسي وعسكري ضد الحيثيين، هذا بالإضافة إلى الانقسام الذي ظهر داخل البيت الميتاني الحاكم، ليتبلور الاتجاه لدى ملك آشور المدعو (آشور أوبلط الأول) في إعلان تحالفه مع أحد أطراف النزاع الداخلي.

إن النتائج التي تمكّن أن يحصل عليها الملك الآشوري؛ لاسيما في التخلص من النفوذ الميتاني والتمكن من اقتسام بلادهم؛ جعلته يتوجه نحو توطيد

أواصر علاقاته السياسية مع القوى السياسية الفاعلة، حيث أقدم على الزواج من ابنة الملك الكاشي الذي كان يفرض نفوذه على بابل . وقد حظيت مملكة آشور بملوك خلفوا (آشور أوبلط) وكانوا على مستوى المسؤولية وانتهجوا ذات الأسلوب الذي سار عليه ليثمر عن ذلك خلال القرن التاسع قبل الميلاد بلوغ مستوى الإمبراطورية الآشورية بكل قوتها ونفوذها السياسي.

من الملوك الآشوريين البارزين (شلمنصر الأول) الذي دام حكمه (١٢٦٦-١٢٤٣) ق.م، وتطلع إلى توجيه العديد من الحملات العسكرية وعمل على استبدال العاصمة (آشور) بمدينة (نمرود). أما العمل الأبرز فكان على يد الملك (توكلتي ننورتا) (١٢٤٣-١٢٢١) ق.م، الذي تمكن من السيطرة على بلاد بابل، وتوسيع سلطانه في الجهات الشرقية والغربية.

لكن بعد وفاة هذا الملك دخلت آشور في مرحلة الضعف السياسي، نتيجة لوصول ملوك ضعاف الشخصية، غير قادرين على إدارة مقاليد الحكم، واستمرت هذه الفترة حوالي مائة عام، حتى بلوغ الملك (تجلات بلاسر الأول) (١١١٦-١٠٩٠) ق.م إلى سدة الحكم، لتكون هذه الفترة مليئة بالإنجازات العسكرية الكبيرة، حيث تمكن من تحقيق الانتصارات المتوالية في الأصقاع البعيدة، في البحر الأسود وسواحل آسيا الصغرى والمدن الفينيقية على الساحل السوري، هذا بالإضافة إلى استعادة السيطرة على مملكة بابل، وإعادة نقل العاصمة إلى المدينة القديمة (آشور) والعمل على إعادة بنائها من جديد، وذلك بعد أن توفرت الأموال اللازمة التي كانت تأتي إلى العاصمة من مختلف الأقاليم التي تمت السيطرة عليها.

على الرغم من الجهود التي بذلها (تجلات بلاسر) في تدعيم الملك

الآشوري وبناء الدولة، إلا أن الخطر الآرامي مثّل تهديداً حقيقياً للآشوريين، لاسيما خلال القرن الحادي عشر قبل الميلاد. لكن القرن التاسع عشر قبل الميلاد، شهد نهوضاً آشورياً جديداً على يد الملك (آداد نيراري الثاني) (٩١٣ – ٨٩٠) ق.م، الذي عمل على مواجهة الخطر الآرامي من خلال إخضاعهم للسلطان الآشوري، وتطلع نحو محاربة بابل لتسفر عن توقيع معاهدة بين الطرفين، اعترفت فيها مملكة بابل بترسيم الحدود مع الجانب الآشوري.

أما المرحلة اللاحقة فقد تميزت في تحركات القبائل الجبلية في المناطق الشمالية من سوريا، وتطلعات الآراميين في المنطقة الغربية حتى جاء الملك (آشور ناصر بال الثاني) (٨٨٣ – ٨٥٩) ق.م، الذي وضع لمساته الخاصة في مجال التنظيمات العسكرية، حيث توسع في مجال استخدام العربات العسكرية والخيالة، مع العناية بالجانب الإداري، حيث كان للتوسع الكبير في الفتوحات، أثره في أهمية الاعتماد على ولاة يَنوبون عن الملك في إدارة الأقاليم، لاسيما البعيدة منها.

وكان الملك (شلمنصر الثالث) (٨٥٨ – ٨٢٤) ق.م، قد عمل على توسيع رقعة الحكم الآشوري، ليفرض الجزية على الممالك الواقعة في رأس الخليج العربي. هذا بالإضافة إلى الحملات التي وجهها نحو جنوب سوريا. ولعل الحادث الأكثر جسامة في تاريخ الملك شلمنصر، كان قد تمثل في الانتصار الذي حققه في معركة (قرقارة) ، عندما واجه التحالف الذي تم بين الآراميين ، خصوصاً بعد تعرض مدينة دمشق لهجوم شلمنصر، وعلى الرغم من تمكن الملك من مواجهة جيوش إثنتا عشر مملكة آرامية، إلا أنه لم يتمكن من دخول دمشق.

ومما فاقم في الأوضاع، ظهور حالة من التمرد الداخلي في الأسرة الحاكمة، حيث أعلن أحد أبناء الملك راية العصيان، مما كان له الأثر البالغ في

فقدان مملكة آشور لبعض الأقاليم (الآشورية-البابلية)، من خلال إقدام الملك (شمش آداد الخامس) (٨٢٤ - ٨١٠) ق.م، للزواج من الأميرة البابلية (سميراميس) التي صارت الوصية على عرش ولدها الصغير بعد وفاة والده الملك. والواقع أن مملكة آشور كانت قد وقعت تحت حكم بعض الملوك الضعاف الذين لم يتمكنوا من تقديم، أي إنجاز سياسي، حتى ظهور الملك (تجلات بلاسر الثالث) (٧٤٥ - ٧٢٧) ق.م.

مايميز عصر هذا الملك، الاتجاه الشديد والقاسي، نحو فرض العقوبات الصارمة بأعدائه، فقد تمكن من دخول مدينة دمشق عام ٧٣٢ ق.م، وعَمَدَ إلى نقل سكانها إلى خارج المدينة، من أجل القضاء على نفوذ الدولة الآرامية بدمشق، وكان هذا الأسلوب قد ابتدعه ليسير خلفاؤه من بعده عليه، من جانب آخر كان تركيز تجلات بلاسر على محاربة الميديين في بلاد فارس، فيما تمكن من احتلال مدينة بابل عام ٧٢٩ ق.م، وإعلان نفسه ملكاً عليها.

وكان من نتائج التوجه نحو الفتوح والحركات العسكرية المستمرة، أن توسعت رقعة الإمبراطورية الآشورية، لتشمل مناطق بعيدة أتاحت لخلفه الملك (شلمنصر الخامس) (٧٢٧ - ٧٢٢) ق.م، أن يحظى بمملكة واسعة الأرجاء، مُحكمة البنيان، تدخل خزانتها الأموال الواسعة الكبيرة، إلا أنه تعرض للانتفاضة الداخلية؛ لينتقل الحكم إلى أخيه الملك (سرجون الثاني) (٧٢٢ - ٧٠٥) ق.م، الذي واجه الأطماع المصرية في المنطقة بعد أن فقدت نفوذها في فلسطين، وأيضاً واجه محاولات دولة بابل في التخلص من السيطرة الآشورية المباشرة. فيما تميزت خطوات سرجون الثاني بالتؤدة والحكمة، حتى أنه صفح عن ألدِّ أعدائه، وعينهم في مناصب مهمة؛ مثل حكام إمارات؛ كل هذا من أجل حفظ الموازنات ، ليتمكن

بالتالي من الحصول على لقب ملك بابل.

من جانب آخر قيض لهذا الملك أن يتم له القضاء على مملكة السامرة عام ٧٢٢ ق.م، ويعمد إلى طرد أهلها واستبدالهم بسكان جدد، وبعدد أكبر مما كان، وعين عليها حاكماً آشورياً مع فرض الجزية. وفي الوقت ذاته برزت التدخلات المصرية في المنطقة الغربية، حيث عمدت إلى تقديم الدعم من أجل ظهور التمرد والثورات ضد النفوذ الآشوري. لكن سرجون الثاني لم تخمد همته، بل حرص بالإضافة إلى نشاطاته العكسرية إلى تأمين الطرق التجارية في سوريا عند الشمال الغربي وفي جزيرة العرب واليمن وحضرموت .

أما في الأقاليم الشمالية من سوريا فإن جهوده أثمرت عن مد سلطانه إلى طوروس وآرارات وعمد إلى احتلال قبرص، بل وحرص على فرض نفوذه في مناطق التخوم مع الجنوب (مع بلاد مصر ولاسيما وفلسطين). أما في المجال العمراني؛ فقد حرص على تطوير مدينة (آشور) العاصمة القديمة، لينتقل بعدها إلى مدينة (نمرود)، فانتقالة مرة أخرى إلى مدينة (نينوى)، لكنه حرص في العام ٧١٣ ق.م، على إنشاء مدينة جديدة (خرسباد) بعد أن أحاطها بسور حصين، تم بناء مائة وخمسون برجاً عليه، مع ثمان بوابات مرسوم عليها الثيران المجنحة لحراسة المدينة، وقد تم افتتاح المدينة عام ٧٠٦ ق.م، بعد أن خُطِطت بشكل دقيق وحاذق يثير الإعجاب، ليكون دلالة عميقة على التطور الفني والعمراني الذي بلغه الآشوريون، لاسيما وأن حالة الاتصال مع الثقافات الأخرى كان له الأثر البارز في هذا المجال. لكن المدينة سرعان ما أهملت، خصوصاً بعد أن خلفه الملك (سنحاريب) (٧٠٥ – ٦٨١) ق.م، وقد نقل العاصمة إلى نينوى.

مايميز عهد سنحاريب حالة التقارب والتحالف مع الفينيقيين واليونان،

الذين قدّموا له الدعم في إنشاء السفن التي استخدمها في محاربة الممالك البابلية الموجودة في أقصى الجنوب عند رأس الخليج العربي، لاسيما بابل وبعض الممالك السورية كانت قد وقفت بالضد من بلاد آشور في شرق سوريا والهلال الخصيب. أما الملك (أسرحدون) (٦٨٠ – ٦٦٩) ق.م الذي قيض له أن يقمع الفتنة التي ظهرت في أعقاب والده سنحاريب، فقد توجه بكل ثقله نحو محاربة مصر في شرق الدلتا عام ٦٧٥ ق.م ،م.

بوفاة الملك أسرحدون المفاجئة، تعرضت الأسرة الحاكمة إلى مشكلة وراثة الحكم، حيث تمكن الابن الثالث (آشور بانيبال) (٦٦٩ – ٦٢٦) ق.م، من السيطرة على الحكم في بلاد آشور، أما الابن الأكبر (شمش شوم أوكين) فقد عين وريثاً شرعياً للمملكة في بابل، وكان التعاون بين الأخوين قد استمر لمدة عشرين عاماً، لكن الأطراف المناوئة للنفوذ الآشوري حاولت التقرب إلى الملك شمش شوم؛ محرضينه على أهمية التمرد على أخيه الملك آشور بانيبال. وقد عملت عدة أطراف في هذا المجال منها الكلدانيون والعيلاميون والممالك السورية وأمراء القبائل العربية، ليسفر عن ذلك حصار لمدينة بابل عام ٦٥٢ ق.م؛ دام حوالي السنتين انتهى بوفاة الملك شمش شوم وتدمير مدينة بابل، ليتوجه آشور بانيبال بعدها إلى تأديب الحلفاء حيث هاجم العيلاميين، وعمد إلى تدمير مدينة سوسة.

وكعادة الآشوريين، فإن مشكلة ولاية العهد كانت الأكثر حضوراً في الواقع السياسي، حتى أن وفاة أي ملك منهم، تُمثل مرحلة قلاقل وصدامات بين الأمراء، إذ عادت الحروب بين الإخوان حول ولاية العهد والفوز بالمنصب الملكي، وقد استثمرها ملوك الأقاليم للانفصال عن الحكم الآشوري، حيث انفصلت فلسطين وسوريا وأرمينيا، وظهرت الأسرة الكلدانية في بابل، وبدأ الميديون بتهديد العاصمة

الآشورية. وقد بلغ الأمر قمته عندما تم التحالف بين الميديين والبابليين لاقتسام مملكة آشور وتدمير العاصمة نينوى ونهب كنوزها .

كان للطبيعة الحربية التي نشأ عليها الآشوريون انعكاسها في مجال الاعتقاد والعبادات الدينية، حيث يغلب على آلهتهم الصفة الحربية، وهذا ما يتجسد في كبير الآلهة لديهم وهو (آشور) إله الحرب، حيث يُجسَّد في رسم محارب قاسي الملامح يحمل العُدّة الحربية الكاملة والجاهزة. وفي المرتبة الثانية تأتي منزلة الإلهة (عشتار) زوجة (آشور)، حيث يتم رسمها وفق السمة الحربية، حيث تحمل السيف والقوس وتضع على كتفها السهام المعدة للقتال. والواقع أن عبادة الآشوريين لم تتوقف على هذين الإلهين، بل إن الاحتكاك مع الأقوام والثقافات المختلفة ومنهم الآراميين، جعلتهم يتوجهون نحو عبادة العديد من الآلهة مثل: (شمش، سن، آدد، نابو، بعل، مردوخ، إينورتا) .

* المملكة القديمة :

يمكن تتبع وجود الآشوريين في منطقة دجلة الوسطى منذ الألف الثاني قبل الميلاد من خلال توسعات شمشي آدد (١٧٤٥-١٧١٢) ق.م الذي ينتمي لأسرة أمورية. فقد سيطرت مدينة آشور على منطقة شمال بابل إثر تراجع السيطرة (السومرية – الأكادية)، وكان شمشي آدد قد بدأ حكمه في مدينة (شباط إنليل – تل ليلان في سوريا حالياً – ولقب نفسه (ملك الكل) وبذلك بدأت فترة النفوذ الآشوري القديمة في منطقة الهلال الخصيب والتي استمرت من ١٨٠٠ حتى ١٣٧٥ ق.م. إلا أن الجزء الأكبر من بلاد ما بين النهرين بقي في هذه الفترة تحت سيطرت مدينة بابل، ووسع الآشوريين في هذه الفترة نشاطهم التجاري وأنشأوا شبكة تجارية واسعة والعديد من المناطق التجارية (المستعمرات) في

الأناضول للتجارة بالمعادن، تلا ذلك فترة تنازع على النفوذ في سوريا مع الحوريين – الذين أسسوا مملكة ميتاني – والحيثيين، وقد تمكن الملك شلمنصر الأول في ١٤٠٠ ق.م من إخضاع ميتاني التي تعرضت للضغط الحيثي من الشمال ثم عادت المملكة لتخضع ميتاني بعد الضعف الذي أصابها نتيجة الهجوم الحيثي ١٤٥٠ ق.م

* المملكة المتوسطة :

تمكن آريبي آداد (١٣٩٢– ١٣٦٦) ق.م من تخليص آشور من السيطرة الميتانية، إلا أنه كان على أشور خوض المزيد من المعارك مع (Hanigalbat) الموقع الذي أسسه الحيثيين، وذلك للسيطرة على المنطقة .

*تمهيد الطريق :

بقيادة آشور أوبليط الأول (١٣٦٣– ١٣٢٨) ق.م بسطت أشور نفوذها على جنوب بلاد الرافدين، ولتدعيم علاقته مع بابل، زوج ابنته لملكها، إلا أن قتل حفيده في إحدى العصيانات في بابل دفعه لدخولها وتعيين حاكم جديد فيها .

* ذروة النفوذ الأولى :

بعد النصر الذي حققه توكولتي نينورتا (١٢٤٤– ١٢٠٧) ق.م على الحيثيين والبابليين، نال لقب (ملك الكل) وتجدر الإشارة أن في عهده تظهر أول إشارة لعملية التوطين والنفي، والتي طُبقت في الدولة الآشورية الحديثة بشكل واسع، إلا أنه نتيجة للخلافات الداخلية في الأسرة الحاكمة خسرت الدولة الآشورية بابل، ليعاود بعد ذلك الملك آشور ريشايشي (١١٣٢– ١١١٥) ق.م سياسة التوسعات ممهداً الطريق أمام ابنه .

*التوسع إلى البحر الأبيض المتوسط :

تابع الملك تغلات بلاصر الأول (١١١٤- ١٠٧٦) ق.م سياسة أبيه التوسعية وقد استخدم الجيش في عهده الأسلحة الحديدية لأول مرة، وقد مكنه ضعف الكاشيون المسيطرون على بابل حينها من إعادتها السيطرة الآشورية، وتقدم في الشمال والغرب بسهولة- كون الدولة الحيثية لم يعد لها وجود – ليصل سواحل المتوسط ويصف في إحدى النصب رحلة بحرية له يصطاد فيها حيوان بحري (ربما دلفين)، إلا أن من لحقه من الحكام لم يستطيعوا المحافظة على المملكة الواسعة النفوذ، كما كان لتزايد وجود ونفوذ الآراميين في شمال الهلال الخصيب دوراً في انحسار النفوذ الآشوري في المنطقة .

* المملكة الحديثة :

ساهم الملوك الذين حكموا مباشرة قبل آشور ناصربال الثاني (٨٨٣- ٨٥٩) ق.م في إحكام النفوذ الآشوري على شرق الهلال الخصيب، إلا أن آشور ناصربال الثاني كان قد وضع نصب عينيه الطرق الموصلة إلى البحر الأبيض المتوسط والتي كانت ضمن الدولة الآشورية زمن تغلات بلاصر الأول، وهذا ما دفعه لتقنية إنشاء الحصون في المناطق المسيطر عليها خلال مسيرته نحو إخماد العصيانات التي كانت تَحْدُث في المنطقة البعيدة عن مركز المملكة، أما ابنه شلمنصر الثالث (٨٥٨- ٨٢٤) ق.م فقد وسع حدود الدولة وخاض معارك عدة في الجناح الغربي للهلال الخصيب أشهرها معركة قرقارة شمال مدينة حماة ، والتي واجه بها تحالف من الممالك (الآرامية – الكنعانية) التي أخرت السيطرة الآشورية على غرب الهلال الخصيب إلى حين، وفي إحدى النصوص التذكارية لمعاركه يقول: "لقد هزمت هدد عدر ملك إميريشو مع اثني عشر أمير من حلفائه،

وجندلت ٢٩٠٠٠ من محاربيه الأقوياء، ودفعت بمن تبقى من قواته إلى نهر العاصي، فتفرقوا في كل اتجاه يطلبون أرواحهم، هدد عدر انتهى واغتصب العرش مكانه حزئيل ابن لا أحد، فدعا الجيوش الكثيرة في وجهي، فقاتلته وهزمته وغنمت كل مراكبه، أما هو فقد هرب طالباً حياته، فتعقبته إلى دمشق مقره الملكي، حيث قطعت أشجار بساتينه ". أيضاً واجه شلمنصر الثالث تحد جديد من قبل مملكة أورارتو في جبال الأنضول الشرقية.

*الأزمات الداخلية :

لم يكن من الممكن للحكام اللاحقين بعد شلمنصر الثالث الحفاظ على مناطق نفوذ الدولة وذلك للأزمات الداخلية التي حاقت بالمملكة بدءاً من عهد شلمنصر الثالث نفسه ولمدة ٨٠ عاماً تليه، وزاد في الصعوبات، المواجهات المستمرة مع مملكة أوراراتو التي استعصت على الجيش الآشوري لطبيعة الجبلية القاسية فيها والمعارك التي خاضها ابنه (هدد نيراري الثالث) في إعادة النفوذ كانت التمهيد للمرحلة القادمة.

*إصلاح الأقاليم :

عندما أعتلا تجلات بلاصر الثالث (٧٤٥- ٧٢٧) ق.م العرش كادت تفتك بالدولة الآشورية أخطار العصيانات والتمردات وكذلك الخطر القادم من الشمال عبر (أورارتو) لم يتضح حتى اليوم كيف وصل تغلات بيلاصر الثالث إلى الحكم، وهناك اعتقاد أن استلامه للحكم كان عن طريق تمرد عسكري قام به، يرجحه عدم انتمائه للأسرة الحاكمة، ويخمّن بعض الباحثين أن يكون هو أحد ولاة المقاطعات الآشورية الكبيرة الذين نما سلطانهم وأصبحت مناصبهم وراثية. وما أن استلم الحكم حتى ضاعف عدد الولايات كخطوة للحد من قوة حكام الولايات

بتصغير ولاياتهم وبالتالي منعهم من المنافسة على عرش الإمبراطورية.

* الطريق نحو الإمبراطورية :

كان الهم الأول لتجلات بيلاصر الثالث الحفاظ على الجزء الغربي من الهلال الخصيب المنفذ البحري الأهم للدولة الآشورية وكذلك الحفاظ على المراكز التجارية في هذا الجزء، وقد تمكن من ذلك عبر سلسلة من المعارك أهمها المعركة التي أنهى بها القوة الأكبر في المنطقة؛ مملكة دمشق عام ٧٣٣ ق.م، وتوجه بعدها لترسيخ الحكم في الدولة الممتدة من الخليج العربي حتى سيناء، كما كانت عليه سابقاً في زمن آشور ناصربال وشلمنصر الثالث قبل ذلك بحدود المائة عام والتي لم يُحافظ عليها، وهذا ما أراد تجلات بلاصر الثالث عدم تكراره. فقام بتقسيم الدولة إلى مقاطعات – إدارات تحكم من قبل ولاة يعينهم بنفسه –، وعمل على تطبيق سياسة الترحيل الإجباري (النفي والتوطين) لمجموعات كبيرة طالت المئات من المدن والقرى في المنطقة بما في ذلك الآشوريين أنفسهم الذين وطِّنوا بالآلاف أحياناً في المناطق الحدودية والأقاليم الزراعية البعيدة، أو المدن التي تم ترحيل سكانها إلى العاصمة الآشورية والمدن المحيطة بها، وحسب النصوص يمكن الحديث عن نقل ١٠٠٠٠٠ إنسان فقط في زمن تجلات بيلاصر الثالث، مما سهل عملية السيطرة على أرجاء الدولة، بقطع الروابط (الدموية – العشائرية) بين المهجّرين وجماعاتهم السابقة وجعلهم معتمدين بأماكنهم الجديدة على الدولة في تدبير أمورهم مما ساهم في عملية مزج للبشر في المنطقة وساهم أيضاً في إضعاف اللهجات– اللغات المحلية لتحل محلها لغة جامعة.

بالإضافة لذلك كله كانت عقوبات تجلات بلاصر الثالث للجماعات المتمردة على الدولة تصل درجة الوحشية وهي مسجلة في حولياته بتفاصيل لتكون

عبرة لمن يراها، كما قام تجلات بيلاصر الثالث بتتويج نفسه في بابل بعد قلاقل حدثت هناك، وبذلك يتوحد التاج الملكي لبابل وآشور لأول مرة في التاريخ وبعد موته عام ٧٢٧ ق.م ترك لابنه (شلمنصر الخامس) دولة قوية حسنة التنظيم .

*ذروة القوة :

لم يقدر شلمنصر الخامس على الحكم طويلاً ففي العام ٧٢٢ ق.م يعتلي سرجون الثاني ٧٢٢- ٧٠٥ ق.م العرش إثر تمرد قادهُ ؛ المعلومات عنه قليلة ويقول الكثير من الباحثين بأنه ليس أحد ورثة العرش من السلالة الملكية، وأحد الدلائل هو عدم ذكر سلفه أبداً في حولياته، وبعد أن استقر له الأمر توجه لضبط الأوضاع حيث جنحت بعض مدن المملكة لتمرد وذلك قبل توليه الحكم. توجه أولاً نحو بابل حيث كان الأمير مردوخ آبلا عدياني قد نصب نفسه على العرش ولم يتمكن من هزيمته فعقد معه اتفاقاً وتوجه غرباً ليضم قبرص وآسيا الصغرى ويعقد مع (الفريجين) هدنة، ثم أن الوقت كان قد حان لتوجيه ضربة لـ (أورارتو) تُنهي التهديد الذي مارسته على آشور، وتم له ذلك في العام ٧١٤ ق.م وكانت نهاية هذا التهديد فرصة لإعادة ترتيب البيت الداخلي فتوجه سرجون الثاني مجدداً إلى بابل في العام ٧١٠ ق.م ، وما كان من ملكها إلا أن فرّ جنوباً .

هذا وكان سرجون الثاني قد أمر في العام ٧١٧ ق.م ببناء مقر جديد للحكم باسم (دور شروكين = قلعة سرجون) بالقرب من خورسيباد الحالية وانتهى العمل بالبناء عام ٧٠٦ ق.م وأسكن فيها مجموعات من المرحلين كما يشير نصه: " أخذت غنائم بأمر الإله آشور سيدي أقوام من الجهات الأربعة، بألسنة غريبة ولغات مختلفة، كانت تسكن في الجبال والسهول [...] جعلت غايتهم واحدة، وجعلتهم يسكنون هناك في (دور شروكين)، وأرسلت مواطنين من بلاد آشور، مهرة

في كل شيء مراقبين ومشرفين لإرشادهم على العادات ولخدمة الآلهة والملك ".

إلا أن هذا المقر لم يستخدم كمقر للحكم بسبب موت سرجون الثاني بعد سنة من هذا التاريخ في أحد المعارك، بعد وفاته تولى العرش ابنه سنحاريب (٧٠٤-٦٨١) ق.م ، ونقل العاصمة إلى نينوى، حيث أمر بتحسينها وبناء قصور ومعابد وأقنية فيها، وخاض معارك عديدة في سبيل المحافظة على الدولة فأخمد العصيان البابلي عام ٧٠١ ق.م وتوجه غرباً ليخضع من تَمَرد من مدن غرب الهلال الخصيب، وأخيراً اصطدم بقوات الملك المصري (طهارقة) ولم يستطيع هزيمتها، فقفل عائداً بعد نشوب تمرد جديد في بابل والذي أنهاه سنحاريب في العام ٦٨٩ق.م مسبباً دماراً كبيراً في المدينة وما حولها.

بعد موت سنحاريب تولى ابنه الأصغر آسرحدون (٦٨١- ٦٦٩) ق.م وأولى أعماله كانت إعادة بناء بابل وإعادة المهجرين منها، كذلك وطد علاقاته مع الميديين في الشمال الشرقي، وقد أخمد تمرد صيدا التي ثارت في عهده، كما وطَدَ علاقاته مع التجار العرب في أعالي شبه الجزيرة العربية حفاظاً على خطوط القوافل التجارية من جنوب العربة حتى مصر عبر سيناء توجه في العام ٦٧٥ ق.م إلى مصر عابراً سيناء بمشقة وبعد معارك عديدة حتى ٦٧١ ق.م هزم الجيش المصري بقيادة ترقا ودخل منفيس العاصمة، ونصَّب نفسه ملكاً على مصر السفلى والعليا وعلى أثيوبيا، إلا أن هذا الوضع لم يدم طويلاً . كان أسرحدون قد وصى بأن يحكم ابنه شمش شم اوكن بابل وابنه آشور بانيبال نينوى، وهذا ما حدث بالفعل بعد وفاته بالعام ٦٦٩ ق.م.

بقيادة آشور بانيبال (٦٦٩- ٦٢٧) ق.م بلغت الدولة الآشورية أقصى امتداد لها في تاريخها، فإضافةً إلى الهلال الخصيب شملت مصر بإخضاعه

عاصمتها طيبة، وإيران بإخضاعه عاصمتها سوسا، كما ازدهرت المملكة ليس فقط سياسياً وإنما أيضاً اقتصادياً وثقافياً، والأرشيف الضخم الذي جمع في عصره يعتبر من أكبر مكتبات العالم القديم، عقب موته توالت سنوات ليست جيدة التوثيق .

*الاضمحلال :

في العام ٦١٦ ق.م زحف (نابو بلاصر) (٦٢٥- ٦٠٦) ق.م حاكم بابل ومؤسس الدولة البابلية الحديثة بمعونة الميديين واخضع أشور عام ٦١٤ ق.م في عهد الابن الثاني لـ (آشور بانيبال) الملك (سين شار اوشكن)، وبعد معارك أخرى أخضع نينوى في العام ٦١٢ ق.م وبذلك كانت نهاية الوجود السياسي الآشوري. ويمكن القول هنا أن التوسع الذي حققته الدولة الأشورية كان سبباً من أهم الأسباب التي أدت إلى نهايتها.

* الاقتصاد :

* المرحلة القديمة :

كانت العملات المستعملة في آشور هي العملات المصنوعة من الفضة، وأما في الأناضول فكانت العملات من القصدير، وكان ممنوعاً بتاتاً تصدير الذهب من آشور، واستورِد النحاس والفضة والذهب من الأناضول حيث انتشرت شبكة الكاروم (المستوطنات التجارية)، والتي عُرف منها كانيش (كول تبه Kültepe في تركيا حالياً)، والقصدير الذي تم الاتجار به في آشور وصُدر للأناضول كان مصدره من الشرق؛ من المحتمل من أوزبكستان.

كانت صناعة النسيج هامة في آشور، إلا أنه استوردت بعض المنسوجات مرهفة الصنع من بابل، وبينما كانت مراكز صناعة النسيج الأساسية المتواجدة في

أور ولارسا وماري تخضع لراقبة المعبد أو القصر؛ لم تخضع صناعة النسيج في آشور لرقابة مركزية؛ فأحياناً اشتغلت نساء التجار بصنعة الصوف ومشتقاته الخاصة المعدة للتصدير، كما تم استيراد الصوف من الأناضول أحياناً عندما كانت ترتفع أسعاره في آشور أو يقل.

* المرحلة الوسطى :

لم تعد الفضة مادة دفع القيمة كما كان عليه الحال في الدولة القديمة، والسبب لذلك هو قلة الفضة على الأرجح، فقد حل معدن الـ (ان– ان) محل الفضة، وحول ترجمة هذا المصطلح وتحديد نوع هذه المعدن يسود خلاف في الآراء، فإما أنه القصدير أو الرصاص أو الذهب على شكل سبائك حلزونية جُلب منبابل وإيمار

* تجـــارة :

صدرت آشور المنسوجات بشكل أساسي أيضاً في الدولة الوسطى، أما التجارة البعيدة التي يرد عليها شهادات مكتوبة فقد انحصرت (بالطبقة العلية)، واشتغلت بمواد الرفاهية ولم تلعب دوراً هاماً في الاقتصاد؛ إلا أن تجار التجارة البعيدة لم ينحصر عملهم بتأمين مواد الرفاهية إنما لعبوا دور الممثلين الدبلوماسيين أيضاً. كانت التجارة في اتجاه الغرب تتم من خلال كركميش وإيمار بشكل أساسي، وأيضاً هناك بعض الدلائل المتفرقة عن تجارة النبيذ مع أوغاريت على ما يبدو، بينما التجارة مع مصر القديمة فلعبت فيها صيدون الدور الهام.

* الزراعة وتربية الحيوان :

توصف آشور الوسطى بالمجتمع الزراعي، فالزراعة شكلت عامل الاكتفاء

الذاتي أساساً، وفائض الإنتاج صب في تمويل المعبد وحاشية الملك وال
ويمكن تمييزها بين ثلاث أنواع من المُلكية :

- أراضي يملكها التاج.
- أملاك خاصة.
- أراضي التاج التي يستثمرها بعض الأشخاص.

كان بالإمكان بيع الأرض كما تدلل على ذلك المجموعة الكبيرة من الوثائق القانونية، ولكن من غير المؤكد إن سرى ذلك على كل أنواع الأراضي وثق الشراء كتابياً (طوبا داناتا ṭuppa dannata). كانت تربية الحيوانات وأهمها الضأن، كما ورّدت الماشية من البادية كما كان يفعل الـ (سوتي) استيراد الخيول من المناطق المرتفعة. أما النباتات الزيتية فتمت زراعة السمسم كما أنه منذ زمن الدولة الوسطى كان يتم استيراد زيت الزيتون، وكانت البيرة من المشروبات الهامة، ويفترض أن النبيذ استورد من سوريا (من كركميش وأوغاريت) وكان حكراً على «عليّة القوم» ومنذ القرن ١٣ ق.م صنع النبيذ في حوض الخابور أيضاً، والعسل استورد أيضاً، أما في آشور نفسها فقد صُنع نوع من العصير الحلو المكثف يسمى (لال).

* مواد البناء :

شكّل الآجر مادة البناء الرئيسية، وجُلب الخشب لاستخدامه في سقوف الأبنية الضخمة من قصور ومعابد، وهناك أدلة على ذلك منذ زمن (توكولتي. ابيل. إشارا) الأول، حيث جلبت أخشاب الأرز من الأمانوس ولبنان، إما على شكل غنيمة حرب أو نوع من جزية على المناطق الخاضعة، وجلبت أخشاب الجوشورو من (مخري) وهي موقع يرجح وجوده بين دجلة والزاب الأعلى لاستخدامها في

بناء قصر (توكولتي.نينورتا) الأول ، أما الجص والأحجار الكلسية فقد وجدت في آشور نفسها، بينما استورد البازلت والألبستر.

* حِــــرف :

بقي استعمال الأدوات الصوانية كما كان سابقاً في الاستعمالات المنزلية، وفي صناعة النسيج فكان لاشتغال الصوف الأولوية؛ هذا مما يشير له العدد الكبير من الكلمات الآشورية (مصطلحات) التي خُصصت لأنواع المنسوجات والملابس، كما استوردت ملابس من الكتان من كركميش.

سُبك البرونز في آشور نفسها على شكل سبائك (شابارتو) للتصدير، فالنحاس جُلب من الأناضول أو قبرص، والقصدير ربما من شمال سوريا أو حاتي، وقد وجدت بعض السبائك البرونزية الآشورية المعروفة بـ (سبائك جلد الثور) في (دور– كوريجالزو) (عقرقوف). كما جُلب خشب الأبانوس من النوبة واستخدم في صناعة الصناديق الثمينة، وكذلك العاج المجلوب من سوريا، وجُلب أيضاً اللازورد من البابلية التي جلبته بدورها إما من بدخشان في أفغانستان أو من طاجيكستان، ولقد استخدم أيضاً كهداية ثمينة بين الملوك، كما في حالة الهدية لملك مصر (الرسالة EA15 من قائمة رسائل تل العمارنة). وعادة ما يشغل القصر مجموعة من الحرفين، الذين يتسلمون المواد الأولية من مخازن القصر.

* الإمبراطورية الحديثة :

قُسّم الحرفيين إلى طبقات في الدولة الآشورية الحديثة، وكان معلموا المهن يسمون (ومَنو umānu)، كما أشرف على العاملين في القصر أحد الموظفين الكبار.

* هيكلية الدولة :

١- هيكلية الدولة القديمة :

كان بيت (إليم/بيت ليمين bīt ālim/bīt līmin) هو المركز الإداري الأعلى مرتبة في مدينة آشور بعد الملك وحاشيته، والذي يشبه مجلس المدينة، كما كان (بيت إليم) مسؤولاً عن التجارة وترأسه الليمو (الموظف الكبير)، وقد أقر قوانين تجارية وقوانين ناظمة للعلاقة مع الكاروم (المستوطنة التجارية)، ويبدو أن كان له الحق في التدخل فيما يخص العلاقات مع الدول الأخرى، وجبا ضريبة على البضائع المصدرة من آشور والتي توجب ختمها بـ خاتم المدينة.

كما حاز الليمو على منصب هام في القضاء، وكان أميناً على اقرار الضريبة، فمبعوث المدينة مسؤول على مراقبة تجارة الكاروم (المستوطنة التجارية).

٢- المرحلة الوسطى :

يعتبر بعض المؤرخين أن نظام الدولة الآشورية الوسطى كان نظاماً اقطاعياً، بينما يعتبره أخرون نظام استبدادي يسيطر فيه الملك على الفلاحين من خلال جهاز بيروقراطي قوي، ويستولي على إنتاجهم الزائد. وتتشكل عليّة القوم من أفراد الأسرة الحاكمة، وكبار الموظفين والمُلّاك من آشور، بينما لم يعتبر التجار – على عكس الدولة القديمة – من عليّة القوم. ومن المرجح أن غالبية سكان الدولة عاشوا في قرى مكتفية بذاتها (إلو/ālu على سبيل المثال)، وكانوا على الأقل جزئياً مُلزَمين بدفع ضرائب لأحد كبار المُلّاك، ويرى (بوستجات Postgate) أن الكلمة الآشورية (إليو ālāiu) تنسحب على هؤلاء الفلاحين غير الأحرار، وحسب بوستجات فإن كل الأرض ملك للتاج، وعلى الفلاحين مقابل استثمارها تنفذ أعمال

خدمة (سخرة/يلكو ilku)، وكبار المُلاك كان بإمكانهم اختيار من يقوم بأعمال السخرة (يلكو) عنهم، وممكن أن تكون الـ (يلكو) مواد عينية تقدم للجيش (خورِدو)، فاللوح المسماري (TR 3005) يُبيّن تقديم حبوب وصوف ودهن الخنزير، ويبين اللوح (KAJ 253) تقديم خدمة العناية بخيول العربات الحربية كـ (يلكو)، أما الشكل الأعم لـ (يلكو) فكان الخدمة في الجيش.

كان الرق موجوداً، لكن نادراً ما ذُكرت أصول الرقيق بل ذكر البعض منها فقط مثل (اللولوبي Lulubi)، وبتكليف من الملك كانت تشترى حرية الآشوريين المسترزقين نتيجة أسرهم في الحروب، وإن وجد أحد الآشوريين في أسر العدو لأكثر من سنتين تعتبر زوجته أرملة ويحق لها الزواج مجدداً، وقبل انتهاء فترة السنتين كان بالإمكان بيع بيته وأرضه للإنفاق على حياة زوجته في حال لم يكن لها أقارب يعيلوها، وإن عاد الأسير بعد هذه المدة كان له الحق باسترداد زوجته، لكن لا حق له بالأولاد من الزوج الآخر، كما له حق بشراء بيته مجدداً.

* اللغـــة :

اللغة الآشورية هي لهجة من اللغة الأكادية كما اللغة البابلية، تكلم وكتب الآشوريون كما البابليون باللغة الأكدية، وبداية من عهد (شارّوم.كين الثاني) ولاحقاً الدولة البابلية الحديثة أصبحت الآرامية تنافس الأكدية، لكن مع ذلك بقيت اللغة الأكادية في الدولة الآشورية الحديثة هي لغة توثيق الكتابات الرسمية وذلك بكتابتها على الرُقم الطينية بالخط المسماري . وقد اشتهر الآشوريين بإنجازاتهم الحضارية وامتداداتهم التوسعية، أما من الناحية الثقافية بشكل عام فهي كما الأكادية متداخلة مع ثقافة الهلال الخصيب، ومتواصلة مع الثقافات الحورية والحيثية والإيرانية.

*** الإمبراطورية الآشورية الحديثة ٩٣٤ ق.م – ٦٠٩ ق.م :**

الموقع : تشكل جزءًا من العراق ◄

العاصمة : مدينة آشور – نينوى – النمرود – دور شروكين

اللغـة : الأكادية ولاحقاً الآرامية

الديـن : ديانة آشورية بابلية

الحكومة : غير محدّد

الملوك : آشور دان الثاني (٩٣٥ – ٩١٢) ق.م.

آشور أوباليت الثاني (٦١٢ – ٦٠٩) ق.م.

التأسيس : ٩٣٤ ق.م.

الزوال : ٦٠٩ ق.م.

الإمبراطورية الآشورية الحديثة كانت إحدى الإمبراطوريات في تاريخ بلاد الرافدين فهي مملكة نشأت في ما بين النهرين استمرت منذ سنة ٩٣٤ ق.م. وحتى سنة ٦٠٩ ق.م. نافست هذه المملكة كل من بابل و(أورارتو Urartu) وأرمينيا وعيلام ومصر على زعامة العالم القديم، وأصبحت بمجيء (تجلات فلاسر الثالث Tiglath-Pileser III) في القرن الثامن قبل الميلاد أقوى إمبراطورية في العالم القديم بعد أن تمكنت من الانتصار على هذه الممالك واستطاعت بنجاح الهيمنة على الشرق الأدنى، وآسيا الصغرى، والقوقاز، وشمال أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط الشرقي وتولت منصب الأمة الأقوى على وجه الأرض، واستمرت هذه الإمبراطورية حتى سقوط عاصمتها نينوى بيد البابليين والميديين سنة ٦١٢ ق.م.

آشور كانت في الأصل مملكة اكادية والتي تطورت في الفترة من القرن

٢٥ق.م إلى القرن ٢٤ق.م. كان الملوك الآشوريين الأوائل مثل Tudiya حكّاماً بسيطين، وبعد تأسيس الإمبراطورية الأكادية التي استمرت من ٢٣٣٤ ق.م إلى ٢١٥٤ ق.م أصبحت خاضعة لسرجون الأكادي الذي وحد الشعب الأكدي والسومري في بلاد ما بين النهرين تحت قانون واحد.

الأمة الأكادية لآشور تطورت إلى حد كبير بعد تفكك الإمبراطورية الأكادية. في الفترة الآشورية القديمة من العصر البرونزي المبكر؛ كانت آشور المملكة التي تحكم شمال بلاد ما بين النهرين ، وتنافست على الهيمنة في البداية مع (the ancient Sumero-Akkadian) مثل اسن، أور، ولارسا، وفي وقت لاحق مع بابل التي أسسها الأموريين في عام ١٨٩٤ ق.م.

أثناء القرن العشرين، أنشأت مستعمرات في آسيا الصغرى ،وتحت حكم الملك (lushuma I) ، آشور شنّت غارات عديدة ناجحة ضد دول الجنوب. فقد واجهت تقلبات الثروات في الفترة الآشورية الوسطى. وكانت آشور إمبراطورية أثناء حكم شمشي أدد الأول في آواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وبعد هذا وجدت نفسها تحت هيمنة فترات قصيرة من حكم البابلية و(ميتاني الحرانية) في القرنين ١٧ و ١٥ على التوالي قبل الميلاد، تليها فترة أخرى من القوة (١٣٦٥-١٠٧٤) ق.م، والتي شملت ملوك مثل: (Ashur-uballit I ,Tukulti-Ninurta , Tiglath-Pileser I). أيضاً خلال (العصور المظلمة) ظلت آشور دولة قوية ومستقرة.

وعلى عكس منافسيها الإمبراطورية الآشورية الحديثة لاقت نجاحاً في فترة الإمبراطورية الآشورية الوسطى (من القرن الرابع عشر إلى القرن العاشر قبل الميلاد). بعض العلماء مثل ريتشارد نيلسون فراي، ينظرون إلى الإمبراطورية

الآشورية الحديثة بأنها الإمبراطورية الحقيقية الأولى في تاريخ البشرية. وخلال هذه الفترة أشير إلى الآرامية بأنها اللغة الرسمية للإمبراطورية جنباً إلى جنب مع اللغة الأكادية.

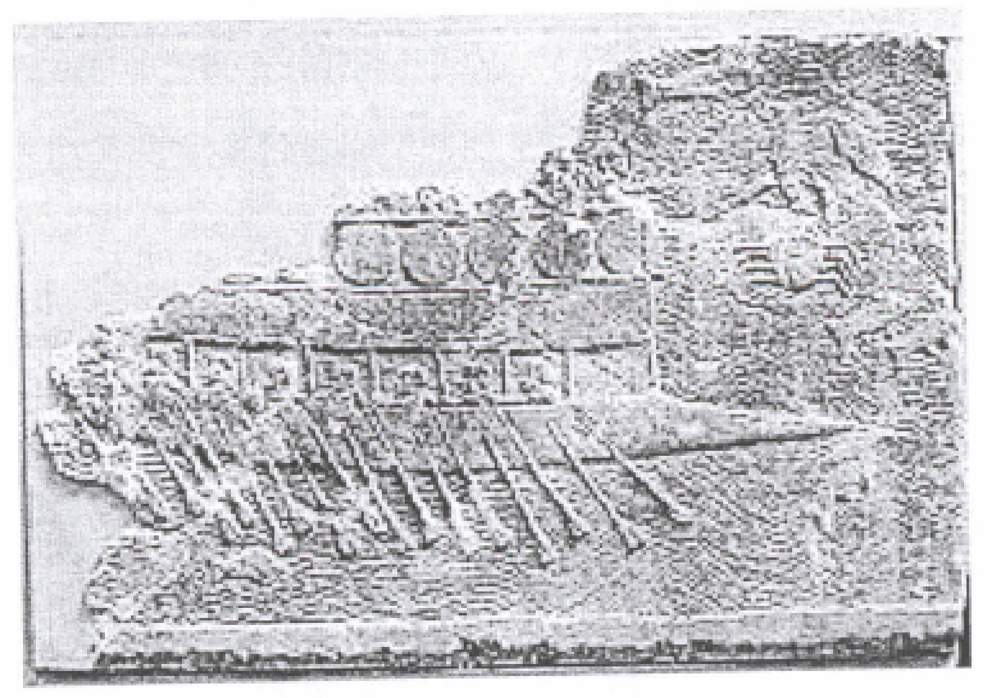
آشور استسلمت في النهاية لتشكيل ائتلاف من البابليين، والميديين، والسكيثيين، وغيرهم عند سقوط نينوى في ٦١٢ ق.م، وإقالة حران من رأس مالها في ٦٠٨ ق.م. أكثر من نصف قرن في وقت لاحق؛ بابل وآشور أصبحت محافظات تابعة للإمبراطورية الفارسية. على الرغم من أن الآشوريين في عهد آشور بانيبال دمروا حضارة الامايت، وقد أثرت ثقافة الآشوريين على الإمبراطوريات المتعاقبة من الميديين والفرس وشعوب الهند وإيران التي كان يهيمن عليها آشور.



أزياء للكاهن الآشوري (لليسار) والملك (لليمين)



الثور المجنح الآشوري، أو lamassu، من قصر سرجون في Dur-Sharrukin



السفينة الحربية الآشورية مع قوس مدبب، ٧٠٠ قبل الميلاد



آسيا الصغرى
جبال طوروس
قرقميش
أورارتو
الجزيرة
نينوى
آشور
قبرص
حماة
تدمر
دمشق
القدس
(أورشليم)
البادية العربية السورية
بابل
سوسة
أور
منف
طيبة
بحر الخزر
(قزوين)
البحر الأعلى (المتوسط)

الامبراطورية الآشورية في أقصى درجات التوسع
● المدن القديمة
× مواقع النقوش والآثار الآشورية
الحدود المقترحة للامبراطورية الآشورية
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم

التوسع الآشوري غرباً
من ٨٨٣ - ٧٢٧ ق.م

ملاطية
كوموخ
مرعش
كركميش
أرفاد
حلمان
(حلب)
طوروس
كيليكية
قوي
الآلشيا
(قبرص)
قرقرة
حماة
آرام
لبنان
تدمر
صيدا
صور
دمشق
السامرة
أورشليم
(القدس)
غزة
البحر الأعلى (المتوسط)

في زمن آشور ناصربال الثاني
في زمن شلمنصر الثالث
في زمن أددنيراري الثالث
في زمن تغلاث بلاصر الثالث
٠ ٤٠ ٨٠ ١٢٠ ١٦٠كم



أسد جريح ضمن مشهد جدارية صيد الأسود الآشورية للملك آشور بانيبال يصطاد الأسود – وقد كانت الأسود يؤتي بها من خارج العراق وتحبس في أقفاص حتى تطلق في ميدان الصيد

لاماشو (الثور المجنح) – حيوان اسطوري رأسه انسان وجسمه جسم ثور يزين أبواب المدن الآشورية زوج منها عند كل بوابة وبأحجام مختلفة – يصنع احداهما من قطعة حجر واحدة هدفه حماية المدينة وإلقاء الرعب في قلوب الوافدين للمدينة . الثور رمز القوة والجناحين رمز لسرعة انتقال (طيران) قوة آشور من مكان إلى آخر



تظهر معاني القوة والجبروت في اللوحات الآشورية

سرجون II هو الذي نقش على بوابة الثور المجنح، رأس الثور هو رأس سرجون نفسه



مدينة نمرود الأثرية درة الحضارة الآشورية وموطن لأهم الاكتشافات الأثرية في القرن العشرين





الملك الآشوري آشور بانيبال



آشوربانيبال حاملاً سلة أثناء إعادة بناء المعبد. نحت نافر على الحجر من الإيزاكيلا. بابل ٦٥٠ ق.م . في المتحف البريطاني



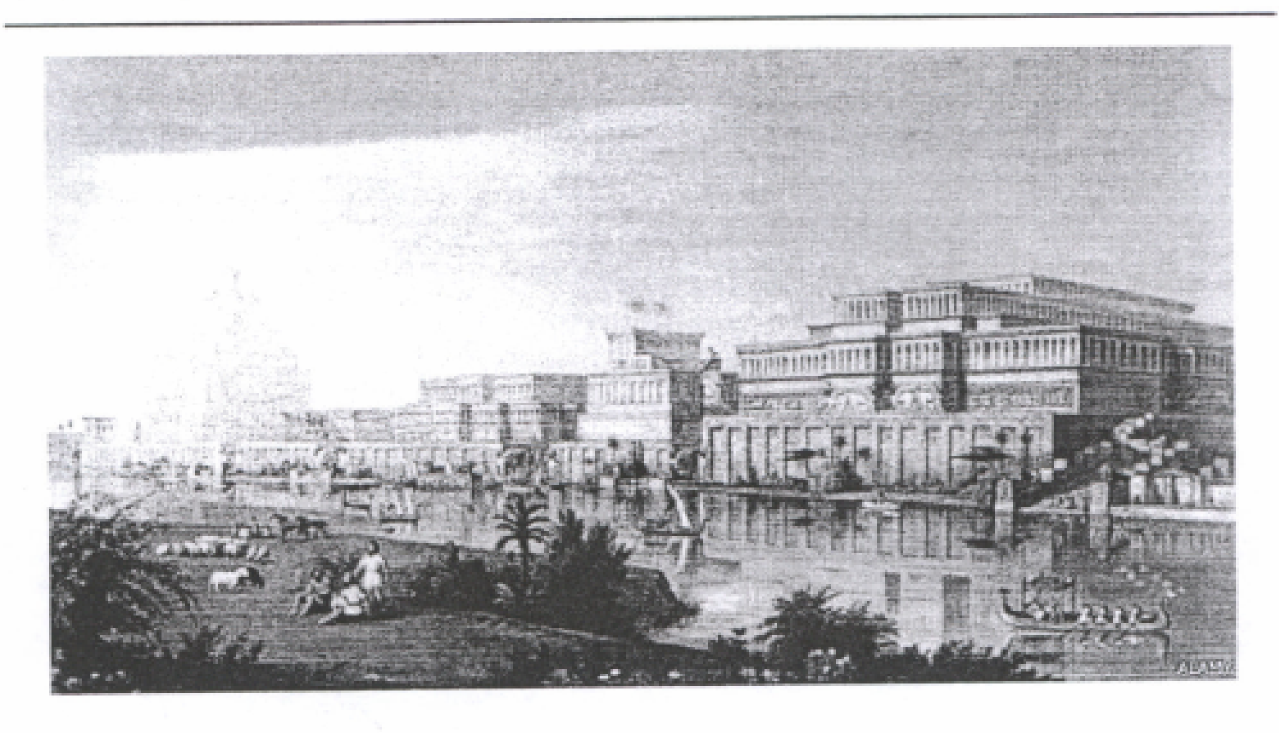
الإله "أداد" واقفا فوق ثور ممسكا في كلتا يديه بصاعقة، بينما صورت لإلهة "عشتار أربيلا" ربة الحرب واقفة فوق اسد يعدو بها



آشورناصربال



مسلة الملك آشور ناصر بال تذكر انجازاته وتضرعه للآلهة التي ترى رموزها أعلى المسلة كالإله أددو وشمش وسين



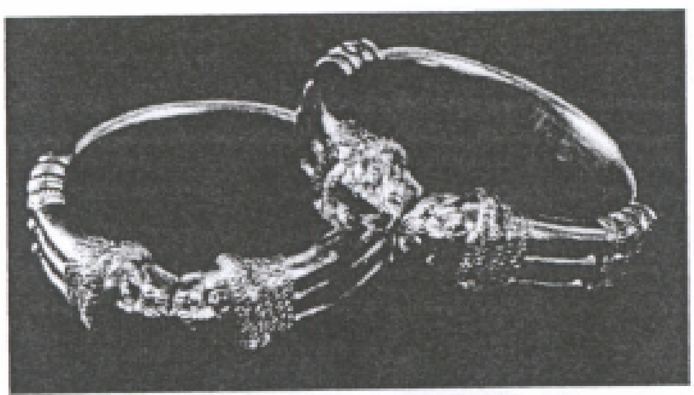
رسم يصور القصور التي بناها الملك الآشوري آشور بانيبال كما تصورها أوستن هنري لايارد.

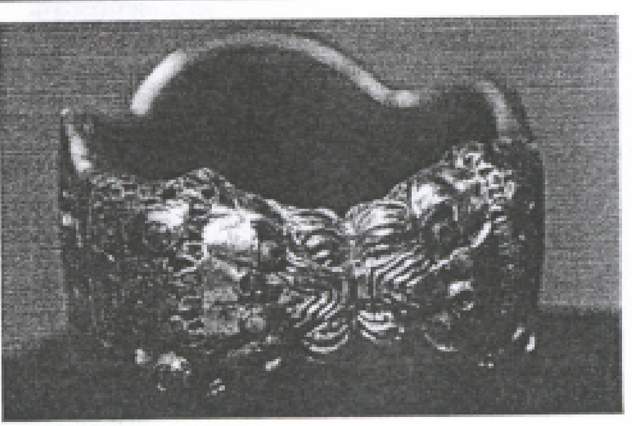


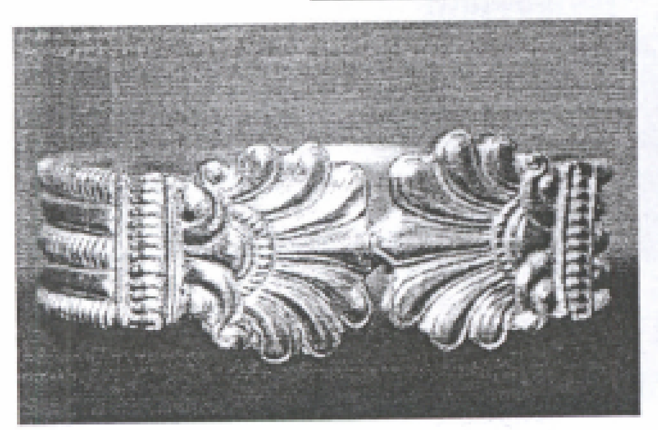
تجلات بلاصر الثالث



سرجون الثاني



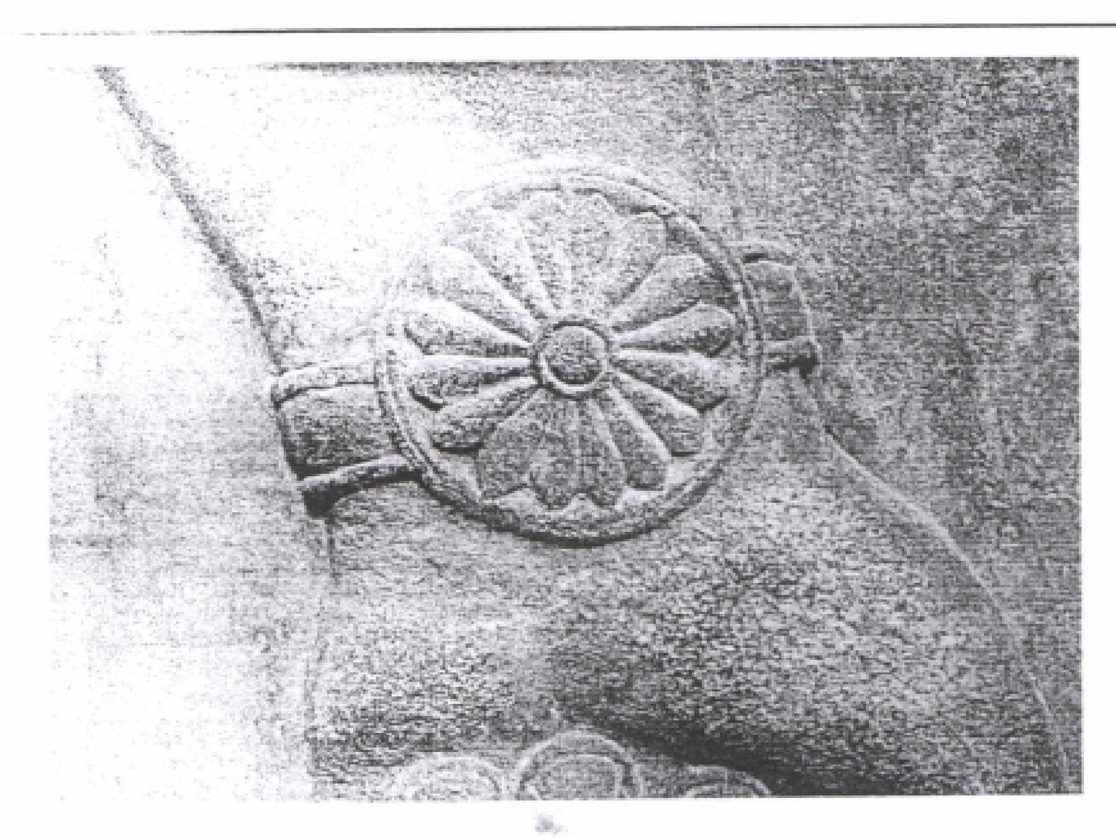




أساور من نمرود (كنز مدينة كالح الآشورية) يعتقد بالخطأ أنه ينسب إلى شخصية النمرود لكن الكنز يعود لأميرات آشوريات من حقب مختلفة واسم المكان الحديث هو نمرود ومن هنا جاء الالتباس وقد احتوى الكنز على مئات القطع المذهبة والمرصعة والمصاغة بأيد بارعة



ختم من الذهب يعود لأحدى الملكات الآشوريات ضمن كنوز مدينة كالح الآشورية منقوش عليها الآلهة عشتار آلهة الحب والحرب



الزهرة المقدسة لدى الآشوريين – ويعتقد الكثيرون أن هذه هي زهرة البابونك .. وهذه الزهرة تزين معاصم أغلب المنحوتات الآشورية









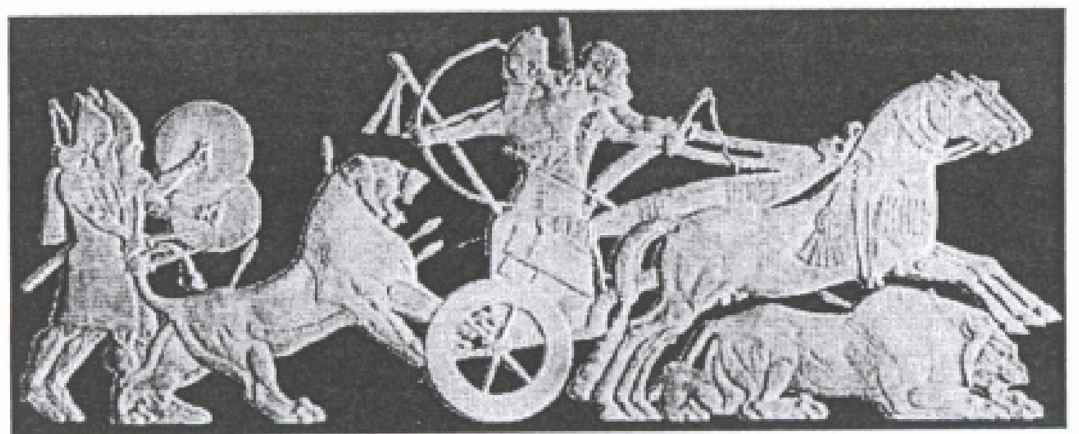




المادّة : جبس / التقنيّة : نحت بارز ملوّن / التاريخ : ٨٦٥-٨٦٠ ق.م / الموقع : تنقيبات القصر الشمالي الغربي ، الغرفة جي و اللوح ٢ / العصر الآشوري الحديث / الملكيّة: آشورناصربال الثاني / المتحف البريطاني – لندن / الأبعاد : الإرتفاع: ٢٦٩.٢٤ سم / العرض: ٢٠٣.٢ سم / لوح حائط جبسي بنحت بارز يظهر جزء من مشهد البلاط. خادم ملكي مخصي يقدّم كأسا من النبيذ للملك وخلفه روح حاميّة بأربعة أجنحة ويرتدي قبعة ثنائية القرون ويحمل في يديه أشياءا لها صلات بمراسيم تلقيح النخيل.الأحذية الصيفيّة "صندل" ملوّنة بلون أسود مع كعب أحمر. وللملابس اشكال منحوتة، من ضمنها نخيل مع حيوان رباعي الاطراف بقرون على جانبيها، النخلة مع الأرواح المجنّحة الحامية على شكل مخصّبي النخيل، مع حيوان مجنّح بقرون ورأسه ملتف إلى الخلف. كما يظهر الملك آشورناصربال الثاني يحمل على كلتا يديه ثورا وحشيًا رأسه إلى الأسفل قرب ساقه الخلفيّة. كما إن هنالك نقشا مكتوبا بالخط المسماري. اللوح جزء من مجموعة تمثّل مشاهد البلاط والملك آشورناصربال الثاني يعتلي العرش بين خدمه ومحاطين بأرواح حامية جنّحة



المادة: جبس / الموقع: تنقيبات معبد ننورتا، الغرفة ٢ اللوح ٢ / التاريخ: ٨٦٥-٨٦٠ ق.م / العصر الآشوري الحديث / الملكيّة: الملك آشورناصربال الثاني / الوصف: لوح حائط جبسي، نحت بارز، روح حامية برأس نسر وجهه ناحية اليمين / الأبعاد الإرتفاع: ١٢٩ سم / العرض: ٧٣ سم / المتحف البريطاني – لندن



Mesopotamia - culture : Assyrian mightiness- Lion's hunt. لوحة عن جبروت الآشوري : صيد الأسود

بعد احتلال بابل ظهرت لوحة صيد الأسود لتعني أن رماح آشور اصطادت وقتلت أسد بابل

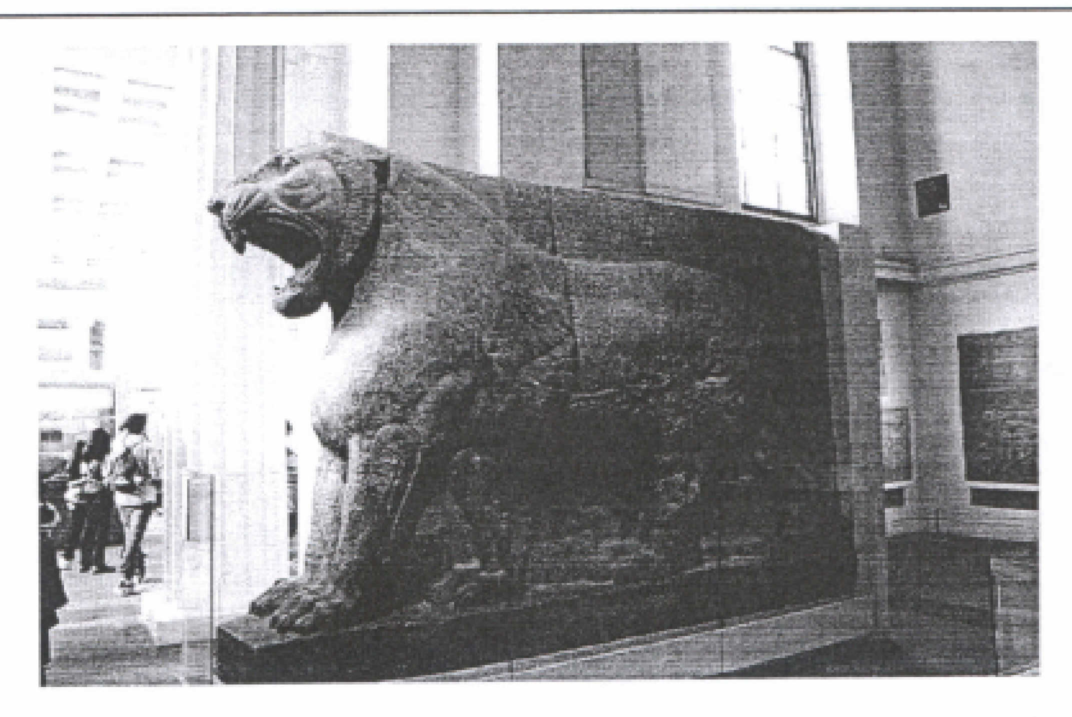


المادّة: جبس / التقنيّة: نحت بارز / التاريخ: ٨٦٥-٨٦٠ ق.م / الموقع : تنقيبات القصر الشمالي الغربي، الغرفة بي اللوح ٣٠ / العصر الآشوري الحديث / الملكيّة: آشورناصربال الثاني - الأبعاد : الإرتفاع: ٢.٢٥ متر / العرض: ١.٣٥ متر - لوح حائط جبسي بنحت بارز يظهر روح حاميا يحمل غزالا وسعفة نخيل. هذا اللوح كان في الماضي يحمي باب غرفة العرش الملكي. هناك نقش مكتوب بالخط المسماري



المادّة: جبس / التقنيّة: نحت بارز / التاريخ: ٨٦٥-٨٦٠ ق.م - الموقع: تنقيبات القصر الشمالي الغربي، الغرفة بي اللوح ٣٠ - العصر الآشوري الحديث / الملكيّة: آشورناصربال الثاني / المتحف البريطاني - لندن - الأبعاد : الإرتفاع: ٢.٢٥ متر / العرض: ١.٣٥ متر لوح حائط جبسي بنحت بارز يظهر روح حاميا يحمل غزالا وسعفة نخيل. هذا اللوح كان في الماضي يحمي باب غرفة العرش الملكي. هناك نقش مكتوب بالخط المسماري

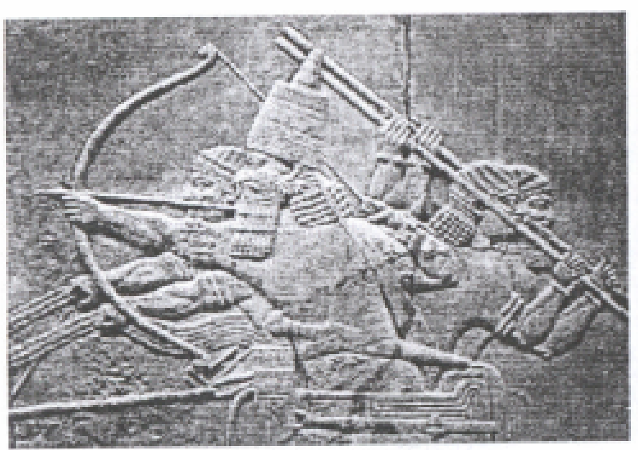


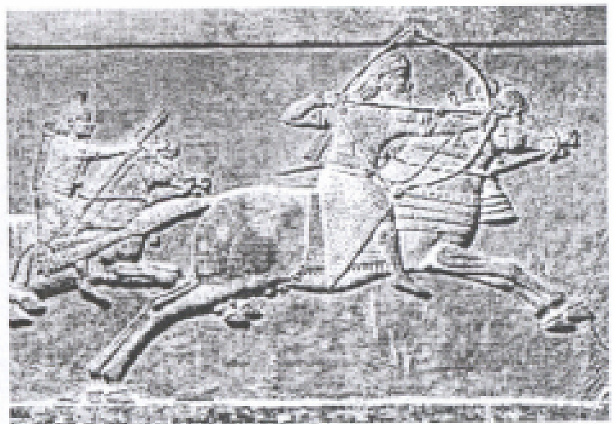


تمثال أسد حجري ضخم أسد من الرخام من مدخل معبد ننورتا في نمرود، عهد الملك آشورناصربال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م.)* من عصر الإمبراطوريّة الآشوريّة الحديثة ١٠٠٠-٦١٢ ق.م. - عثر عليه في نمرود - وقد كان الأسد رمزا شائعا جدا في بلاد آشور القديمة، وقد أستعمل بكثرة مقرونا بصور الملوك للتعبير عن السلطة الملكيّة. كما كان الأسد رمزا للإلهة عشتار. وكونه قد كان موضوعا عند مدخل معبد ننورتا في نمرود قد يحمل وظائف طاردة للشر - المتحف البريطاني - لندن



صغار الآلهة أو أعوانهم ممن كانوا يمثلون حاشية الآلهة الشبيهة ببلاط الملوك

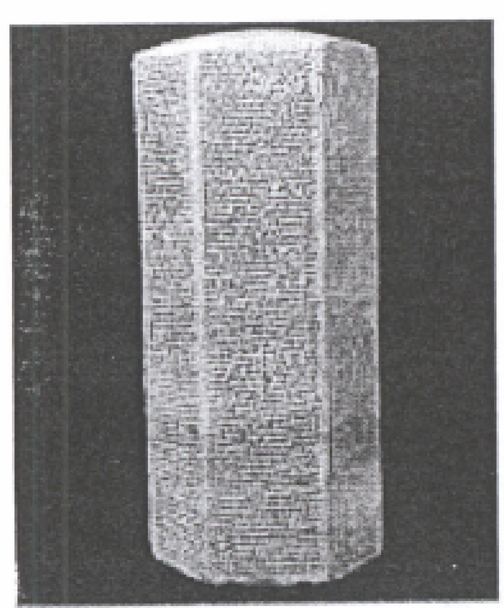




نحت بارز لجنود آشوريين



لوحة تمثل إجلاء السكان عن المدينة المهزومة صور فيها الفنان الشخوص الرئيسية في وسط اللوحة والثانوية منها فوقها أو من تحتها



حجر تايلور بالمتحف البريطاني





العصر الأشوري قدم النحت البارز على النحت المجسم حتى كادت التماثيل أن تكون مجرد أشكال اسطوانية، بل لقد اختفت نماذج النحت المجسم منذ عصر سرجون الثاني



الفصل السادس

الحضارة البابلية

بلاد بابل أو البابلية (بالآشورية كاردونياش Kardunia). كان الفرس يطلقون عليها بابروش دولة بلاد ما بين النهرين القديمة. هي دولة عراقية قديمة احتلت مناطق واسعة من العالم ، وهي البيئة الجغرافية على ضفاف دجلة والفرات والممتدة بين موقع بغداد (في العراق حالياً) والخليج العربي. مركز هذا الإقليم هو مدينة بابل والتي مرّ عليها خلال فترات وجودها العديد من الشعوب والحكام. وكان من أشهر معالمها: (حدائق بابل المعلقة التي تعد من عجائب الدنيا السبع. وكان بها معبد إيزاجيلا للإله الأكبر مردوخ (مردوك) داخل الأسوار بساحة المهرجان الديني الكبير الواقعة خارج المدينة والآن أصبح أطلالاً. كما يوجد بها ثماني بوابات وكان أفخم هذه البوابات بوابة عشتار الضخمة. وأيضاً شارع مزين بنقوش الثيران والتنين والأسود الملونة فوق القرميد الأزرق).

بلغ عدد ملوك سلالة بابل والتي عرفت (بالسلالة الآمورية/العمورية ١١ملكاً حكموا ثلاثة قرون (١٨٩٤-١٥٩٤) ق.م. في هذه الفترة بلغت حضارة العراق أوج عظمتها وازدهارها وانتشرت اللغة البابلية بالمنطقة كلها حيث إرتقت العلوم والمعارف والفنون وتوسعت التجارة لدرجة لامثيل لها في تاريخ العالم القديم. وكانت الإدارة مركزية والبلاد تُحكم بقانون موحد سنّه الملك حمورابي لجميع شعوبها (شريعة حمورابي). وبعد حمورابي بفترة يسيرة أفل نجم هذه

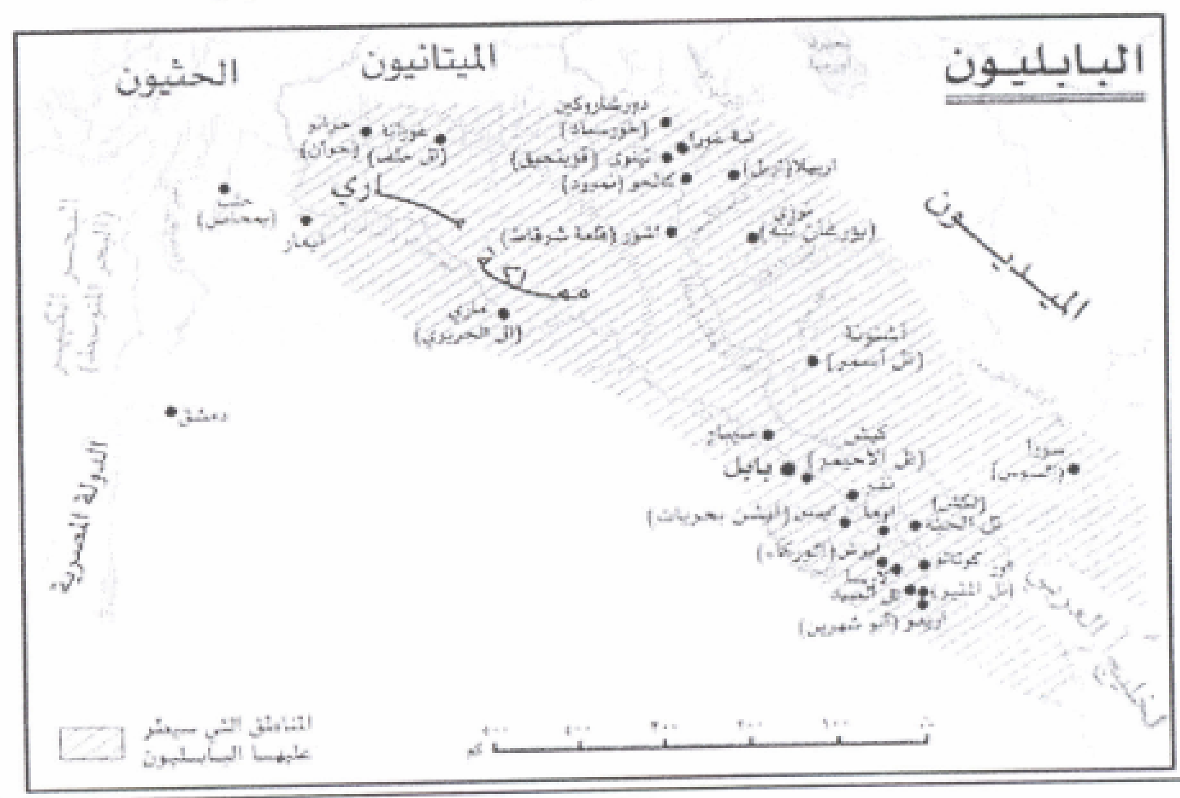
الإمبراطورية، فدمرها الحيثيون عام ١٥٩٥ق.م. بعد ما استولى ملك الحيثيين مارسيليس علي بابل، وحكمها الكاشانيون عام ١٥١٧ ق.م. واستولى الآشوريون عليها عام ١٢٤٠ ق.م بمعاونة العلاميين. وظهر نبوخذ نصر كملك لبابل (١٢٤٥-١١٠٤) ق.م، ثم دمر الآشوريون مدينة بابل عام ٦٨٩ ق.م. إلا أن البابليين قاموا بثورة ضد حكامهم الآشوريين عام ٦٥٢ ق.م. وقاموا بغزو آشور عام ٦١٢ ق.م، لتعود الإمبراطورية وتزدهر من جديد وتتسع رقعتها فتشمل فلسطين وتبلغ الحدود المصرية وذلك في الفترة التي سيطر خلالها الكلدانيون على بابل ابتداء من عام ٦٢٥ ق.م، ويطلق على الإمبراطورية البابلية في هذه المرحلة اسم (الإمبراطورية البابلية الثانية)، وكانت تضم من البحر الأبيض المتوسط وحتى الخليج العربي. ويعتبر نبوخذ نصر الثاني أعظم ملوك بابل (٦٠٥-٥٦٢) ق.م. في عهدها الجديد هذا، وكانت انذاك مطوقة بأسوار ضخمة ذات أبواب عريضة. واستولى نبوخذ نصر الثاني علي أورشليم عام ٥٨٧ ق.م، وسبي اليهود عام ٥٨٦ ق.م، إلى بابل. وهزم الفينيقيين عام ٥٨٥ ق.م. وبني حدائق بابل المعلقة. وما هي إلا فترة قصيرة حتى سقطت بابل في يد الإمبراطور الفارسي قورش ملك الفرس حوالي ٥٣٩ ق.م. في زمن الملك الكلداني بلشاصر وضمها لإمبراطوريته.

ظهرت الحضارة البابلية ما بين القرنين ١٨ق.م. و٦ ق.م. وكانت تقوم على الزراعة وليس الصناعة وتعتبر الحضارة البابلية من أعظم الحضارات القديمة. حيث حققت إنجازات ذات شأن في الفلك والرياضيات والطب والموسيقى. وقد اعتمد الاقتصاد البابلي بصورة رئيسية على الزراعة فقد زرعوا الأرض بالقمح والخضراوات والفواكه. وحفروا القنوات وربوا المواشي. وصنعوا أشياء من الطين

والأحجار والعظام والأخشاب والمعادن. وتعلموا تجفيف المستنقعات وصناعة الآجر من الطين. وكانت مبانيهم من الطوب الأحمر. واشتهرت بالبنايات البرجية (الزقورات). وكانوا يصنعون أكواخاً من القصب والطين. ويستخدمون الطين المشوي أو المجفف بالشمس لبناء بيوتهم .

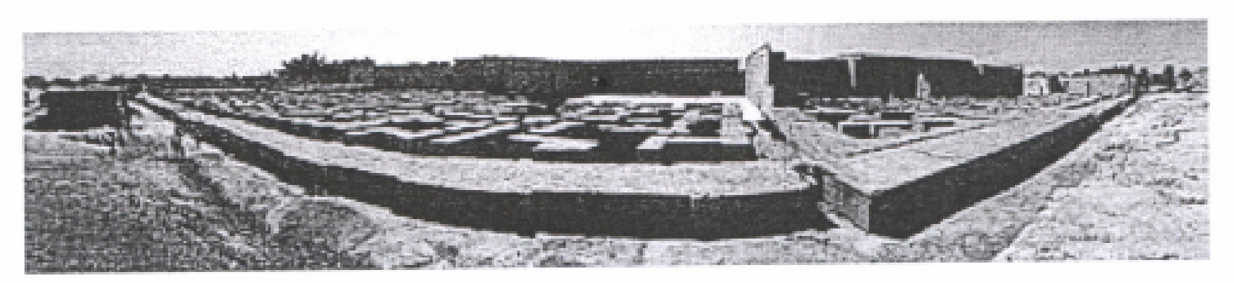
كان السومريون أقدم سكان بلاد بابل. وقد انقسم المجتمع في بلاد بابل خلال عصورها المختلفة إلى طبقات متعددة وهي: طبقة الارستقراطية التي كانت تضم عادة موظفي الحكومة والكهنة وملاك الأراضي الأثرياء وبعض التجار. الطبقة العامة وكانت تتألف من الحرفيين والكتبة والمزارعين. طبقة الرقيق التي شكلت أدنى طبقات المجتمع البابلي.

ملحوظة : هناك لبس بين بابليون العراقية، وبابليون المصرية وهى التى كان فيها هيكل اليهود، ولها تاريخ مختلف عن بابليون العراقية ، ويمكن مراجعة البحوث التى نشرت عن تلك القلعة التى مازال يقع فيها لبس عند الكثيرين .



* مدينة بابل :

التسمية : بابل المدينة أو بابليون Babylion, Babylon (بالآرامية ܒܒܠ باليونانية Βαβυλών ، باللاتينية Babylon)، وهي في اللغة الأكادية بابيلي تعني باب الإله. الاسم البابلي بقي على ما هو عليه في الألفية الأولى ما قبل الميلاد، وتغير الاسم في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد بما معناه (بوابة الرب) أو (مدخل الرب)، الاسم السابق بابيليا على ما يبدو هو بلغة سامية غير معروفة الأصل أو المعنى. في الكتاب العبري يظهر الاسم בבל مفسرًا في سفر التكوين (11:9) بما معناه الحيرة.



منظر من مدينة بابل الأثرية التي تقع على بعد ٨٥ كيلومترا جنوب بغداد.

هي مدينة عراقية قديمة بأرض الرافدين، أي نهر دجلة والفرات، وقد سمّاها الأقدمون بعدة أسماء منها بابلونيا، وأرض بابل ما بين النهرين، وبلاد الرافدين. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم "... وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت..." (البقرة:١٠٢). كانت بابل تقع على ضفتي نهر الفرات بالقرب من مدينة الحلة الحالية في العراق. كانت المدينة مركزاً دينيّاً وتجارياً لبلاد بابل. وصارت بابل بعد سقوط سومر قاعدة إمبراطورية بابل، وكانت عاصمة البابليين أيام حكم حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠) ق.م - (الذي يُعد أعظم ملوكها والذي اشتهر بمجموعة القوانين المعروفة باسمه وقد ازدهرت في عهده الحضارات البابلية حيث يعد عصره العصر الذهبي للبلاد العراقية) - حيث كان البابليون يحكمون أقاليم ما

بين النهرين، وقد حكمت سلالة البابليين الأولى في معظم مقاطعات ما بين النهرين وأصبحت بابل العاصمة التي تقع علي نهر الفرات (لإمبراطوريتين بابليتين). وكانت عاصمة للدولة الآشورية التي اشتهرت بحضارتها.

* بابل واليهود :

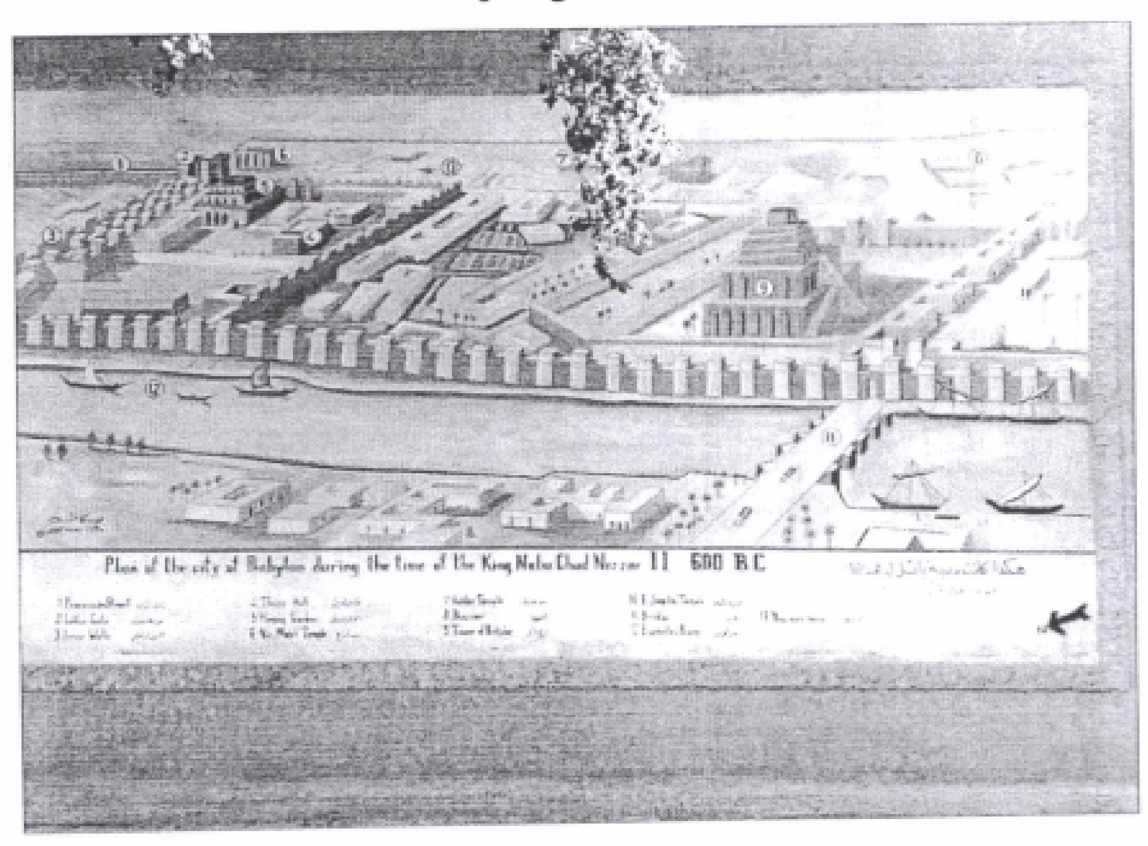
دخل اليهود العراق عندما تم سبيهم من قبل الآشوريين ثم البابليين حيث تم تدوين التوراة في بابل بعد السبي حيث استمدت الكثير من القوانين البابلية ودونت الكثير من تاريخ بابل والعراق بصورة عامة حيث كانت المصدر الوحيد لتاريخ وادي الرافدين قبل حل لغز اللغة المسمارية في القرن التاسع عشر .

* لغة مدينة بابل :

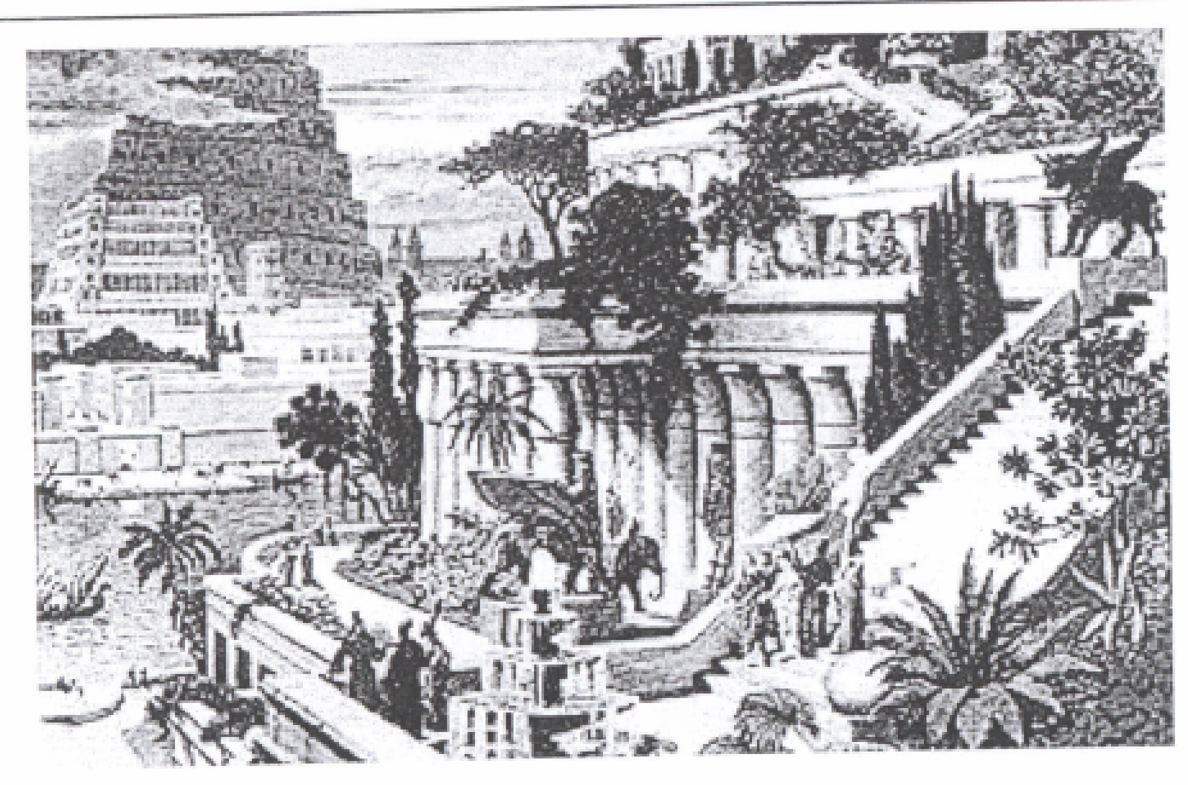
أطلق أهل بابل على لغتهم اسم اللغة الأكادية "الأكّدية"، وذلك لأن منطقة بابل ككل كانت تُدعى عندهم (أكاد) كما يُلاحظ في نقوش كثيرة وردت فيها أسماء ملوك بابل ك (ملك أكاد) أو (ملك أكاد وشومر). وقد اقتبس البابليون أبجديتهم من السومريين الذين أسسوا حضارتهم جنوب العراق. وقد ظلت هذه الأبجدية (المسمارية) تُستخدم في كتابة اللغة (البابلية/الأكادية) حوالي ثلاثة آلاف عام، أي حتى قرن واحد قبل الميلاد. اللغة البابلية سامية أصيلة ولكن لفظها لم يشتمل على حروف التضخيم والتفخيم كما في العربية، كالطاء والظاء والضاد. ولا على حروف الحلق كالحاء والعين والهاء والغين.



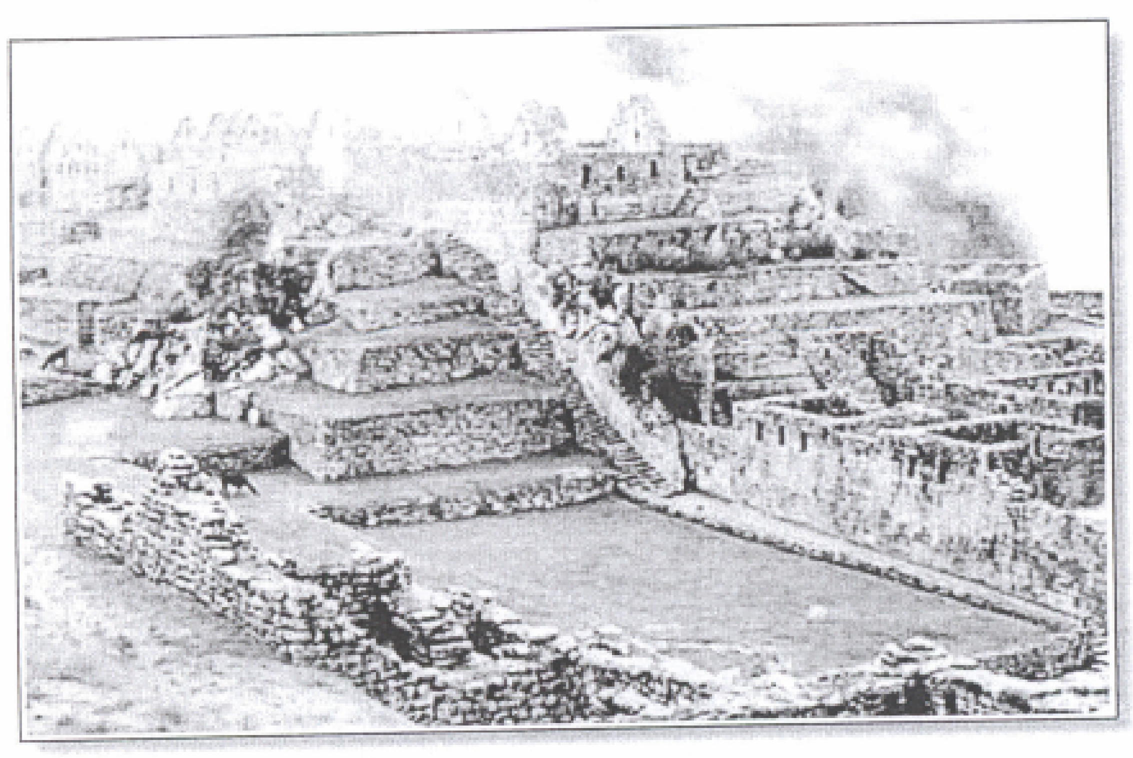
مدينة بابل الأثرية



مدينة بابل في عهد الملك نبوخذ نصر الثاني (٦٠٠ق.م)



رسم تخيلي من القرن ١٦ لحدائق بابل المعلقة (لمارتين هيمسكرك). واحدة من العجائب السبعة في العالم القديم ، وهي متكونة من حدائق علوية مقامة على طبقات الزقورة ويظهر برج بابل في الخلفية.



حدائق بابل المعلقة





اقدم خريطة للعالم عثر عليها في بابل – تظهر بابل كمركز للعالم بين نهري دجلة والفرات

* مدينة أيسن :

*الموقع :

تقع أطلال مدينة إيسن. التلول المسماة الآن أيشان بحريات . على دائرة عرض ٥١ ٣١ وخط طول ١٧ ٤٥ شرقاً وتبعد مسافة ٢٤كم إلى الجنوب من مدينة عفك ومسافة ٢٨ كم إلى الجنوب الغربي لمدينة نفر. تغطي أطلال هذه المدينة مساحة تقدر بـ (٢٠٠) أيكر، إلى الشرق من مجرى نهر الفرات ، كانت مدينة إيسن واقعة على النهر المسمى (أيسينيتو Isinnitu) الذي يمكن أن يكون إما فرعاً غربياً من مجرى الفرات الرئيسي، أو امتداداً جنوبياً شرقياً لنهر (أراختو Arahtum) بعد مروره بمدينة مرد. تشغل أطلال المدينة مساحة واسعة لكنها لا ترتفع كثيراً عن مستوى السهل المحيط بها، والظاهر أنه لم تكن لمدينة إيسن زقورة. إن موقعها كمدينة مهم جداً فهي من مدن التماس الحضاري (السومري - الأكادي)، ويتوسط موقعها منطقة تحتوي مدناً مهمة جداً، فهي قريبة من المدن السومرية المقدسة نفر وأدب وشروباك وأبو صلابيخ ودلبات وبروسبا ومرد، وهذا التوسط أعطاها أهمية كبيرة حيث كانت في بداية العصر البابلي القديم مركز الإشعاع الحضاري ومحور سياسي في المنطقة. وتمكنت بفضل هذا الموقع أن تسيطر على منطقة واسعة في ذلك الوقت.

* التاريخ :

تشير الدلائل الأثرية إلى أنها مأهولة في أدوار ما قبل التاريخ لأن ملتقطات من فخار عصر العُبيد والوركاء منتشرة بصورة واسعة في كل أرجاء الموقع، كما أظهرت أعمال التنقيبات الأثرية أنها على درجة من الأهمية في عصر فجر السلالات الأول. وكذلك في عصر فجر السلالات الثاني والثالث وتشير الدلائل

الأثرية إلى استمرار السكن فيها في العصر الأكدي والنصوص الكتابية تؤكد هذا الأمر. وفي عصر أور الثالثة ورد اسمها في كتابات عديدة، وبعد زوال الحكم السومري المتمثل بسلالة أور الثالثة أصبحت إيسن الوريثة لأور في حكم بلاد سومر وأكد، وارتفع شأنها حتى غدت القوة المسيطرة على إرث سلاسة أور الثالثة من دلمون حتى أرابخا، فدانت لها مدن عظيمة مثل أوروك ، أور ، أريدو ، أوما ، لكش ، وكزالو وغيرها، وحكمت فيها سلالة دعيت بسلالة إيسن الأولى ما يقرب من قرنين وربع القرن من الزمن. ثم خضعت بعد ذلك لسيطرة سلالة لارسا في عهد ملكها (ريم . سين) عام ١٧٩٤ ق.م، وخضعت لسلالة بابل الأولى في زمن ملكها الشهير حمورابي ومنذ سنة حكمه السابعة بالتحديد وعثر على مجموعة من الرُقم الطينية التي تعود إلى زمن الملك البابلي

* الحضارة البابلية الأولى :

قامت الحضارة البابلية الأولى بعد طرد الغزاة (الكوتيون البرابرة) القادمون من القوقاز إلى الأبد. بعد أن خربوا كل معالم الحضارة الأكادية. إذ خربوا المعابد والأبنية المهمة وسرقوا الجواهر والأشياء الثمينة وحملوها إلى ديارهم الجبلية المتوحشة فكان عصرهم عصراً أسوداً سجله تاريخ وادي الرافدين. الدولة البابلية الأولى بدأت بالأموريين في العصر الأكادي. ظهر الأموريون كما وصفتهم بعض النصوص الأمورية بأنهم (الذين لا يعرفون الحبوب) و (الرجل الذي يأكل اللحم النيء) و (الذي لا يعرف بيتا) و (الذي لا يدفن بعد الموت). الصفات السابقة تنطبق على البدوي الذي يقضي حياته في الحل والترحال.

كان دخول الأموريون الساميون وادي الرافدين في البداية بأعداد قليلة ثم ازدادوا فهددوا وحدة مملكة أور الثالثة، كان لهم دور في إسقاط سلالة أور، اقاموا

سلالات حاكمة في (أسين) و (لارسا) قبل سقوط عاصمة أور. من أهم الممالك الأمورية التي نشأت في بلاد الرافدين المملكة البابلية الأولى. حيث وصلت سلالة أمورية إلى الحكم في بابل فأسست المملكة البابلية الأولى في بداية الألف الثاني قبل الميلاد .لم تكن بابل قبل هذا التاريخ من المراكز المهمة سياسياً أو اقتصادياً أو ثقافياً أو دينياً في وادي الرافدين، كانت بليدة صغيرة عرفها السومريون بـ (كا.دينجر.را) ، والأكاديون (باب.إليم) أي (بوابة الإله).

تاريخ بابل الأول الحقيقي بدأ مع تأسيس الأمير الأموري (سومو.أبوم) من السلالة البابلية الأولى وهو الذي بنى أسوار مدينة بابل. في عام حكمة الرابع عشر وسع حكمه فاحتل (ديلبات) الواقعة في الجنوب وأحاطها بسور للدفاع. كما كسب نفوذاً في كيش وسيبار . بعد (سومو أبوم) تولى الحكم بعده (سابيئوم) باني مدينة بابل الحقيقي إذ أتم بناء السور الكبير للمدينة وأشاد أبنية للعبادة كما شن حملات عسكرية كبيرة وسع من خلالها منطقة نفوذ بابل. لم يستطع (سابيئوم) أن يقيم سياسة خارجية نشطة بسبب ظهور شخصيات قوية على عهده في بلاد الرافدين كـ (كودور مبوك) الذي استولى على لارسا ونصب إبنه ملكاً على عرشها بالإضافة إلى أن قوة (إشنونة) كانت في تصاعد.

على الصعيد الداخلي بنى (سابيئوم) معبد الإله (مردوك) المشهور في بابل (إزانجيلا). ثم اعتلى على العرش بعد (سابيوئوم) ابنه (أبيل سين) الذي شمل بسلطته جزءاً كبيراً من شمال بلاد بابل. تميز عهده بالهدوء كما تذكر تواريخ سنوات حكمه أنه بنى أسواراً للمدن التي شملت نفوذه كـ (كيش) و(ديليات) و(بارسبيا) و(سيبار). بعد (أبيل سين) تولى الحكم (سين موباليط) . عاصر (سين موباليط) ملكين كبيرين سيطرا على شمال بلاد الرافدين وجنوبها وهما (شمشي أدد

الأول) ملك أشور و (ريم سين) ملك لارسا .

توصل (سين موباليط) إلى عقد صداقة مع (شمشي أدد الأول) الذي أخضع إشنونا وماري بينما اتسمت علاقاته مع (ريم سين) بالسوء توجه بحمله ضده في سنة حكمه الثالثة لكنه مُنِيَ بالهزيمة، تروي تواريخ سنوات حكمه بأنه بنى قلاعاً كثيرة خاصة في الشمال واهتم ببناء معابد وحفر أقنية وإقامة سدود. برهنت الأحداث التالية أن (سين موباليط) كان رجلاً ذا نظرة بعيدة تعلم منه إبنه حمورابي الكثير من الحكمة.

حكم الملك العظيم (حمورابي) بابل وعندما تسلم الحكم كانت البلاد ترزح تحت قوى مختلفة تتنازع السلطة فيما بينها. عندما اعتلى (حمورابي) عرش بابل حارب أولاً المدن المجاورة لبابل وضمها إلى حكمه دون عناء كبير لانحياز الشعب الآموري الذي كان يشكل أكثرية السكان القاطنين في هذه المدن. ثم أخذ (حمورابي) يفتح المدن السومرية في أواسط العراق وشرقه ثم يحصنها وينظم الإدارة فيها. وقد انجز (حمورابي) اصلاحات داخلية كثيرة اجتذبت له قلوب الناس فالتفوا حوله. وكون منهم جيشاً قوياً فاستطاع في حروب طاحنة شديدة الاستيلاء على مدن في الجنوب والاستيلاء على مدن في الشمال ثم قضى على دولة آشور القديمة فوحد الرافدين ثم افتتح المدن القريبة في بلاد الشام وسواحلها بذلك شكل (الإمبراطورية البابلية الأولى).

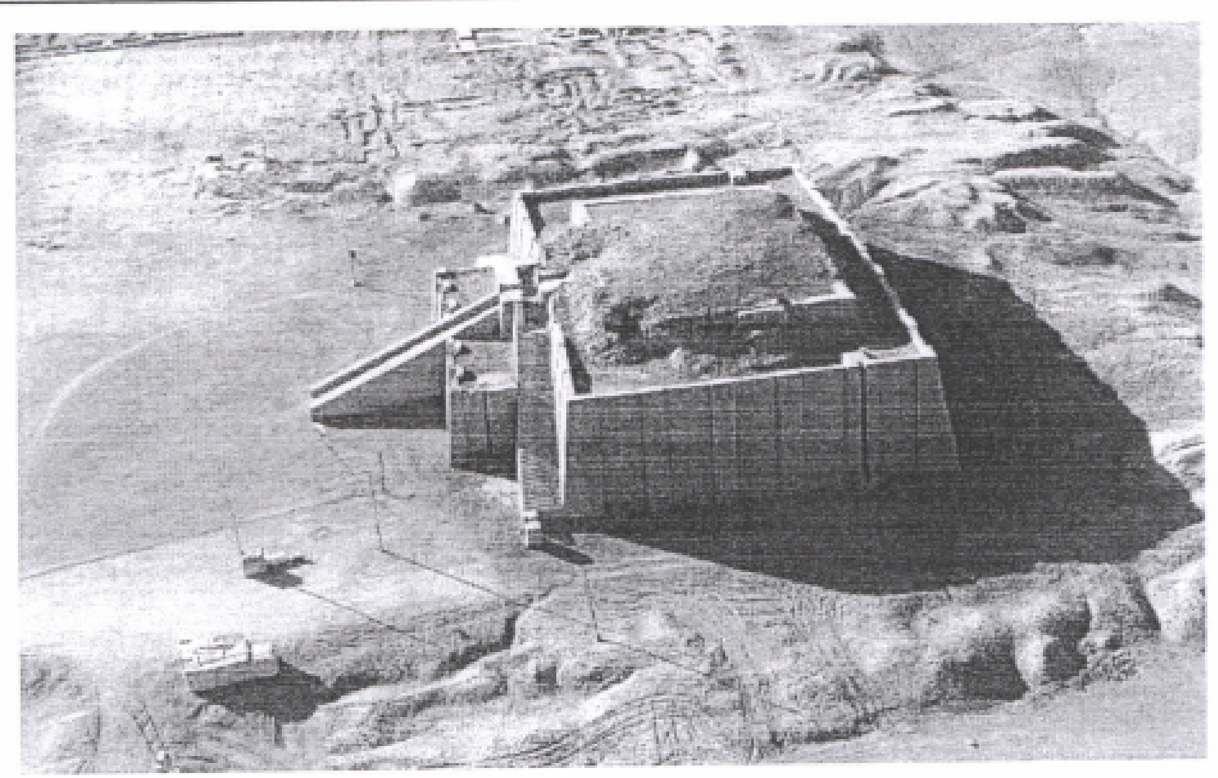
* الزقورات :

اهتم ملوك الدولة البابلية الأوائل ببناء الزقورات المنصة الهائلة الإرتفاع لتكون وسيلة لاتصال بين السماء والأرض، صممت لتسهيل هبوط الآلهة إلى الأرض لتقصير المسافة بين السماء والأرض.

الزقورات بناء عالي مدرج يتألف من عدد من الطوابق يترواح عددها ٧ ؛ أكبر الطوابق في الأسفل وأصغر الطوابق في الأعلى التي يتوجها معبد صغير. قاعدة الزقورات مربعة أو متسطيلة الشكل يتراوح ارتفاعها بين ٣٠ إلى ٥٠ متراً. الصعود للزقورة بثلاث سلالم. أحدها محوري يتعامد مع أحد الأضلاع ويصل إلى الطابق العلوي. أما الآخران فجانبيان يلتقيان بالسلم المحوري في الطبقة الأولى.

تُقدم أبنية الزقورات الهائلة الحجم أوضح دليل على المستوى الفني العالي الذي بلغه فن العمارة القديم في بلاد الرافدين. وفي مجال استخدام الحساب والهندسة جعلت قواعد الزقورات ذات الأضلاع الطويلة بشكل متساوي منتظم دون أي فرق بين طول ضلع وآخر. بعد الطبقة الأولى يصغر حجم الطبقات تدريجياً بنسب منتظمة تشير إلى تناسق كبير. تتميز سلالمها الثلاث خاصة سلمها المحوري الذي يوصل إلى قمة الزقورة باستقامة تامة.

كان المعماري تواقاً بأسلوب هندسي بارع. اهتم ملوك الدولة البابلية الأولى أيضاً ببناء المعابد قرب الزقورات فتكون معبداً أرضياً تابعاً للزقورات أو في أمكنة بعيدة عن الزقورات فتكون معبداً مستقلاً يكرس لعبادة إله أو ملك من الملوك. تتميز معابد هذا العصر بأشكال منتظمة واضحة التفاصيل تكون إما مربعة أو مستطيلة يحيط بكل منها سور ضخم تتجه أضلاعه نحو الجهات الأربع مزين من الخارج بعدد من الطلعات والدخلات. يتألف الجزء الداخلي للمعبد من ساحة مكشوفة صغيرة يحيط بها من ثلاث جوانب صف أو صفان من الغرف المسقفة التي استخدمت لسكن الكهنة وخزن نذور المعبد وهداياه. هناك غرفة تضم تمثال الآلهه ولذلك فإن معابد هذه الفترة كانوا يضعون فيها تمثال الإله في مدخل المعبد مباشرة ومن أشهر هذه المعابد (معبد الإله انكي) في مدينة أور.



الجانب الشمالي الشرقي (السلالم التي أعيد ترميمها جزئياً) من الزقورة في أور .

* المجتمع البابلي في عصر حمورابي :

المجتمع البابلي في عهد حمورابي كان مكون من ثلاث طبقات :

١- الطبقة الراقية (الأستقراطية) :

والتي عرفت بإسم لاميلو الذين لهم سيادة المجتمع.

٢- الطبقة العامة (الموشكينو) :

أي المساكين؛ هم الأفراد الفقراء من الأحرار الذين عملوا بجميع المهن ولكنهم افتقروا لكل الحقوق التي كانت تتمتع بها الطبقة الأرستقراطية.

٣- طبقة الرقيق (واردوم) :

وهم الذين ولدوا بالرق وأسرى الحرب فكانت لهم بعض الحقوق فقد كان

بإمكانهم التملك وإدارة بعض الأعمال الخاصة بهم وإقتراض المال وحتى أنهم كانوا يستطيعون شراء أنفسهم، وكن بإمكان النساء الحرائر التملك ولهن حقوق شرعية أخرى، وقد عرف أن الأباء عادة هم من يختارون الأزواج لبناتهم.

* اللغـــة :

تنتمي لغة البابليين إلى مجموعة اللغات (السامية)، كما اصطلح المستشرقون على تسمية لغات شعوب منطقة جنوب غربي آسيا (العرب والآراميون والكنعانيون والأكديون). واللغة البابلية ومعها اللغة الآشورية فرعان من اللغة الأكادية التي سادت في بلاد ما بين النهرين قبل ظهور المملكة البابلية القديمة والمملكة الآشورية القديمة. واستطاعت اللغة البابلية التي وصلت في عهد الملك حمورابي إلى مرحلة النضج والكمال الذي يتجلى في قانون حمورابي أن تسود عالم الشرق القديم، وتغدو لغة الوثائق السياسية والاقتصادية في تلك المناطق نحو ألف عام، إلى أن حلت محلها اللغة الآرامية الشقيقة. أما كتابتها فكانت بالخط المسماري المقطعي الذي طورته ليخدم أغراضها المختلفة.

* النظام السياسي والإداري :

عرف في البابلية نظام الحكم الملكي الوراثي، ونادراً ما تمتع الملوك بالسيادة المطلقة، فالقصر الملكي هو المركز الإداري إلى جانب المعبد، ومع إدعاء الملوك أن الآلهة هي التي اختارتهم لحكم البلاد، وفوضت إليهم التصرف في شؤون الرعية، فلم يؤلهوا أنفسهم كما فعل غيرهم، والملك هو من يقرر للموظفين الكبار في القصر حدود المهام. وكما كان يكلفهم بالأعمال العسكرية أيام الحرب.

ولم يكن الملك يحمل ألقاباً فضفاضة مثل ملك الجهات الأربع التي كانت شائعة في المملكة الأكدية، بل كانوا يكتفون بلقب (الملك الكبير)، (الملك القوي)، كما أطلق حمورابي على نفسه لقب (الراعي الوالد). وكان الوزير ("سوكَلّو") يساعد الملك، والمحافظ الكبير (ربيانون rabiianum) يدير الأقاليم والمقاطعات باسم الملك. ثم شاعت تسمية (خَزْيانُم/خَزَنَمُ) له.

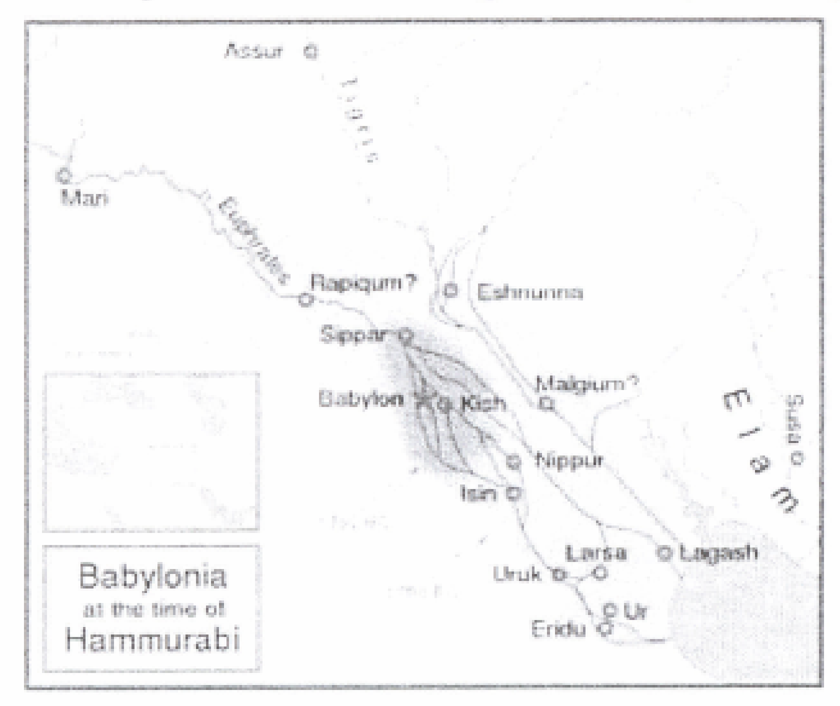
وتوجّب على مختلف موظفي الإدارة أن يكونوا قادرين على الكتابة، ولذلك كثيراً ما أشير لهم بصفة الكُتّاب (طُبْشَرّو Tubxharru)، وقد أداروا شئون زراعة القصر والمعبد. كما توجب عليهم قياس الأراضي لأصحاب الأملاك أو المزارعين المستأجرين، ومراقبة شئون تربية الحيوان والصيد، ووجد موظفون مسؤولون عن تنظيم القنوات المائية الرئيسة وصيانتها، وإقامة الحواجز والسدود على الأنهار، أما أمر تحصيل الضرائب والرسوم المختلفة من التجار وأصحاب المهن المختلفة فكانت تقع على مسؤولية الجباة (ماكِسُ makisu).

* الدولة البابلية القديمة :

أُسست بابل من قبل الأموريين (١٨٩٤-١٨٣٠) ق.م بزعامة (سومو. آبوم)؛ الذي بدأ بناء سور حول بابل سماه (خيرات إنليل) (يمجور.إنليل Imgur-Enlil)، وأكمل بناؤه خليفته (سومو.لا.ءل Sumu-la-El). أما حمورابي سادس ملوك البابلية، فقد تنبه باكراً إلى الوضع السياسي لدويلات المدن في المنطقة قديماً، واستغله بحنكة عبر سيطرته على الطرق التجارية عند أضيق منطقة بين نهري دجلة والفرات، مما جعل من بابل إحدى أهم مدن المشرق حينها، وبخضوع عيلام وسوبارتو واشنونا اضحى حمورابي سيد آشور أيضاً.

وبفتحه لارسا امتدت دولته لتشمل المناطق التي كانت أراضي الدولة

الأكدية والسومرية، وبذلك أصبحت البابلية الدولة الأقوى في بلاد الرافدين. وقد أثبت حمورابي حنكته في السياسة الخارجية، كما أنشأ العديد من شبكات الري والأبنية، وحكم البلاد وفق قانون جزائي جمع فصوله فيما يعرف بقانون حمورابي الذي ضبط بمواده (٢٨٢ مادة قانونية). شملت هذه القوانين جميع الشرائح الاجتماعية، وقد كتبت نصوص هذا القانون على النُصب والرُقم وعُرضت في المدن، كما رفع حمورابي الرب مردوخ إلى رتبة الإله الرئيسي لبلاد بابل.



اتساع الامبراطورية البابلية في بدايتها وفي نهاية عهد حمورابي.

مع بداية حكم (شمشو.إلونا Šamšu-iluna) ابن حمورابي بدأت حركات التمرد تعم مدن الجنوب، مما اضطره لخوض غمار معارك عدّة، إلا أن سيطرة بابل على المنطقة بدأت تضعف مع الوقت، كما ساهمت هذه التمردات الداخلية والغزوات الخارجية في فقدان بابل قدراتها على ضبط بلاد بابل، وانتهت دولة بابل القديمة مع غزو الملك الحيثي (مورشيلي الأول Muršili I) الذي حكم بين عامي (١٦٠٤– ١٥٩٤) ق.م لمدينة بابل.

* حكام البابلية اللاحقين :

تعتبر الفترة اللاحقة لعهد الدولة البابلية القديمة من الفترات المظلمة في التاريخ لندرة المصادر الكتابية، فقد حكم الكاشيون الدولة البابلية لفترة ٤٠٠ سنة، وقد مدوا نفوذ الدولة من الفرات إلى زاجروس وجعلوا منها في القرن ١٥ ق.م قوة أقليمية بين قوى العالم القديم حينها؛ المتمثلة بالدول الحيثية والميتانية والمصرية. تبع ذلك بفترة قصيرة بداية المد الآشوري ليطال بلاد بابل.



اتساع الامبراطورية البابلية في عهد الكاشيين.

في العام ١١٥٥ ق.م هاجمت عيلام منطقة بابل ودخلت مدينة بابل نفسها ودمرتها ونهبتها، ومن المنهوبات كانت مسلة شريعة حمورابي الشهيرة التي وضعت في مدينة سوسه.

في العام ١١٣٧ ق.م تمكن نبوخذ نصر الأول ملك مدينة إيسن من إقصاء الحكام الكاشيين وتنصيب سلالة إيسن الثانية حكاماً على البابلية، كما

حارب عيلام ودمر مدينة سوسه وأعاد مسلة حمورابي إلى بابل، أما محاولات نبوخذ نصر الأول لتوسيع نفوذ بابل فقد راقبتها وثبطتها الدولة الآشورية، مع أنه لم تحصل مواجهة مباشرة بين الدولتيين، لكن سرعان ما ضمت الدولة الآشورية بابل ولم تدمرها ولم تمس المعابد لأن ذلك اعُتبر تدنيس للمقدسات.

كما زوّج (شولمانو.اشارئد) الثالث ابنه (شمشي.اداد) الخامس من الأميرة البابلية (شميرومات) المعروفة تحت اسم سميراميس التي حكمت بعد موت زوجها الدولة الآشورية لأربع سنوات. كما قام (توكولتي.ابليز.إشارا) الثالث بتتويج نفسه في بابل بعد قلاقل حدثت هناك، وبذلك يتوحد التاج الملكي لبابل وآشور لأول مرة في التاريخ .

ورداً على المحاولات البابلية العدة للتخص من حكم آشور وبمساعدة عيلام، قام (سين.أههيء.إريبا) وهو:(سنحاريب في التناخ) في العام ٦٨٩ ق.م بمهاجة مدينة بابل وتدميرها، وقد حاول ابنه (اشور.أههيء.يدينا) وهو:(آسرحدون في التناخ) إعادة بناء المدينة وإعادة عظمتها القديمة، إلا أن السياسية الآشورية تغيرت اتجاه بابل بعده فكانت تبعاتها حروب وتدمير، ففي العام ٦٤٨ ق.م كان على المدينة الاستسلام للملك (اشور.باني.ابلي) بعد أن حاصرها لمدة عامين.

* الدولة البابلية الحديثة :

اعتلى القائد العسكري (نبو.ابلا.أصر) عام ٦٢٥ ق.م. عرش بابل وافتتح عصر الدولة البابلية الحديثة، فقد وحد الجماعات البابلية وتحالف مع الميديين الذي خلفوا عيلام في السيطرة على المناطق الواقعة في الشرق من البابلية، حيث عقدت الدولتان نوع من المعاهدة كما تزوج ابن (نبو.ابلا.أصر) حفيدة الملك الميدي، ومن خلال هذا التحالف أصبح بالإمكان مواجهة آشور بل والتوجه نحو

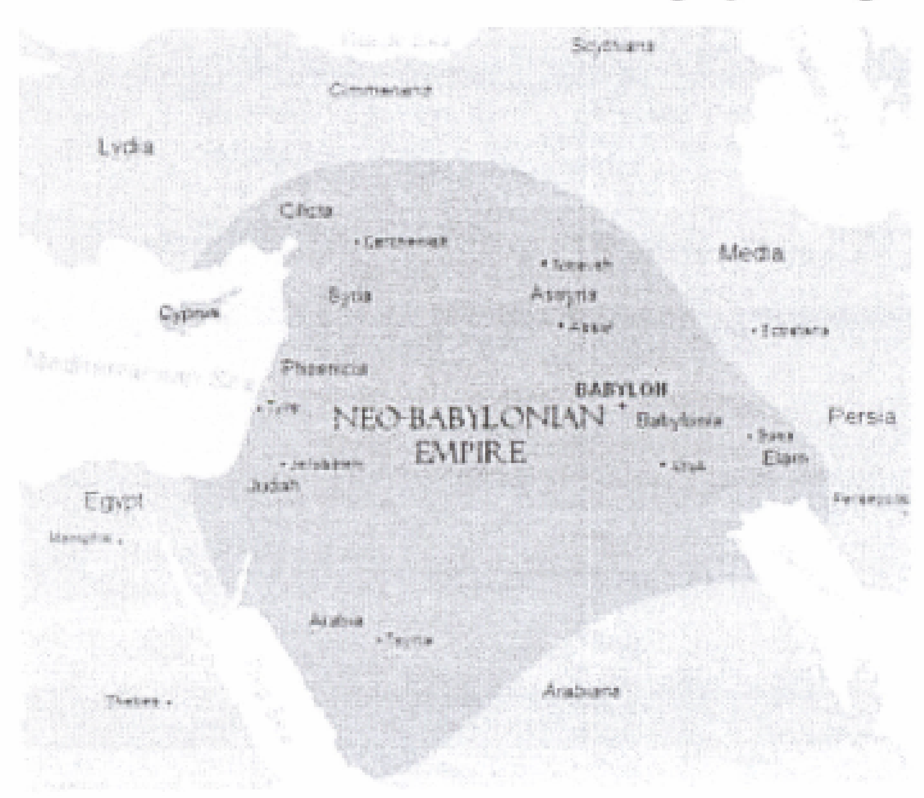
نينوى عاصمة آشور، حيث سقطت في العام ٦١٢ ق.م بعد حصار دام ثلاثة شهور. بعد موت (نبو.ابلا.أُصر) حكم نبوخد نصر الثاني (٦٠٥- ٥٦٢) ق.م، الذي أظهر إمكانيات متميزة كرجل دولة وقائد عسكري وصانع سلام وصاحب مشاريع بناء ضخمة، لقد مكّن نبوخذ نصر في عهده جميع مدن البلاد من إعادة بناء معابدها، كما أمر بشق القنوات المائية وبناء السور المعروف بالسور الميدي وبوابة عشتار الشهيرة. اخضع نبوخذ نصر مناطق غرب الهلال الخصيب (بلاد الشام) وفرض على الممالك والإمارات والمدن جزية تؤديها لبابل، وهاجم المدن التي حاولت التمرد، كما حصل مع أورسليم حيث دمرها ونقل بعض سكانها إلى بابل. بعد موت نبوخذ نصر في العام ٥٦٢ ق.م خلفه ابنه (نبو.شوما.وُكين Nabû-šuma-ukîn) الذي غير اسمه إلى رجل مردوخ (اِمِل.مردوخ Amel-Marduk)، إلا أن حكمه لم يدم سوى عامين حيث انقلب عليه قريبه القائد العسكري (نِرجال.شارّا.وُصور Nergal-arra-usur) وانتزع العرش منه.

وأدت النزعات الحادة مع الكهنة إلى تمكين (نبو نيد) أو (نبو.نا.يد Nabû-nā'id) الذي كان من عبدة الإلة سين إلى تسلمه عرش بابل في العام ٥٥٦ ق.م، وقد حاول نبونيد كبح كهنة الإله مردوخ، مما جلب الكثير من المشاكل في عملية إعادة توزيع الأراضي الزراعية وتنظيم إجاراتها. ترك نبونيد مقرّ الدولة لابنه (بِل.شارّود.وُصور Bel-šarru-usur) وانسحب إلى واحة تيماء حيث تحكم بالقوافل التجارية المارة منها ومارس ضغوط اقتصادية على مصر.

* الولاية البابلية :

بعد أن هزم الفرس الليديين، توجه الجيش الفارسي بقيادة كورش(قورش) الثاني نحو بابل ودخلها بعد مقاومة بسيطة في العام ٥٣٩ ق.م، وتحولت بابل

لإحدى ولايات (ساترابات) الدولة الفارسية الهامة. كانت الآرامية لغة المعاملات الرسمية في بابل، كما استمر العلماء باستخدام اللغة الأكادية وكتابتها، وقد قَدِم الدارسون من أنحاء العالم القديم من مصر وفارس والهند ليدرسوا على علمائها، فقد ضبط فلكيو بابل في القرن الخامس قبل الميلاد السنة الشمسية وأنشأوا في السنة ٤١٠ ق.م أولى مخططات الأبراج، ومن هذه الفترة تطور عن الفلكيات البابلية ما يعرف بعلوم الفلك الكلدية التي شكلت القاعدة للفلكيات في الفترة الهلنستية. وفي العام ٣٣٣ ق.م انتصر الكسندر المقدوني على الفرس وضم بابل لملكه، وقد تسامح الإغريق مع الثقافة البابلية وتفاعلوا معها وطوروها، حيث بنوا مسرحاً في بابل، وبعد موت الكسندر تصارع خلفاؤه على الملك وتطاحنوا في حروب جرت الخراب على المناطق المنتازع عليها. وفي القرن الأول قبل الميلاد انتقل حكم بابل ليد الفرثيين.



الامبراطورية البابلية الحديثة

* اقتصـــاد :

* الزراعة :

تطلبت الزارعة في البابلية، عملاً مضنياً وتنظيماً دقيقاً، ولكنها كانت تثمر غلالاً وفرة، فمن الضروري شق القنوات لإيصال المياة إلى الحقول، وكانت أعمال القنوات الرئيسية مسئولية الدولة. أما المزارعون فيتولون القنوات الصغيرة الثانوية والعناية بها. المألوف أن تبذر المحاصيل في أواخر الخريف وتحصد في نهاية الربيع. وكانت الغلال تحصد بالمناجل. ويبدو أن البابليين كانوا يستخدمون النورج للدراس، ثم يقومون بعملية التذرية، وبعدها بتخزين المحصول في أهراء قريبة من الحقول. أما المحاصيل فكانت من القمح والشعير، والعدس، والحمص، والكتان، والسمسم، والبازلياء، والشوفان، والدّخْن والجلّبان. واحتل الشعير المقام الأول من حيث الاستخدام البشري، فصنعوا منه الخبز والطحين والجعة (البيرة). واستخرج البابليون الزيت من السمسم لفقر المنطقة بأشجار الزيتون، وصنعوا الأنسجة من الكتان. وكان تمر النخيل من أكثر المواد الغذائية أهمية، واستخدم خشب النخيل استخدامات مختلفة في مجال البناء، ومن أشجار الفاكهة المعروفة التين والرمان والتفاح، وكثيراً ما استخدمت النباتات والأعشاب للتداوي. وعن تربية الحيوان، عُرف الكلب وهو من أقدم الحيوانات المنزلية لكثرة فوائده في الحماية والصيد. كما ربيّت القطط المنزلية. وربيّ البقر والغنم والماعز والخنزير. وفي المشاهد التصويرية رسوماً كثيرة للثيران، حيث كان الثور رمزاً لإله القمر، ونلاحظ أن الملوك كانوا يتلقبون باللقب الإلهي (الثور) إشارة إلى القوة. كما كان راعي الأغنام النموذج الحقيقي للرعاة ولقب (الراعي) اتخذه كثير من الملوك لأنفسهم. واستخدم الحمار وورد ذكر البغل أيضاً في الكتابات البابلية، أما الحصان فقد

تأخر ظهوره في بلاد بابل، ومثله الجمل. وإلى جانب الدواب كانت تربية الطيور مثل الإوز والبط، وكذلك الدجاج والنعام والحمام.

* مهن وحرف :

أُستخدمت في البابلية الكلمة الأكدية (أومّانوتو ummanutu) لتدل على الحرف اليدوية، ولفظة (أومّيا/أومّانو) على معلم الحرفة. وكان الغزل والنسيج، والخياطة والتطريز من أهم الحرف التي اختصت بها النساء. وثمة شواهد تشير إلى صنع أثواب ثمينة للملوك وكبار الكهنة وغيرهم، وكانت مادة الخياطة والنسيج الصوف والكتان. وعرفت الأقمشة الملونة وصباغتها بوساطة الشب والقرمز. وقد شاع استخدام الأنوال في النسيج. وكان ثمة حِرَف أخرى متميزة كحرفة صانعي الأكياس والسجاد. وتعد نصوص ماري البابلية القديمة ونصوص نوزي أغنى النصوص من حيث المعلومات المتصلة بصناعة السجاد. ودبغت الجلود وصنع منها الألبسة والأحذية. ومن أكثر الحيوانات التي استفاد الناس من جلودها البقر، والماعز. وكان استخدام الجلد قليلاً للكتابة عليه. وكان القصب يستخدم في صناعة السلال وأعواد السهام والرماح، وفي بناء القوارب والمراكب النهرية، وصناعة الأبواب البسيطة والأثاث المنزلي، وفي بناء الأكواخ وتغطية أرضيات المنازل والحظائر في الريف، وكانت طبقات من الحصر القصبية تستخدم في بناء الأبنية الضخمة كالمعابد البرجية (الزقورة).

لقلة الأخشاب في بلاد بابل فقد جلبت من الجبال الشمالية والغربية على الساحل الشامي. ويَرد في المعاجم البابلية عدداً كبيراً من الأدوات الخشبية استخدمت في الأعمال المختلفة وفي صنع الأثاث المنزلي، وكان للنجار دوراً كبيراً في بناء البيوت والمعابد والقصور والمراكب النهرية والعربات ذات العجلات

الخشبية. كما كانت حرفة الفخّار شائعة في البابلية لأهمية صناعة الآجر في البناء وفي عمل الألواح الطينية (الرُّقم) للكتابة عليها وفي صناعة الأواني والدّمى والأعمال الفنية الأخرى. وقد جلبت الأحجار والصخور من المناطق الجبلية الآسيوية من زاجروس وإيران والأناضول وبلاد الشام للبناء وصنع الأدوات الحجرية وفي النحت الفني. ويرد في النصوص لفظة (نباخو nappakhu) أي الحداد (نَفّاخ الكور) الخاص بصهر المعادن. واستخدم النحاس والبرونز في صناعة الأسلحة والأدوات. كما وجد صائغ الذهب والأدوات الثمينة من الفضة والمعادن الأخرى.

* التجـــارة :

وصلنا الكثير من نصوص اتفاقيات تجارية، وقوائم جرد للبضائع، ومراسلات تجارية من بلاد بابل. وكانت معظم النصوص التجارية تُوَثّق. وقد شاع اعتماد الحبوب خاصة كمادةً للمقايضة، كما شاع استخدام الأغنام وسيلة لتقدير ثمن البضائع أيضاً. ثم حلت المعادن ولاسيما النحاس والفضة محل المقايضة. وكانت الدولة تعقد الاتفاقيات التجارية مع جيرانها، وتحرص على فتح الطرق وحمايتها والسيطرة عليها، وتسيير القوافل التجارية التي تعتمد على الحمير وسيلة للانتقال، وقام التاجر (تمكارو Tamkaru) بوظيفة رئيسية في المجتمع البابلي فكان مشترياً وبائعاً بالجملة والقطاعي، وممولاً ومستثمراً وبديلاً عن المصارف. أما البضائع التي كانت تصدر من البابلية فهي الحبوب بأنواعها والتمور والأدوات المصنعة والمنسوجات. وكانت تستورد المواد المعدنية الخام من إيران والأناضول وبلاد الشام ، وزيت الزيتون والنبيذ والأخشاب من بلاد الشام كما كانت تجارة العبيد رائجة.

* مجتمع :

كانت الأسرة في كل أرجاء المشرق العربي القديم مبنية على سلطة الأب، ولكن حقوق الأب لم تكن مطلقة. ولم يسمح بتعدد الزوجات إلا في حالات نادرة، لاسيما إذا كانت المرأة عاقراً أو تعاني مرضاً عضالاً. وعلى الزوج أن ينفق عليها إذا أرادت البقاء عنده، وإلا فعليه أن يدفع بائنتها كاملة، وإذا كانت ذات ولد فعلى الزوج أن يدفع لها كذلك نصف أملاكه. وتمتعت الزوجة بمكانة اجتماعية مساوية للرجل، ولها حق العمل بعد أخذ موافقة الزوج. وفُضل المواليد من الذكور على الإناث، وللبكر مزايا خاصة، وكان نظام التبني منتشراً في البابلية.

* الطبقات الاجتماعية :

– **الأحرار** : وهم مواطنو المدن والفلاحون والرعاة.

– (الموشكينو mushkenu) : وهؤلاء يمثلون الطبقة الوسطى، وهم أقرب إلى طبقة الأحرار من الناحية الاجتماعية، وأشبه بوضع الموالي في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام عند العرب.

– **العبيد** : وهؤلاء يخصون دائماً أفراداً معينين أو المعابد. وللعبد أن يمارس التجارة بموافقة سيده، وله علامة وهي حلاقة نصف الرأس حتى لا يهرب، وإذا هرب توجب على الموظفين القبض عليه وإعادته إلى مالكه. ويعود أصل الكثير من العبيد إلى أسرى الحروب وسباياها. وللعبد أن يعتق نفسه، وقد يتبناه أحدهم، وكانت معاملتهم مقبولة، ويعدون أفراداً تابعين للتجمع المنزلي.

ولم يكن المجتمع الشرقي القديم حتى في المدن الكبيرة مستقراً تماماً، فمع وجود الأسرة، هناك الأسرة الكبيرة، أو العشيرة التي كانت تعيش في المدينة

والقرية، وتجاور البدو والرعاة. وقد نجح عدد كبير من هؤلاء في تطوير أنفسهم وصاروا جنوداً وضباطاً، وتمكنوا من الارتقاء إلى منصب الحاكم أو الملك، وتأسيس أسر حاكمة، كما كانت حال مؤسسي السلالتين البابلية الأولى والبابلية الحديثة.

* ديــن :

كان للبابلين آلهتهم الخاصة، يرأسها إله مدينة بابل مردوخ الإله الخالق، الحامي للأفراد، وإله الحرب كذلك، وهو ابن الإله (ايا) إله الحكمة، وله ابن يدعى (نَبُو) حامي الكَتَبَة والمتعلمين. وكانت الإلهة (عشتار) إلهة كوكب الزهرة وإلهة الخصب والحرب معاً، و(سين) إله القمر، و(شمش) إله الشمس والحق والعدالة. كما بقية عبادة الآلهة السومرية لكن بأسماء بابلية، ولكثير من الآلهة مدينة رئيسية يقوم فيها المعبد الرئيسي لعبادة الإله، ولكن عبادته تنتشر في كل المدن وأرجاء الدولة، فمركز رئيس مجمع الآلهة (السومرية – البابلية) (آنُ/ آنو) في مدينة أوروك (الوركاء)، ومقره السماء. والإله السومري (إنليل) وجد معبده الرئيس في مدينة إريدو، ولعشتار معبد رئيس في مدينة أوروك أيضاً. والإله (نبو) في مدينة بورسيبا. عيد (أكيتو akitu) رأس السنة أهم الأعياد البابلية، وتمتد الاحتفالات به عدة أيام، ويتم في الأصل في الخريف، ثم تحول إلى الربيع. وكانت تنقل فيه تماثيل الآلهة في موكب مهيب إلى بيت خاص بالاحتفال يقع عادة خارج نطاق سور المدينة. وجرت العادة أن تتلى صلوات وأناشيد على شرف الإله مردوخ الذي كان معبده البرجي (زقورته) في بابل أضخم نماذج تلك المعابد.

* القانون :

كانت كلمة دين في الأكدية (البابلية) تعني (مسألة قانونية، حكم قانوني)

والقاضي يدعى ديّان، وهو المسؤول عن حماية القانون والعدالة جميع الآلهة، وفي مقدمتها إله الشمس (شمش) الذي يوصف بأنه يرى كل شيء. أما الملك فهو الذي يتولى مسئولية تطبيق القانون على الأرض وهو القاضي الأكبر. عرفت بلاد بابل تشريعات سومرية تعود أقدمها إلى الملك أورنامو (٢١١١-١٩٩٤) ق.م ، ثم تبعتها تشريعات الملك لبيت عشتار ملك إيسن (١٩٣٤-١٩٢٤) ق.م. ثم أصدر ملك أشنونة بعدها تشريعاً كُتِب باللغة البابلية. أما أبرز تلك الشرائع كانهقانون حمورابي الذي يشتمل على نحو ٢٠٠ مادة قانونية تعالج أموراً كثيرة تتعلق بشئون الأسرة والعبيد والأراضي والتجارة.

* أدب :

اللغة البابلية واللغة الآشورية لهجتان من اللغة الأكادية التي سادت في بلاد ما بين النهرين قبل ظهور المملكة البابلية القديمة والمملكة الآشورية القديمة. واستطاعت اللغة البابلية التي وصلت في عهد حمورابي إلى مرحلة النضج والكمال الذي يتجلى في قانون حمورابي أن تسود عالم الشرق القديم، وتغدو لغة الوثائق السياسية والاقتصادية في تلك المناطق نحو ألف عام، إلى أن حلت محلها اللغة الآرامية الشقيقة. أما كتابتها فكانت بالخط المسماري المقطعي الذي طورته ليخدم أغراضها المختلفة. وكان الأدب في العصر البابلي القديم استمراراً للأعمال الأدبية السومرية ذات التأثير الكبير في أدب ما بين النهرين عامة، ثم مالبث أن تحرر من التقليد إلى الإبداع إذ ظهرت أعمال أدبية عكست التطورات المعيشية ونضج اللغة التي باتت تهتم بالأسلوب الفني والجمالي. وكانت الأسطورة مجالاً للإجابات عن تساؤلات كانت تراود مخيلة البابليين عن العالم الذي يعيشونه، وعن مسائل مثل الخلق، والموت، والخلود، والخطيئة والعقاب. ومن أبرز الأساطير أسطورة

(أترخسيس) التي من أبرز موضوعاتها خلق الإنسان وصراع الآلهة، والطوفان، والعقاب الإلهي.

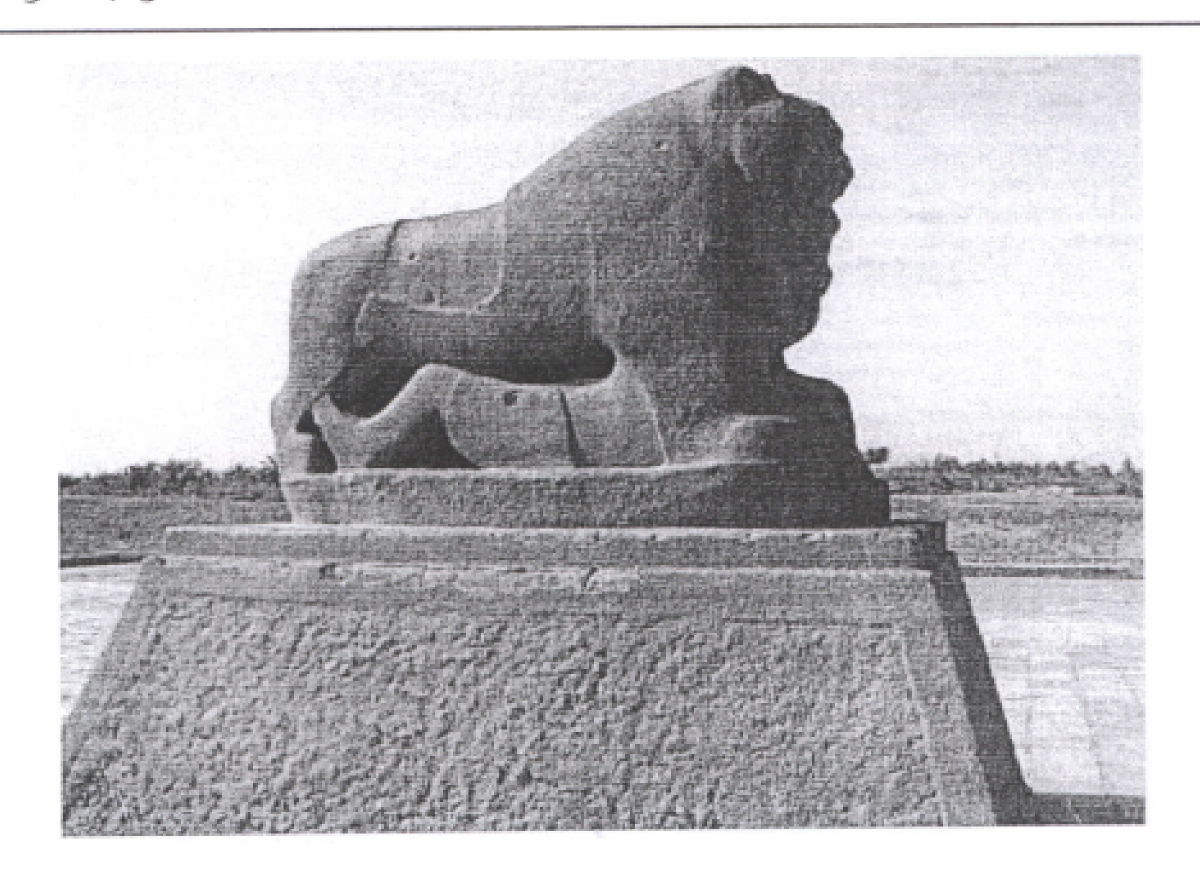
وملحمة جلجامش في نسختها البابلية التي تدور حول فكرة الحصول على الخلود والشباب الدائم. وأسطورة أدابا الذي يضيع على نفسه فرصة الخلود. وأسطورة إتانا، أول ملوك مدينة كيش بعد الطوفان، الذي يشغله الحصول على من يرثه. وأسطورة نزول عشتار إلى العالم السفلي الذي لا رجعة منه، ولكنها تعود بمساعدة الإله غيا الذي يعيد إليها الحياة، ويُقَدّم الإله دموزي (تموز) فدية لها، فيُرْسَل بدلاً منها، ويتناوب الإقامة في العالم السفلي كل ستة أشهر، ويغيب معه الخصب والخضرة مؤقتاً رمزاً لتبدل فصول السنة. ثم تظهر أسطورة بابلية إبداعية في القرن الثامن قبل الميلاد هي أسطورة إرّا إله الطاعون والدمار الذي يتخلى له الإله الوطني مردوخ عن العرش مؤقتاً ليقود حرباً لإخضاع البشر الذين ما عادوا يتركون للآلهة فرصة للراحة، لكنه ينجح في النهاية في تحقيق الاستقرار للبلاد وتصحيح الأوضاع ويندم على فعله الدموي، ويقنعه وزيره بتوجيه ضرباته إلى أعداء البابلية. ومن الأعمال المهمة أسطورة قصة الخلق البابلية التي تعرف بمطلعها إنوما إيليش أي (عندما هناك في الأعالي)، وتتناول الموضوع القديم برؤية جديدة لتكريس مكانة الإله مردوخ رئيساً لمجمع الآلهة الرافدي.

وظهرت كذلك قصيدة (لأمجدن سيد الحكمة) التي تعبر عن يأس الإنسان البابلي في العصر الكاشي وتشككه في العدالة الإلهية، وتشاؤمه لكثرة المصائب التي حلت به. وتقرن هذه بسفر أيوب في كتاب التناخ. وعرف في بلاد بابل أدب الحكمة الذي يضع في أولوياته أهدافاً أخلاقية وتربوية كالأمثال المنظومة شعراً، والمواعظ، والقصص الديني، وحكايات الحيوان، والمناظرات أو المحاورات التي

تجري على ألسنة الحيوانات، وبين النبات وبين الناس حول موضوعات [illegible] كالعدالة الإلهية، والحب. وألف الكتاب تراتيل دينية وابتهالات إلى [illegible] وحكايات فكاهية ساخرة، ومنها حكاية الفقير الذي أهدى الحاكم نعجته وهي [illegible] لحلم الفقراء بالانتقام من الأغنياء المتسلطين على قدرهم.

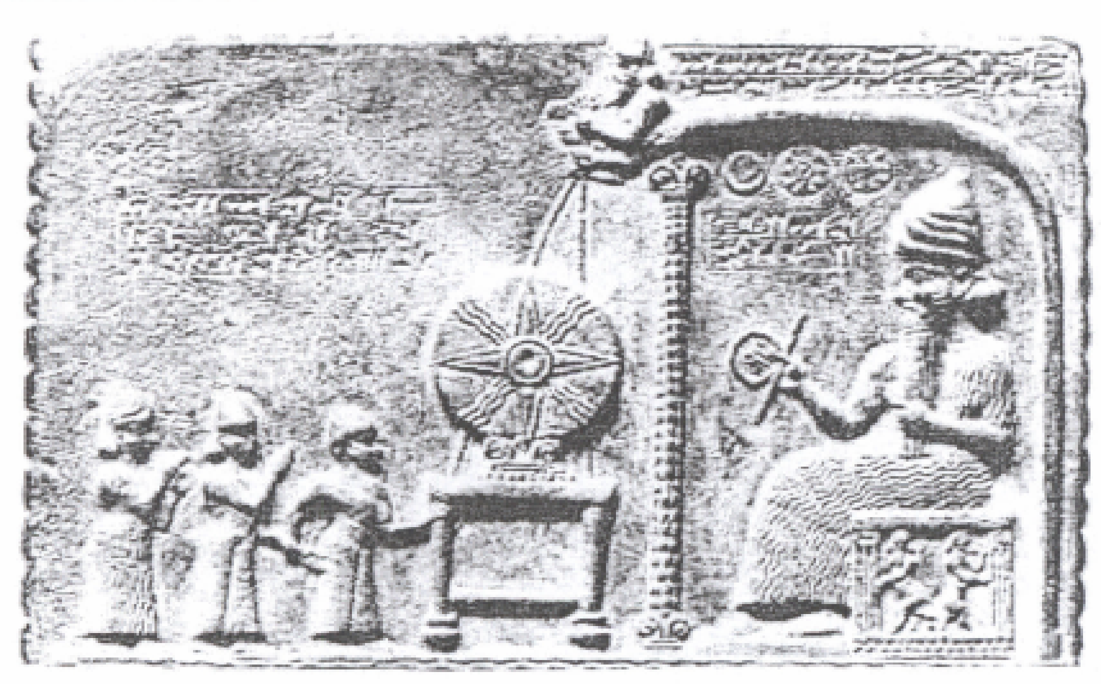
* علــوم :

تطلّب العمل في الزراعة وقياس الأراضي وبناء قنوات الري القصور والمعابد وسواها ومزاولة التجارة معرفة الحساب والهندسة والجبر. وكان النظام السائد في بلاد الرافدين كلها هو النظام الستيني سواء في الحساب أو في أنظمة قياس الزمن أو المكاييل والموازين. فقسمت السنة إلى اثني عشر شهراً واليوم إلى أربع وعشرين ساعة، وهو النظام المعمول به حتى اليوم. وعرفة فكرة المربع والمكعب وتمكنوا من حساب مساحة الدائرة ومحيطها. واهتموا بمراقبة الكواكب لاعتقادهم بتأثيرها في حياة الناس بوصفها آلهة، وربطوا بين حركاتها ومظاهر الطبيعة المختلفة، وهذا ما أدى إلى نشأة علم التنجيم عندهم، فقسموا دائرة فلك البروج إلى اثني عشر برجاً. وهناك أشخاص رصدوا النجوم في الليل والنهار وتتبعوا مساراتها ودونوا مراقباتهم وأرصادهم، وقد مكنهم هذا من التنبؤ بحدوث الخسوف والكسوف، وهكذا صار لهم شهرة كبيرة في هذا المجال. أما الطب فقد ارتبط عندهم بالسحر، وكان المريض يعالج على أساس أن روحاً شريرة دخلت جسمه، ولذلك قام العلاج على الرُّقَى السحرية والأدوية النباتية والحيوانية وغيرها. وهناك رُقم تصف تشخيص بعض الأمراض وأعراضها وطرق معالجتها. وعرفوا أنواعاً كثيرة من العقاقير الطبية والمراهم، وسمح للطبيب بممارسة الجراحة حسب ما جاء في قانون حمورابي على أن يتحمل النتائج المترتبة عليها.



أسد بابل







زخرفة ممتازة على الطابوق المزجج الملون. واجهة غرفة العرش. قصر نبوخذنصر الثاني. بابل. حوالي ٦٠٠ ق.م



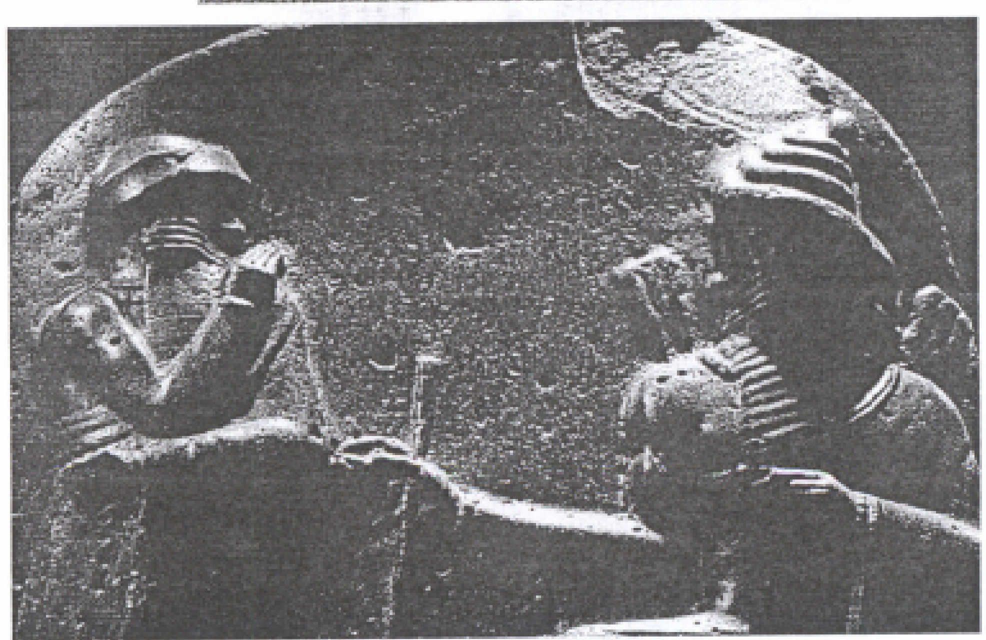
منحوتة بابلية في متحف اللوفر



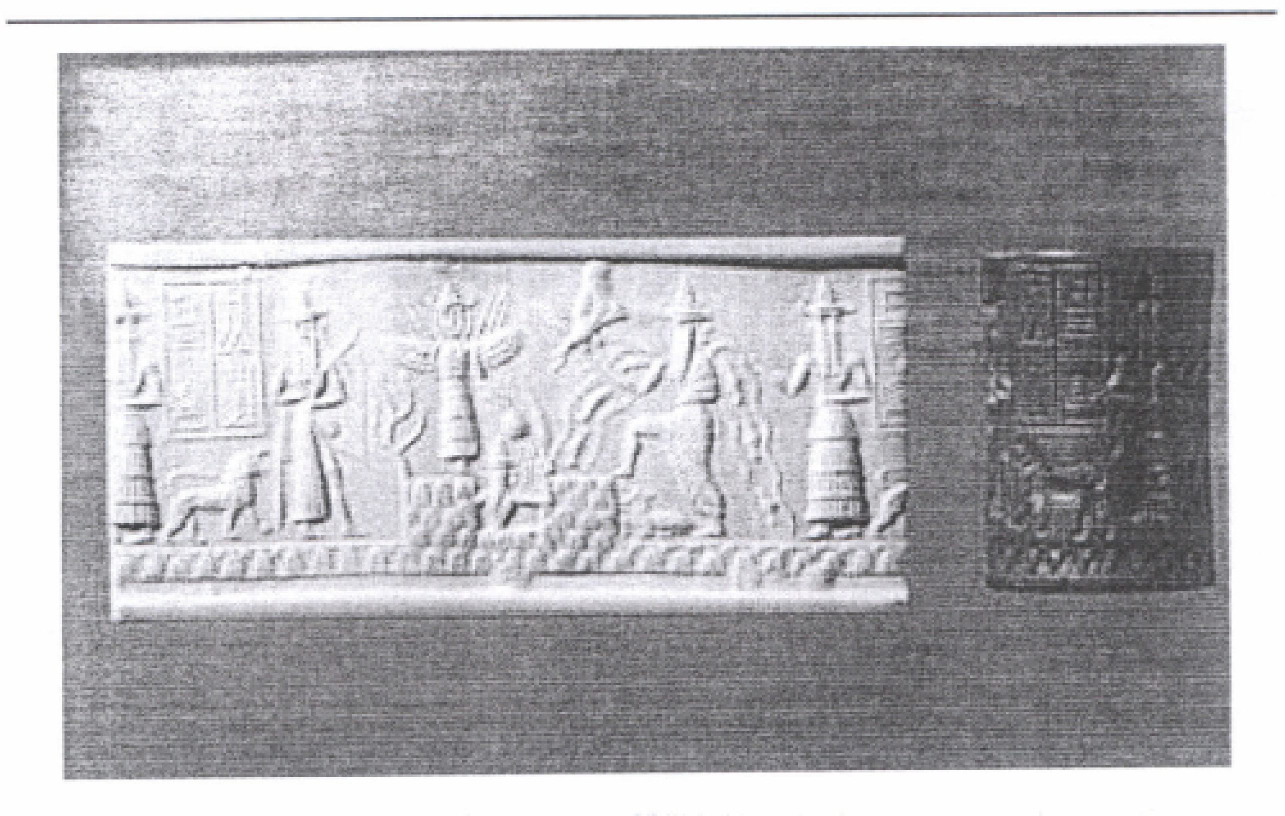
حمورابي

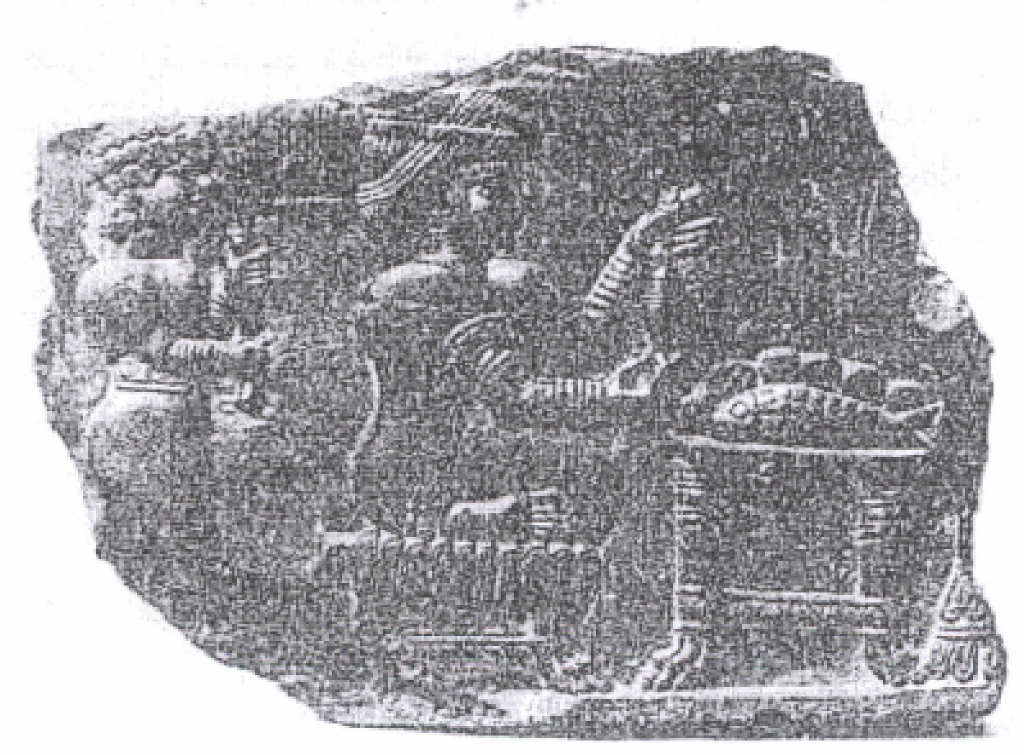
منحوتة لوجه حمورابي على حجر الديوريت.





مسلة حمورابي – أشهر شريعة قانونية من العالم القديم اوجدها الملك حمورابي سادس سلالة بابل الأولي – اتخذت الشريعة من قانون العين بالعين أساسا لحكمها واحتوت على ٣٠٠ مادة قانونية في كل مجالات الحياة إلا أنها لم تصلنا منها سوى ٢٨٢ مادة عثر عليها في سوسة – ايران وهي الآن محفوظة في متحف اللوفر



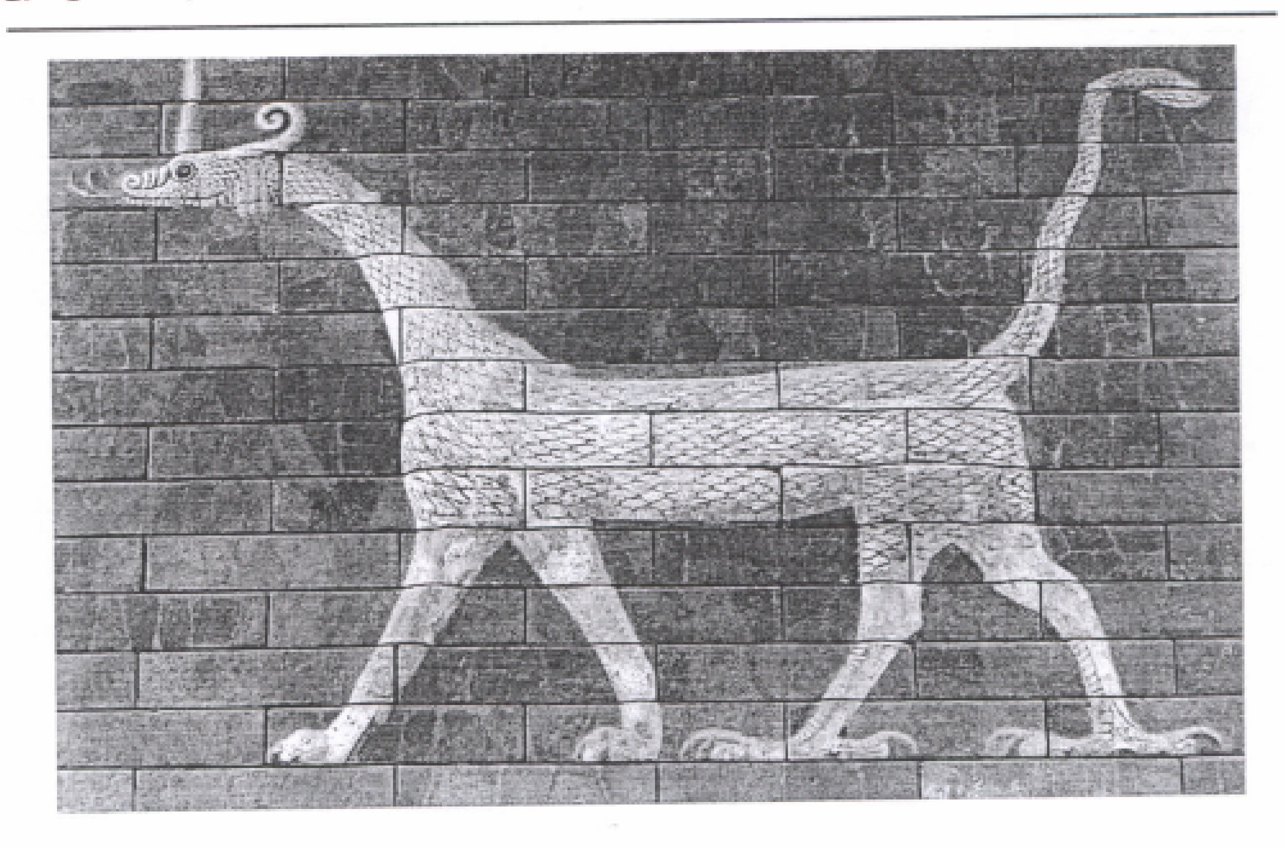


المرأة البابلية والمغزل القرن ٩ ـ ١٠ ق . م . ، الارتفاع ١٠ سم



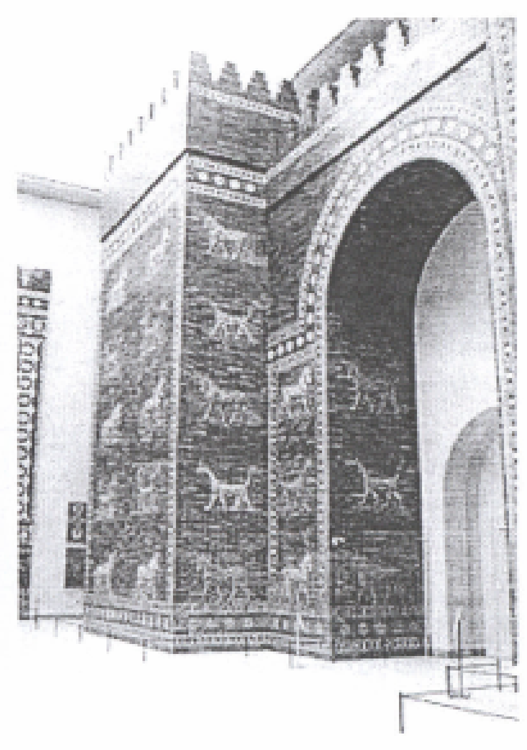
الأختام الطينية : تم استعمال الأختام المنقوشة بتصميم بسيط منذ العام ٥٠٠٠ قبل الميلاد، وكانت تطبع كدليل حيازة تجاري على أختام طينية على الأبواب المخصصة لحفظ السلع.

المسلة السوداء المصنوعة من الحجر الجيري الظاهرة في الصورة، والتي يبلغ طولها ٦١ سنتيمترا، بنيت في أحد المعابد كدليل على منحة ملكية لأرض. ويظهر عليها صورة الملك البابلي مردوخ ناديناهي (١٠٩٩-١٠٨٢) وهو يحمل قوسا وسهمين كرمز على النصر، وكتب عليها بالخط المسماري "المنتقم لشعبه". ويظهر أيضا وهو متعمم بتاج مزين بورود يعلوه ريش، وتظهر أيضا ثيران مجنحة وشجرة . أما ثوبه فهو مطوي من جهة الظهر وعليه شرائط من جهة الصدر، ويعد هذا النوع من اللباس كتصميم ملكي دام لعدة قرون. ويتماشى مع هذا اللباس أشكال هندسية سداسية عليها حواش ثخينة تظهر عليها أشجار مصممة بطريقة رائعة، أما ما يلبسه الملك في القدم فهو خف مصنوع من اللحاف. وتظهر رموز إلهية فوق الملك، ويفصل جزء من ثعبان الصورة الأمامية عن الكتابة المسمارية من الخلف



جدارية مشخوشو التنين – وهو حيوان الإله مردوخ مصنوع من الآجر المزجج – زينت به بوابة عشتار التي بناها الملك نبوخذ نصر الثاني للآلهة عشتار – منتصف الألف الاول قبل الميلاد







بوابة عشتار لمدينة بابل القديمة حاضرة الكلدان، تاريخ عريق تضرب جذوره في عمق التاريخ .

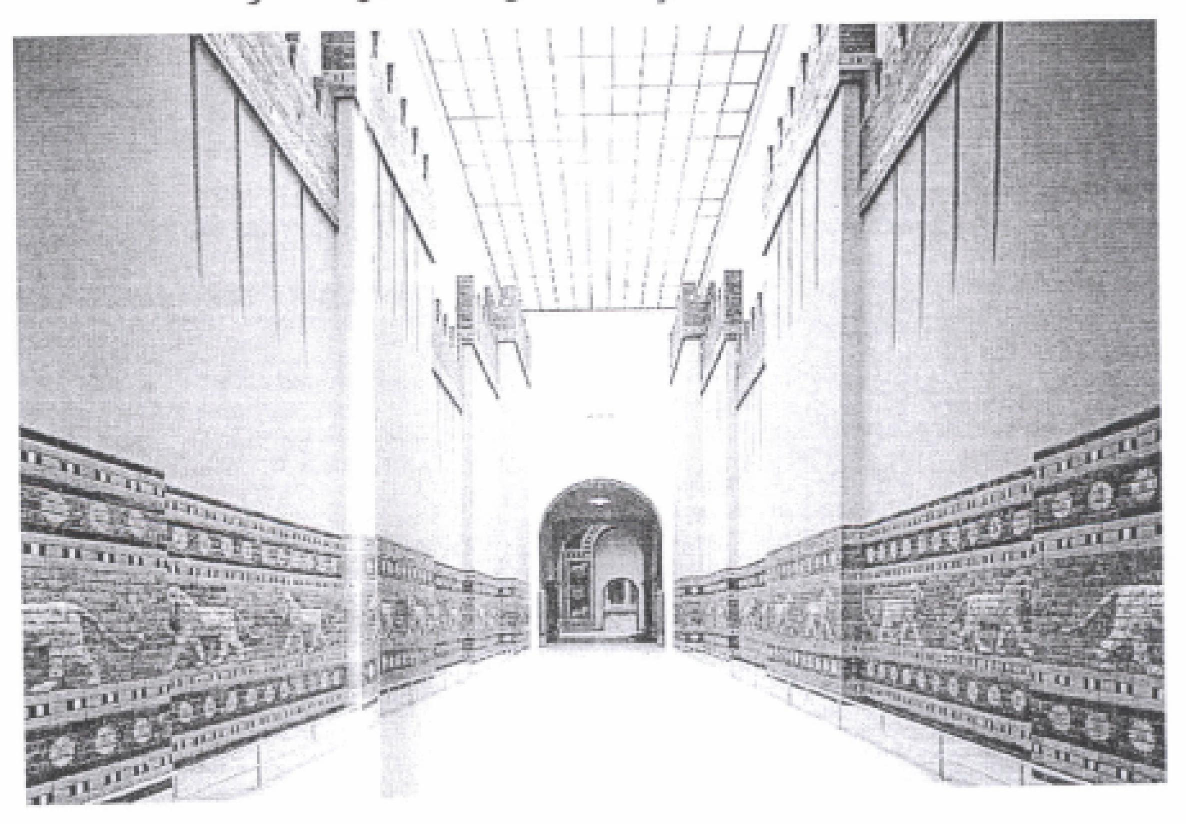
محفوظة في متحف برلين



أسد من الآجر المزجج – تفاصيل أحد الأسود من جدران شارع الموكب



جدران شارع الموكب من الآجر المزجج مزين بمجموعة من الأسود على جانبي شارع الموكب بألوان زاهية بناها في مدينة بابل الملك نبوخذ نصر



مدينة بابل الأثرية

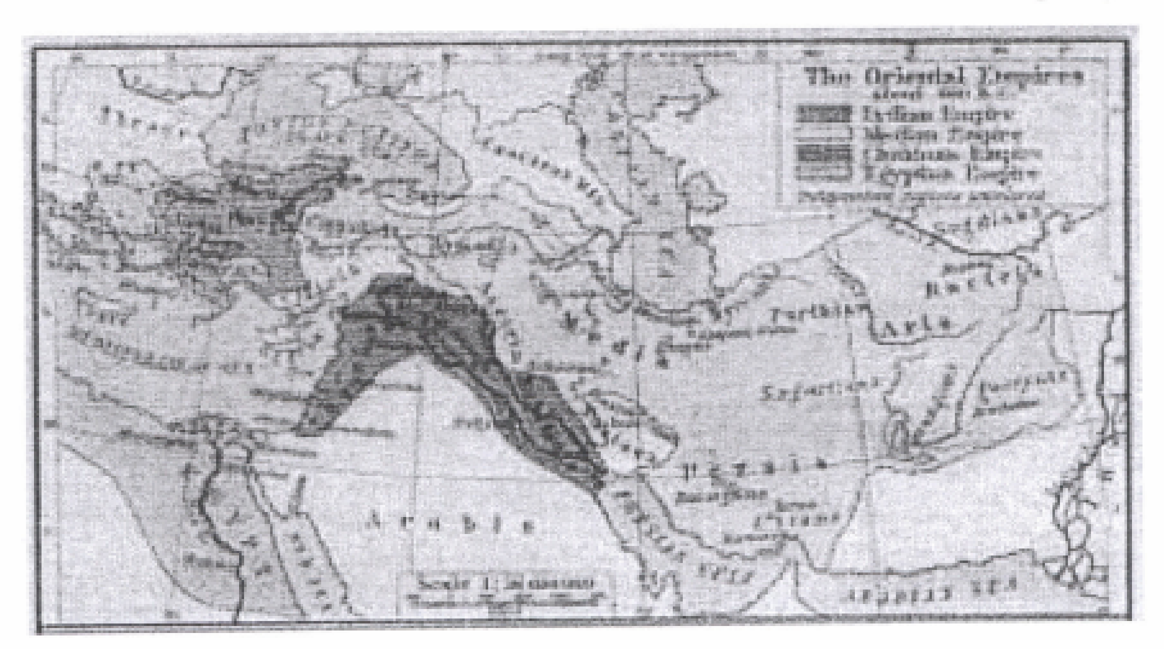
الفصل السابع

الإمبراطورية الكلدانية البابلية الحديثة

هي إمبراطورية أسسها نبوبولاصر الكلدي سنة ٦٢٧ ق.م واستمر حكمها حتى سنة ٥٣٩ ق.م ، تحرروا في البداية من حكم الآشوريين بعد أن سيطر نبوبولاصر على إقليم بابل الذي كان تابعاً لحكم الآشوريين فتمكن في البداية من إعلان الاستقلال عن حكم الآشوريين ثم سيطر على كامل إقليم بابل والمناطق الجنوبية منها وتمكن من توحيد القبائل الكلدية، إلا أن الآشوريين استمروا بمضايقة الكلدان وكانوا ينوون الإطاحة بنبوبولاصر ، لكن الملوك الآشوريين الذين خلفوا آشوربانيبال كانوا ضعفاء ، بينما تمكن نبوبولاصر من توحيد القبائل الكلدية فلم يتمكن الآشوريين من اسقاط حكم الكلديين هذه المرة كما فعلوا في عدة مرات سابقة ، فتمكن نبوبولاصر وبالتعاون مع الميديين من اسقاط مدينة نينوى عاصمة الآشوريين سنة ٦١٢ ق.م وأسس امبراطورية كبيرة وتميزت الإمبراطورية الكلدانية بالعمران والفنون والعلوم . وكان حكام بابل قد استعادوا تراث بلاد ما بين النهرين القديم، حيث أحيوا التراث السومري الاكادي وبالرغم أن اللغة الآرامية اصبحت اللغة العامية عند البابليون لكن اللغة الأكادية كانت اللغة الرسمية في الوثائق والدواوين الرسمية.

الحضارة الكلدانية :

كلدو (الكلديون) جماعة بشرية في العصور العتيقة من منطقة جنوب بلاد الرافدين، وتحمل نفس هذا الاسم تقريباً (كلدوي) جماعة أخرى اورارتية اللغة عاشت على ضفاف بحيرة فان في شرق الأناضول، وذلك نسبة للرب الذي عبدوه (خلدي)، وكثيراً ما خلطت الكتابات القديمة بين هاتين المجموعتين. مع أن تاريخ المجموعتين مختلفاً تماماً.



الشرق الأوسط، ح ٦٠٠ ق.م، ويظهر فيها امتداد الحكم الكلداني.

يرد اسم الكلدو في المصادر القديمة كما يلي :

الاكادية القديمة : كاشدو

الاكادية الآشورية البابلية : كلدو

عبرية التناخ : كسديم

آرامية الدولة : كسدايا

أصلهم : في أصل الكلدان تتنوع الآراء وتختلف بين المؤرخين فمنهم من يرجح

أن موطن الكلدان الأصلي هو شواطئ الخليج العربي جنوب العراق، والبعض الآخر يقول أنهم آراميون ، وكذلك فقد ذهبوا إلى أن الكلدان كانوا من الأجيال آرامية الأصل، كما أن العلاقة القوية بين الآراميين والكلدانيين جعلت الباحثين يعدونهم قبيلة واحدة أو من منبع واحد. ويرى البعض الآخر من الباحثين مثل فيليب دوغورتي بأن الكلدان هم أقوام خرجت من شبه الجزيرة العربية، وقد اندفعوا من هذه المنطقة ودخلو العراق خلال الألف الأول قبل الميلاد متخذين طريق ساحل البحر العربي ثم الخليج العربي الذي أصبح مقترناً باسمهم، فسمي بـ (البحر الكلدي). كما أن بعض الباحثين توصلوا إلى أن مدينة الجرها التي تقع في القطيف في ساحل الخليج العربي في السعودية هي موطن الكلدان الأصلي وكانت تتمتع بعلاقات جيدة مع بلاد بابل. وقد استقرت هذه الجمعات في القرن الثامن قبل الميلاد، وتفاعلت مع الوسط الآرامي التي أقامت فيه آخذة بعاداته وأسلوب حياته ولغته الآرامية، ومع بداية الدولة البابلية الحديثة عام **٦٢٥** ق.م كانت عملية الاستيعاب الحضاري من الآراميين والبابليين للكلديين قد استقرت بحيث أصبحت إمكانية تمييز منشأ الكلدانيين غير ممكنة.

* تاريخ :

توزع الكلدو على مجموعة من البيوتات (مجموعات/أحلاف) كان أكبرها (بيت داكوري) و(بيت اموكاني)، وشكلت مجموعة أخرى تجمعات صغيرة منها (بيت شاعلي) و(بيت شيلاني) و(بيت يقيني)، وأول ذكر للكلديين جاء في نصوص من عهد (آشور.ناسير.ابلي) نحو عام **٨٨٣** ق.م. ويظهر في عهد (توكولتي.ابلي.إشارا) اسم (ملك بلاد البحر) من بيت يقيني الملك (مردوخ.ابلا.اديانى) الثاني من ضمن دافعي الجزية الآشور، كما هاجم

(نبو.موكين.صري) من بيت اموكاني البابلية ونصب نفسه ملكاً عليها، إلا أن تغلات بلاصر الثالث خلعه. بين العامين ٧٢١ و ٧١٠ ق.م استطاع (مردوخ.ابلا.اديانى) أن يعتلي عرش البابلية ضد إرادة (شروم.كين) الثاني (سرجون في التناخ)، كما شكّل حلفاً من الآراميين والعيلاميين ضد آشور، لكن (شروم. كين) الثاني انتصر عليه عام ٧١٠ ق.م في معركة دير وهرب (مردوخ.ابلا.اديانى) إلى عيلام، لكنه من كيش هذه المرة عاود في العام ٧٠٢ ق.م ولمدة ٩ شهور تحدي آشور ممثلة بالملك (سين.أههئ.إريبا) (سنحاريب في التناخ). وفي عهد الملك الكلدي نبوبولاسر تمكن الكلديين من السيطرة على البابلية حيث اعتلى عرشها نبوبولاسر عام ٦٢٥ ق.م. ما افتتح عصر الدولة البابلية الحديثة.

* الممالك الكلدانية :

تأسست عدة ممالك كلدانية في جنوب ما بين النهرين في مطلع القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وورد ذِكرُها في حوليات ملوك آشور:

– مملكة بيث اقين:

كانت عاصمتُها دور – ياقين: (تَل اللحم حالياً/بين الناصرية والبصرة) وتشمُل رُقعتُها الحَوضَ الأسفلَ مِن الفرات وشواطيءِ الخليج وجُزُره حتى الخليج العُماني، أشهر ملوكِها كانَ الملك مردوخ بلادان (٧٣٣ – ٧١٠) ق. م، سيطر سنة ٧٣٣ ق.م على مدينة بابل الواقعة تحت الهيمنة الآشورية، ونودِيَ به ملكاً على الدولة البابلية، تَميَّزَ بالقوة والعزيمة فقام بتوحيد كافة الممالك والقبائل الكلدانية في مملكة مُتحدة واحدة، مؤكّداً استقلالَ بابل السياسي وحَقَّها الشرعي في حُكم البلاد البابلية، ولكن الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢٢ – ٧٠٥) ق.م انتصر عليه عام٧٢١ ق.م واستعاد بابل منه. كانت مملكة بيث أقين أكبر

وأقوى الممالك الكلدانية، ومِن بين أبنائها ظهر أغلبُ ملوك الكلديين في عهد الإمبراطورية البابلية الثانية (٦٢٦ – ٥٣٩) ق.م.

– مملكة بيث دَكّوري :

كان موقعُها في حَوض الفرات إلى الجنوب مِن مملكة بابل، تمتدُّ مساحتُها مِن مدينة بورسيبا (برس نمرود حالياً/جنوب الحلة) من الشمال وحتى حدود مدينة أوروك (الوركاء) من الجنوب. تعرضت لحملة عسكرية من قبل الملك الآشوري أسرحدون، تم فيها سلبها وأسر ملكها (شمش.ابني).

– مملكة كَمبولو :

كانت عاصمتها (دور ابيهار) وبدورها كانت ضحية الحملة العسكرية الأسرحدونية التي شنها أسرحدون عليها وعلى مملكة بيث دكوري.

– مملكة بيث شيلاني :

عاصمتُها (سر أنابا). في سنة ٧٣٢ ق. م قاد الملكُ الآشوري تجلات بيلاصر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧) ق.م حملةً عسكرية على عاصمتِها سر أنابا، قُتِلَ خلالها ملكُها وسُبيَ خمسةٌ وخمسون ألفاً من أبنائها الكلدان ورُحلوا إلى البلاد الآشورية.

– مملكة بيث أموكاني :

عاصمتُها شيبيا الواقعة في حَوض دجلة الأسفل، كانت تحتضن بالإضافة إلى قبائل أموكاني قبائل الفوقودو (بقيذي) كان الملك (نابو.موكِن.زيري) مؤسس سلالة بابل العاشرة أحد أبنائها، تسلم عرش بابل عام ٧٣١ ق. م.

– مملكة بيث شعالي :

عاصمتُها دور ايلاتا وقد شملَتها حملة تجلات بيلاصر الثالث العسكرية التي قادها عام ٧٣٢ ق. م ضِدَّها وضِدَّ مملكة (بيث – شيلاني) حيث أسِرَ من سُكّانِها خمسين ألفاً وأربعمِئة فردٍ ورَحَّلهم إلى المناطق الآشورية.

* معتقدات :

اعتقد الكلديين بتعدد الآلهة لكن لا توجد معلومات كافية عنها حتى الآن، لكن ما لدينا هو نص يوضح تصديقهم وجود نوع من الكائنات أشبه ما تكون بالعفاريت ضد رأس الإنسان سلط قدراته الملعون (اساك) ضد حياة الإنسان القاسي (نِمتور). ضد حلق الإنسان الضار (اوتوك). ضد صدر الإنسان المُفسد (الو). ضد احشاء الإنسان الشرير (إكيم). ضد يد الإنسان الرهيب (جالين).

* الكلدي كمرادف لمنجم :

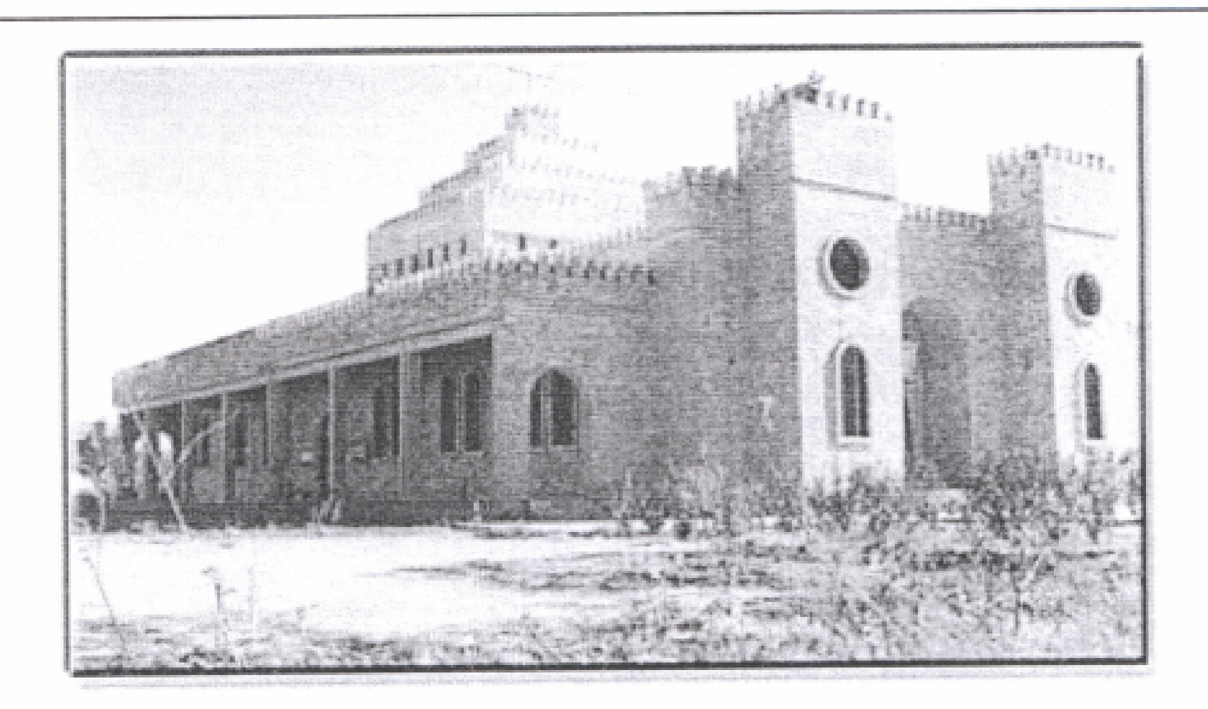
ساد في القرنين الأولين قبل وبعد الميلاد إطلاق تسمية كلدي على المنجمين والعلماء في بلاد الرافدين، وإن كان منهم من أصول فارسية أو ميدية، وقد سادت معارفهم ونشاطاتهم كل غربي آسيا. ومن ضمن الاهتمات العديدة لمعارف الكلديين كان الاهتمام بالتقاويم والرزنامات، وانشأوا رموز لغوية فلكية للتعبير عن العلاقات الفلكية. كذلك تعتبر الإشارة إلى الحكماء الثلاثة الذين أتوا من الشرق في الإنجيل والذين يعرفون طبائع النجوم، قرينة تشير إلى المعرف البابلية حينها؛ ففي النسخة الإغريقية للإنجيل يجري الكلام عن سحرة جاءوا من الشرق يتبعون نجماً صاعداً في السماء، ولهذا يمكن الظن أن الكلام عن كلديين، وإن كان هناك تأويل آخر يعتبر الأشخاص من اتباع الديانة المجوسية.

* حكمة الكلدانيين :

كانت الحضارة الكلدانية: آخر الحضارات الوطنية في العراق إذ أنهاها الاحتلال الأخميني القادم من إيران عام ٥٣٩ قبل الميلاد، وأهم ما تركت من موروث تلك النصوص التي ستظل على جانب كبير من الأهمية بوصفها نصوص آخر مرحلة من مراحل التطور الفكري في العراق القديم، ومنها انبثق التفكير الفلسفي متصلاً مع موروث معرفي تراكم عبر الحضارات العراقية القديمة: (السومرية والآكدية والبابلية والآشورية)

حيث تظهر في تلك النصوص ريادة الانسان العراقي القديم الذي عزم على حسم مرحلة الشك والدهشة بإثارته الأسئلة التي كانت المحرك الأول للفكر الانساني ، حيث اهتم بايجاد قوانين ومقولات لصوغ أفكار عن: (الآلهة، الطبيعة، الانسان والمجتمع) وصولاً إلى خلق أفكار عن: (الصراع والخير والعدالة والتجدد والقدر والمصير والحرية والإرادة). وتعود تلك النصوص إلى نهاية الألف الثاني ومطلع الألف الأول قبل الميلاد ومن تلك النصوص: "الحوار بين السيد والعبد"، "لأمجدن رب الحكمة"، "حوار في العذاب الانساني"، "وصويا احيقار".

هذه النصوص وغيرها ما كانت بعيدة من ميزتين هما الأبرز في الحضارة الكلدانية: التحديث الديني الموصول إلى نشاطات عمرانية، واستعادة المعابد لدورها كوحدات اجتماعية واقتصادية كبيرة. فضلاً عن الفكر التوحيدي الذي ميّز ذلك العصر.



كنيسة (عينكاوا) الكلدانية في شمال العراق ، بطرازها البابلي



المراجـع

١. الحضارات الأولى: الأصول والأساطير (٢٠٠٩). غلين دانيال. ت: سعيد الغانمي. كتاب دبي الثقافية ٢٧.

٢. سوسة، احمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الاثارية والمصادر التاريخية، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣.

٣. عبدالمنعم المحجوب: ما قبل اللغة.. الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية، ط١، دار تانيت للنشر والدراسات، ٢٠٠٨، طرابلس – تونس. ط٢. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢.

٤. السومرية، رحم الاديان السماوية بقلم خالق محجوب\موقع الذاكرة.

٥. صاموئيل نوح كرمر، السومريون احوالهم – عاداتهم – تقاليدهم.

٦. ديلا بورت، بلاد مابين النهرين، ترجمة محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر، ط٢، ١٩٩٧، الفصل الثاني.

٧. دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٠، ج١، الفصل السابع.

٨. السومريون – تأريخهم وحضارتهم وخصائصهم – ترجمة د. فيصل الوائلي.

٩. جذور الفن السومري – حسين الهلالي .

١٠. سومر وحضارتها وفنونها – سليم طه التكريتي .

١١. موسوعة حضارة العالم لأحمد محمد عوف .

١٢. الحوليات الأثرية السورية. مجلد ٣٣، ج٢، ١٩٨٣.

١٣. بشار خليف، البعد الإنساني في الحضارة السورية، دورية كان التاريخية، ع٥ سبتمبر ٢٠٠٩.

١٤. هورست كلينغل ، آثار سورية القديمة ، ت. قاسم طوير، وزارة الثقافة، سوريا ١٩٨٥ .

١٥. علي أبو عساف، آثار الممالك القديمة في سورية، وزارة الثقافة، ١٩٨٨.

الفهـــرس